

تَرْجِمَةُ إِمَامِ الدَّسْوِهِ الشَّيْخِ
حَمَدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمَيْشِيِّ
(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)



كتبتها

د. عبد الحسين محمد الفقيه

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

رئيس استئناف بمحكمة الاستئناف في المدينة المنورة

«أَنَا أُشَهِّدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأُشَهِّدُكُمْ
أَنِّي عَلَى دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي مُتَّبِعٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ»
محمد بن عبد الوهاب

ترجمة إمام الدعوة الشیخ
محمد بن عبد الوهاب
(1115 - 1406ھ)

ح عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٤٥هـ.

القاسم، محمد بن عبد الرحمن

ترجمة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي. / عبد المحسن بن محمد
القاسم - ط١ .. - المدينة المنورة، ١٤٤٥هـ

ص: ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٣٢٣٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٨٩٠٧-٠٧

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٢٣ - ١٤٤٥ هـ

تَرْجِمَةُ إِمَامِ الدَّسْوَةِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ عَبْدِ الرَّحْمَانِ الْقِيمِيِّ
(١١١٥ - ١٤٠٦ هـ)

كَتَبَهَا

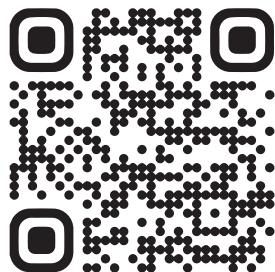
دُبَيْلُ الْحَسِينِ حَمْدَلِ الْقِيمِيِّ

إِمَامٌ وَخَطِيبٌ الْمَسْجِدِ الْأَبْيَانِ التَّسْعِينِيُّ

رَئِيسُ أُسْتِئْنَافِ بِمَحْكَمَةِ الْإِسْتِئْنَافِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُبَوَّرَةِ

يُمكِّنُ الاطّلاع وَتَحمِيلُ جمِيع مُؤَلَّفَاتِ فضِيلَةِ الشَّيخِ عَلَى الرَّابطِ:

a-alqasim.com/books/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدَّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمدٍ،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ :

فَاللَّهُ خَلَقَ عِبَادَهُ حِنْفَاءَ، ثُمَّ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَبَعَثَ اللَّهُ لِكُلِّ
قَوْمٍ رَسُولًا رَحْمَةً مِنْهُ بَعْدَادِهِ؛ لِبِيَانِ الظَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَخَتَمَ الرِّسَالَةَ
بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ يَبْعَثُ
فِيهَا عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ عَامٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ
يَعِثُ لِهِذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١).

وَمِنْ أُولَئِكَ الْمُجَدِّدِينَ : إِمَامُ الدَّعْوَةِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ
الْتَّمَيِّمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ مُجَدِّدُ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ
يَنْدُرُ اجْتِمَاعَهُمَا فِي عَبْدٍ؛ وَهُمَا : الْعِلْمُ وَالدَّعْوَةُ.

وَلِشِمَارِ عِلْمِهِ وَدَعْوَتِهِ الْيَانِعَةِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَلِسُّونِ
الْمَصَادِرِ فِي تَفَاصِيلِ سِيرَتِهِ مَعَ أَهْمِيَّتِهَا؛ اسْتَفْصَيْتُ أَقْوَالَهُ مِنْ مَظَانِهَا،
وَتَرْجَمْتُ لَهُ تَرْجِمَةً فِيهَا بِيَانُ حَيَاتِهِ، وَأَحْوَالِهِ الشَّخْصِيَّةَ، وَمَسِيرَتِهِ
الْعِلْمِيَّةَ، وَلَا إِنَّ دَعْوَتَهُ هِيَ مَدارُ الْحَدِيثِ مِنَ الْمُوَالِيْنَ لَهَا وَالْمُنَاوِيْنَ،

(١) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يُذكر في قرن المئة، رقم (٤٢٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قصرت ترجمته الدعوية على أقواله؛ لأنَّه أعرف الناس بحال دعوته، وقد دوَّنت ذلك في هذا الكتاب، وسميتها: «**تَرْجِمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ التَّمِيميِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ**»، وقد قسمته إلى تسعه فصول، على النحو الآتي:

الفصل الأول: حياته.

الفصل الثاني: أحواله الشخصية.

الفصل الثالث: مسيرته العلمية.

الفصل الرابع: دعوته.

الفصل الخامس: صدقه في الدعوة.

الفصل السادس: منهجه في الدعوة.

الفصل السابع: المعارضون لدعوته.

الفصل الثامن: آثاره.

الفصل التاسع: وفاته، ومحبة الناس له.

أسأل الله أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يتغمده برحمته، وأن يرفع درجة في أعلى الجنان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فرغت منه في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر
عام خمسة وأربعين وأربعين مئة وألف من الهجرة النبوية
في المسجد النبوي الشريف

ترجمة إمام الدسوقة الشیخ
محمد عبد الله الچمی

(١٢٠٦ - ١١١٥ هـ)

الفصل الأول

حياته

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المبحث الثاني: أسرته.

المبحث الثالث: نشأته.

اسْمُهُ، وَنَسْبُهُ، وَمَوْلَدُهُ

هو: أبو عليٌّ محمدُ بْنُ عبدِ الوهَابِ بن سليمان بن عليٍّ بن محمدٍ بن أحمد بن راشد بن بُريَد بن محمدٍ بن بُريَد بن مُشرَّفٍ، من بطن الوهبة من تميم.

وُلد سنة (١١١٥هـ) في نجد^(١)، في بلدة «العُيَينة»^(٢).

(١) نَجْدٌ: موضعٌ واسعٌ، قاعدته وسط المملكة العربية السعودية؛ وحدوده شمالاً: صحراء النفود، وجنوباً: الربع الخالي، والجنوب الغربي: مرتفعات عسير، وشرقاً: الدهناء، وغرباً: جبال الحجاز.

(٢) العُيَينة: شمال الرياض، تَبَعُّد عنها خمسة وثلاثين (٣٥) كيلومتراً.

أُسرَتُهُ

مَقْرُ أُسْرَتِهِ «آل مُشَرَّف»: بلدة أُشِيقَر^(١)، وقد تَنَقَّلَتْ بَيْنَ عَدَّة بلدان، وبيان ذلك في الآتي:

١ - جَدُّه الشَّيخ سليمان: وُلد ونشأ في بلدة أُشِيقَر، وأخذ العلم عن علمائها، وأخذ عنه بعضهم.

ثُمَّ طَلَبَهُ أَهْل رَوْضَة سُدِير^(٢) قاضياً لَهُمْ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ انتَقَلَ إِلَى الْعُيَيْنَةِ، وصَارَ قاضياً فِيهَا واسْتَوْطَنَهَا، وَتَزَوَّجَ فاطمة بَنْتَ الشَّيخ أَحْمَد بْنَ مُحَمَّد بْنَ بَسَّامَ، وَتَوَفَّى رَحْمَةَ اللَّهِ فِي الْعُيَيْنَةِ.

٢ - والده الشَّيخ عبد الوهَاب: وُلد فِي الْعُيَيْنَةِ، وَنَشَأَ وَتَعَلَّمَ فِيهَا، ثُمَّ صَارَ قاضياً فِيهَا، وَتَزَوَّجَ بَنْتَ مُحَمَّد بْنَ عَزَّازَ الْمُشَرَّفِيِّ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ ابْنَيْنِ هُمَا: الشَّيخ مُحَمَّد، وَالشَّيخ سليمان.

ثُمَّ انتَقَلَ الشَّيخ عبد الوهَاب إِلَى حُرَيْمَلَاء^(٣)، وَمَكَثَ فِيهَا قاضياً مِنْ عَام (١١٣٩هـ) إِلَى وفاته عَام (١١٥٣هـ).

٣ - الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوهَاب: ارْتَحَلَ مِنْ حُرَيْمَلَاءِ إِلَى الْعُيَيْنَةِ، وَتَزَوَّجَ الْجَوَهْرَة بَنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُعَمَّرَ - عَمَّةَ أمير الْعُيَيْنَةِ

(١) أُشِيقَر: شَمَال غَرب الرِّيَاضِ، تَبَعُّدُ عَنْهَا مِئَيْ (٢٠٠) كِيلُومُترٍ.

(٢) رَوْضَة سُدِير: شَمَال غَرب الرِّيَاضِ، تَبَعُّدُ عَنْهَا مِئَةٌ وَثَمَانِينَ (١٨٠) كِيلُومُترًا.

(٣) حُرَيْمَلَاء: شَمَال غَرب الرِّيَاضِ، تَبَعُّدُ عَنْهَا خَمْسَةٌ وَثَمَانِينَ (٨٥) كِيلُومُترًا.

عثمان بن مُعَمَّر - ، ومكث فيها مدة، ثم خرج إلى الدرعية^(١) واستقرّ فيها حتى وفاته.

وللشيخ ستة أبناء، وهم: عليٌّ، وعبد الله، وحسن، وحسين، وإبراهيم، وعبد العزيز.
وله بنات.

وأسرته تنحدر من أبنائه الأربعة: عليٌّ، وعبد الله، وحسن، وحسين، أما إبراهيم وعبد العزيز فليس لهما عقب.

(١) تقع شمال غرب الرياض، وهي الآن ملتصقة بها.

نشاته

نشأ في بيتِ عِلْمٍ وَدِينٍ وَصَلَاحٍ، فَعُمْ جَدُّهُ الثَّالِثُ، وَابنُ عَمٍّ جَدُّهُ الثَّالِثُ، وَجَدُّهُ، وَأَبُوهُ، وَأَخْوَهُ، وَابْنًا أَخِيهِ، وَعَمَّاهُ، وَابْنُ عَمِّهِ، وَابْنُ عَمَّتِهِ، وَخَالُهُ؛ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَبِيَانِ ذَلِكَ فِي الْآتِيِّ :

١ - عُمْ جَدُّهُ الثَّالِثُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ رَاشِدِ بْنُ بُرَيْدَةِ: مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ تلقَّى الْعِلْمَ عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ يَحْيَىِ بْنِ عَطْوَةِ^(١).

٢ - ابْنُ عَمٍّ جَدُّهُ الثَّالِثُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنُ رَاشِدِ بْنُ بُرَيْدَةِ: مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ تلقَّى الْعِلْمَ عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ يَحْيَىِ بْنِ عَطْوَةِ.

٣ - جَدُّهُ سَلِيمَانُ: مُفْتِي نَجْدٍ فِي زَمَانِهِ وَرَئِيسُ عِلَمَائِهَا، وَأَوْسَعُهُمْ عَلِمًا، صَنَّفَ، وَدَرَسَ، وَوَلَّيَ قضاء روضة سُدِيرَ، ثُمَّ الْعُيَيْنَةَ، وَكَانَ مُعَاصرًا لِإِمامِ الْمَذَهَبِ الْحَنْبَلِيِّ فِي مَصْرِ الشَّيْخِ مُنْصُورِ بْنِ يُونَسِ الْبُهُوتِيِّ، وَاجْتَمَعَ بِهِ فِي مَكَّةَ عَامِ (١٠٤٩هـ).

قالَ حَفِيْدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنِ كَعْلَةَ: «كَانَ أَفْقَهَ مَنْ نَزَلَ نَجْدًا فِي وَقْتِهِ، فَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ»^(٢).

(١) هو: أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىِ بْنِ عَطْوَةِ بْنِ زِيدِ التَّمِيميِّ، عَالِمٌ نَجْدٍ وَمُفْتِيَهَا، وَلَدٌ فِي الْعُيَيْنَةِ، وَرَحِيلُهُ إِلَى الشَّامِ، وَتلقَّى الْعِلْمَ عَنِ عِلَمَائِهَا، وَمِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْمَرْدَاوِيُّ صَاحِبُ «الْإِنْصَافِ» (ت ٨٨٥هـ)، نَشَرَ الْمَذَهَبَ الْحَنْبَلِيَّ فِي نَجْدٍ، وَهُوَ أَوَّلُ عَالِمٍ نَجْدِيٍّ تَصُلُّ إِلَيْنَا أَخْبَارَهُ وَمَؤْلَفَاتِهِ، تَوَفَّى كَعْلَةَ فِي الْجُبِيلَةِ - بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُيَيْنَةِ - سَنَةً (٩٤٨هـ). مجلَّةُ الدَّارَةِ، العددُ الرَّابِعُ، السَّنَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونُ، (ص ١٣١).

(٢) الْدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٦/١٢).

٤ - والده عبد الوهاب: فقيهٌ وعالمٌ كبير، كان مفتى العينية وما حولها، تولى قضاء العينية أربعة عشر عاماً؛ من عام (١١٢٥هـ) إلى عام (١١٣٩هـ)، ثم انتقل إلى حريماء، وولى قضاها أربعة عشر عاماً إلى وفاته عام (١١٥٣هـ).

٥ - أخوه سليمان بن عبد الوهاب: كان فقيهاً وقاضياً في حريماء.

٦ - ابن أخيه عبد الله بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والوراع.

٧ - ابن أخيه عبد العزيز بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والوراع.

٨ - عمّه إبراهيم بن سليمان: فقيه، ولّي القضاء في أشیقر، وكان يسافر إلى ما حولها من البلاد؛ لحاجتهم إليه في الإفتاء، ويُوثق ما يقع بينهم من معاملات، وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه وأثبته.

٩ - عمّه الثاني أحمد بن سليمان: من العلماء.

١٠ - ابن عمّه عبد الرحمن بن إبراهيم: كان عالماً فقيهاً.

١١ - ابن عمته الشّيخ عبد الله بن محمد ابن فiroz، أبو محمد الكفيف الأحسائي، من كبار علماء الأحساء^(١).

(١) الأحساء: شرق الرياض، تبعد عنها ثلات مئة وعشرين (٣٢٠) كيلومتراً.

١٢ - خاله سيف بن مُحَمَّد بن عَزَّازٍ: من الفقهاء، تَصَدَّى لِلإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ.

قال ابن بسَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هُوَ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ كَبِيرٍ، قَدْ تَوَارَثُوهُ أَبًا عَنْ جَدٍ»^(١).

وَلَا أَعْرِفُ فِي التَّارِيخِ أُسْرَةً بَقِيَ الْعِلْمُ فِي آبائِهِمْ وَأَبْنائِهِمْ خَمْسَةَ قَرْوَنَ مُتَتَابِعَةً سُواهَا.

(١) علماء نَجْدٍ خَلَال ثَمَانِيَّةِ قَرْوَنَ (١٢٧/١).

الفصل الثانٰ

أَحْوَالُهُ الشَّخْصِيَّةُ

وفيء خمسة مباحث:

المبحث الأول: أَخْلَاقُهُ.

المبحث الثاني: سَلَامَةُ صَدْرِهِ.

المبحث الثالث: صِفَاتُهُ.

المبحث الرابع: ذَكَاؤُهُ.

المبحث الخامس: عِبَادَتُهُ.

أَخْلَاقُهُ

كان رَحْمَةُ اللَّهِ دَمِثُ الْأَخْلَاقِ، رَفِيعُ التَّعَامِلِ، مُتَحَلِّيًّا بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ
وَالسُّنَّةِ، وَيُظَهِّرُ ذَلِكَ فِي الْآتِيِّ :

١ - يُحِبُّ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ؛ فَقَدْ كَانَ لِجَدِّهِ الشَّيْخِ سَلِيمَانَ بِسْتَانَانَ
فِي أُشِيقَرِ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمَا بَعْضُ النَّاسِ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الْوَهَابِ جَاءَ أَحَدُ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: «يَا شَيْخَ، بِأَيْدِينَا سِبْلُ
لَكُمْ^(١)، وَأَبِيكَ^(٢) تَمْضِيهَا لِي^(٣)، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ: مَا اسْتَرْخَصْنَا
أَوَّلَ، وَلَا نَحْنُ بِجَايِنَكَ فِيهَا تَالِي^(٤)»^(٥).

٢ - يَحْثُثُ الْآخَرِينَ عَلَى الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:
«ذَكَرْتَ مِنْ طَرْفِ مَرَاسِلَةِ سَلِيمَانَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنَّهَا تَزَعَّلُكَ^(٦): أَوَّلًا: أَنَّهَا
لَوْ خَالَفَ فِيمِثْكَ يَحْلُمُ، وَلَا يَأْتِي بِغَايَتِهِ هَذَا وَلَا أَكْثَرُ مِنْهُ، وَثَانِيًا: إِنَّكَ
إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ كَلَامَهُ مَا لَهُ فِيهِ قَصْدٌ إِلَّا الْجَهَدَةَ^(٧) فِي الدِّينِ وَلَوْ صَارَ
مُخْطَئًا، فَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ؛ وَالَّذِي هَذَا مَقْصِدُهُ يُغْتَفِرُ لَهُ وَلَوْ جَهَلَ

(١) أي: وَقْفٌ.

(٢) أي: أُرِيدُكَ.

(٣) أي: تَجِيزُهَا فَتَكْتُبُ أَنَّهَا لَنَا.

(٤) أي: لَمْ تَأْخُذْ إِذْنَنَا حِينَ الْاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا، وَلَنْ نَأْتِكَ بَعْدَ اسْتِيلَائِكَ عَلَيْهَا.

(٥) عَلَمَاءُ تَجَدُّدِ خَلَالِ ثَمَانِيَّةِ قَرْوَنَ (١٢٨/١).

(٦) الزَّاعِلُ: الضَّيْقُ وَالضَّجَّاجُ.

(٧) أي: الاجتهاد.

عليك، ونَحْنُ مُلَزِّمُونَ^(١) عليك لَزْمة جَيِّدة، ورَبُّك ونَبِيُّك ودِينُك لَرَمْتُهم لَزْمة تَتَلاشَى فِيهَا كُلُّ لَزْمة»^(٢).

٣ - يُحسِّن إِلَى مَنْ يُسِيء إِلَيْهِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «قولك: أُريد أماناً على كذا وكذا؛ فأنت مخالف، والخاص والعام يفرحون بمجيئك، مثلما فرِحوا بمجيء ابن غَنَّام، والمَنْقُور، وابن عُضيب؛ مع أنَّ ابن عُضيب أكثر النَّاس سَبَباً لهذا الدِّين إلى الآن، وراحوا مُوقِّرين محسومين^(٣)، كيف لو تجيء أنت؟ كيف تظُن أنَّ يَجيئك ما تكره؟! فإنْ أردت تجديد الأمان على ما بغيت؛ فاكُتب لي»^(٤).

٤ - إِنْ عَاتَبَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَيُعَاتِبُهُ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ نَاحِيَتُكُمْ مَكَاتِيبٌ^(٥)، فيها إِنْكَارٌ وَتَغْلِيظٌ عَلَيَّ، ولَمَّا قيلَ: إِنَّكَ كَتَبْتَ مَعْهُمْ، وَقَعَ فِي الْخَاطِرِ بَعْضُ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ نَشَرَ لَكَ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ، وَأَنْزَلَ فِي قُلُوبِ عَبَادِهِ لَكَ مِنَ الْمَحَبَّةِ مَا لَمْ يُؤْتِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ»^(٦).

٥ - يُراعي مشاعر الآخرين، ويخشى أنْ يُفَهَّمَ كلامه على غير وجهه؛ قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَلَا يَدْخُلْ خَوَاطِرَكُمْ^(٧) غِلْظَةُ هَذَا الْكَلَامِ، فَاللَّهُ سَبَحَانَهُ يَعْلَمُ قَصْدِي بِهِ»^(٨).

(١) أي: مؤكدون.

(٢) الدرر السننية في الأوجبة النجدية (٢/٦١).

(٣) أي: مكرمين.

(٤) الدرر السننية في الأوجبة النجدية (١٠/٨٠).

(٥) أي: رسائل.

(٦) الدرر السننية في الأوجبة النجدية (١/٣٥).

(٧) أي: في أنفسكم.

(٨) روضة الأفكار والأفهام (١/٤١٧).

٦ - كان وفيًاً مع من أحسن إليه، فلا ينسى معروف أهل الفضل؛ طلب أمير العينية عثمان بن معمرٍ من الشيخ الخروج من العينية، ولمَا خرج الشيخ إلى الدرعية ونصره الإمام محمد بن سعود ظهر أمره، ندم عثمان بن معمر على خروج الشيخ من بلده، فطلب منه الرجوع إليه في العينية ووعلده بنصره، فقال الشيخ: «ليس ذلك إليّ، إنّه لمحمد بن سعود؛ فإن أراد أن أذهب معك ذهبْتُ، وإن أراد أن أقيّم عنده أقمْتُ، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره»^(١).

٧ - كان شديد التواضع، قال ابن بشير رحمه الله: «ما علمنا أحداً ألين ولا أخفض منه جانباً لطالب علم، أو سائل، أو ذي حاجة، أو مقتبس فائدة»^(٢).

قال الجد عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: «أجمع أئمة الدين في زمانه، وبعد زمانه، على تقدمه في شأنه ونبيله، وعلو مقامه ومكانه»^(٣).

(١) تاريخ نجد (ص ٨٢).

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد (١٨١/١).

(٣) الدرر السنّية في الأジョبة النّجدية (٣١٤/١٦).

سلامة صدره

كان رَحْمَةُ اللَّهِ سليم الصدر، لا يحسد أحداً، ولا يؤذيه، وبيان ذلك في الآتي:

- ١ - يتَحَاشَى أَنْ يُسْيِيَ لَأَحَدٍ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَخَافُ أَطْوُلَ الْكَلَامِ، فِي جَرِيٍ فِيهِ شَيْءٌ يُرْعَلُكُمْ»^(١).
- ٢ - يُكَدِّرُ خَاطِرَهُ ضَجْرُ الْآخَرِينَ مِنْهُ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَالَّذِي يُكَدِّرُ الْخَاطِرَ رَعْلَكُمْ، وَإِظْهَارُكُمْ لِلنَّاسِ الزَّعْلُ وَالتَّغْيِيرُ؛ بِسَبِبِ ظُنُونٍ سُوءٍ»^(٢).
- ٣ - يتَضَاعِفُ مِنْ اسْتِياءِ الْآخَرِينَ مِنْهُ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَا يَخْفَأُكُمْ أَنَّ مَعِي غَيْظًا عَظِيمًا، وَمُضَايَقَةٌ مِنْ رَعْلَكُمْ»^(٣).
- ٤ - يُحِبُّ مَنْ يُنَبِّهُ؛ لِئَلَّا يَبْقَى فِي خَاطِرِهِ أَحَدٌ شَيْءٌ عَلَيْهِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَإِنْ كَانَ بَلْغُكَ عَنِّي شَيْءٌ، فَبَنَاهْنِي جَزَاءُ اللَّهِ خَيْرًا»^(٤).
- ٥ - يَحْثُّ الْآخَرِينَ أَنْ لَا يَبْقَى فِي خَاطِرِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا وَيُنَبَّهُونَهُ عَلَيْهِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ كَانَ جَارِيًّا مَنِي شَيْءٌ تَنْقُدُهُ»^(٥)، فتراني أَحَبُّ أَنْ تُنَبَّهْنِي عَلَيْهِ، لَا تَرْكَ بِيَانَ شَيْءٍ فِي خَاطِرِكَ مِنْ قِبَلِي»^(٦).

(١) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٨/٥٤).

(٢) الرسائل الشّخصية (ص ٣١٨).

(٣) الرسائل الشّخصية (ص ٣١٥).

(٤) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٨/٥٧).

(٥) أي: تعييه على.

(٦) الرسائل الشّخصية (ص ٣١٩).

- ٦ - يُحِبُّ أَنْ يَنْصَحَّهُ أَحَدُ كُلُّمَا غَلِطَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «أَنَا أَجِدُ فِي نَفْسِي أَنَّ وَدِي مَنْ يَنْصَحُّنِي كُلُّمَا غَلَطْتُ»^(١).
- ٧ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ إِنْ رَأَوْا مِنْهُ شَيْئًا عَلَيْهِ، فَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ مِذَاكِرَتِهِ وَمِنْاصِحَتِهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «وَإِنْ كَانَ الصَّوابُ مَعَهُمْ، أَوْ مَعْنَا شَيْءٌ مِنْ الْحَقِّ وَشَيْءٌ مِنْ الْبَاطِلِ، أَوْ مَعْنَا غُلُوٌْ فِي بَعْضِ الْأَمْوَارِ؛ فَالوَاجِبُ مِنْكُمْ مُذَاكِرَتَنَا وَنَصِيحتَنَا»^(٢).
- ٨ - يَذَكُّرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ إِنْ نَبَّهَهُ أَحَدٌ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي خَاطِرِهِ شَيْءٌ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «إِنْ كَانَ مَذْكُورًا لَكُمْ أَنِّي قَاتِلٌ شَيْئًا، أَوْ قَاتِلٌ أَحَدٌ يَحْضُرُنِي كَلَامًا سُوءً وَلَا رَدِيتُ عَلَيْهِ، فَادْكُرُوهُ لِي؛ تَرَى التَّنْبِيهُ حَسَنٌ، وَلَا يَدْخُلُ خَاطِرِي إِلَّا رُبَّمَا أَنِّي أَعْرَفُ أَنَّهُ مَحَبَّةٌ وَصَافُو»^(٣).
- ٩ - لَا يَحْسُدُ أَحَدًا؛ بَلْ يَذَكُّرُ مَحَاسِنَهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «كُنْتُ أَحْكِي لِمَنْ يَتَعَلَّمُ مِنِّي: مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ حَسَنِ الْفَهْمِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ»^(٤).
- قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنُ ابْنُ قَاسِمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «جَمَعَ بَيْنَ خَلْتِي الْعِلْمِ وَالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ، وَالْعَقْلِ وَالْفَضْلِ، وَالْخُلُقِ وَالْخُلُقِ، مَعَ سَلَامَةِ الصَّدَرِ، وَاللَّطْفِ وَالرِّفْقِ، وَحُسْنِ الْيَةِ، وَطِيبِ الظَّوِيَّةِ»^(٥).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٤٢٣/١).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤٤٢/١).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٣١٨).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٠).

(٥) الدرر السنّية في الأجبوبة النّجدية (٣٢٣/١٦).

صفاته

جَمَعَ اللَّهُ لِهِ مِنَ الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ مَا أُوجِبَتْ لَهُ الْقَبْولُ، فَكَانَ يَتَحَلَّ بِصَفَاتِ جَلِيلَةٍ؛ مِنْهَا :

- ١ - كَانَ ذَا رَأْيِ سَدِيدٍ، وَفِرَاسَةً.
- ٢ - كَانَ سَمِحًاً جَوادًا كَرِيمًا.
- ٣ - كَانَ عَطَاؤُهُ عَطَاءً مَنْ وَثِيقَ بِاللَّهِ.
- ٤ - كَانَ يَتَحَمَّلُ الدِّينَ الْكَثِيرَ لَا ضِيَافَهُ وَسَائِلِيهِ وَالْوَافِدِينَ عَلَيْهِ.
- ٥ - كَانَ بَيْتُ الْمَالِ تَحْتَ يَدِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ وَرِعًا مَتَعَفِّفًا، وَلَمْ يُخَلِّفْ لَوْرَثَتِهِ شَيْئًا، قَالَ تَلَمِيذُهُ ابْنُ غَنَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «تَوْفَيْتُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِينَارًا وَلَا درَهْمًا، فَلَمْ يُوزَعْ بَيْنَ وَرَثَتِهِ مَالٌ وَلَمْ يُقْسَمْ؛ بَلْ كَانَ عَلَيْهِ دِينٌ كَثِيرٌ»^(١).

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَعْدُودٌ مِنْ أَكَابِرِ السَّلْفِ الْمَاضِينَ»^(٢).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٩٠٣/٢).

(٢) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (١٦/١).

ذَكَاوَهُ

كان شديد الذكاء، سريع الحفظ، حاد الفهم، قوي الإدراك، ومما يدل على ذلك:

- ١ - حفظ القرآن قبل بلوغه سن العاشرة.
- ٢ - حفظ أحاديث كثيرة، قال الجد عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: «برع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ مثله، مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدليل»^(١).
- ٣ - ظهر نبوغه مبكراً، فقد أرسل والده رساله إلى الشيخ أحمد المنصور، وفي آخرها يبلغه سلام ابنه محمد بن عبد الوهاب، وعمره أقل من عشر (١٠) سنوات^(٢).
- ٤ - قدمه والده إماماً للصلوة بالناس وعمره اثنا عشر (١٢) عاماً.
- ٥ - كان يُناطر أباه وعممه وعمره اثنا عشر (١٢) عاماً في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد، والوجوه عن الأصحاب، وناظرهما في مسائل قرأها في «الشرح الكبير» و«المغني» و«الإنصاف»؛ لما فيها من مخالفة ما في متن «المُنتهى» و«الإقطاع».

(١) الدرر السنية في الأجوية النجدية (١٦/٣٢٣).

(٢) الشيخ أحمد المنصور توفي رحمه الله عام (١١٢٥هـ)، ومحمد بن عبد الوهاب ولد عام (١١١٥هـ).

٦ - عَجِبَ أَهْلُهُ مِنْ فِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ، قَالَ أخْوَهُ سَلِيمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ أَبُوهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ فَهْمِهِ، وَيَعْتَرِفُ بِالاستفادةِ مِنْهُ مَعَ صِغْرِ سِنِّهِ»^(١).

٧ - كَانَ ذَا نَبَاهَةً، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَحَدٍ خُصُومِهِ: «وَلِيُسَ الَّذِي يَذْكُرُ هَذَا عَنْكَ بِعَشْرَةٍ»^(٢) وَلَا عَشْرِينَ وَلَا ثَلَاثِينَ، وَلَا أَنْتَ بِمُتْخَفٍ فِي ذَلِكَ، شَمَّ تَظَنُّ فِي حَاطِرِكَ أَنَّ هَذَا يَخْفِي عَلَيَّ وَأَنَا أَصْدِقُكَ إِذَا قُلْتَ مَا قُلْتَ؟!»^(٣).

٨ - كَانَ يَعْرِفُ خُطُوطَ النَّاسِ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَمَّا مِنْ بَابِ السُّؤَالَاتِ، وَأَنَّكُمْ بِلُغَتِكُمْ أَنِّي ظَانُّ أَنَّهَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، فَهَذَا عَجَبٌ؛ كَيْفَ تَظَنُّونَ أَنِّي مَا أَعْرِفُ خَطَّ ابْنِ صَالِحٍ؟!»^(٤).

قال الشَّيخ عبد اللَّطِيفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ مِنْ وَالدِّيْهِ وَمِنْ فَقَهَاءِ نَجْدٍ فِي وَقْتِهِ، وَاشْتَهَرَ عَنْهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْذِكَاءِ، وَعُرِفَ بِهِ عَلَى صِغْرِ سِنِّهِ»^(٥).

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص ١٧).

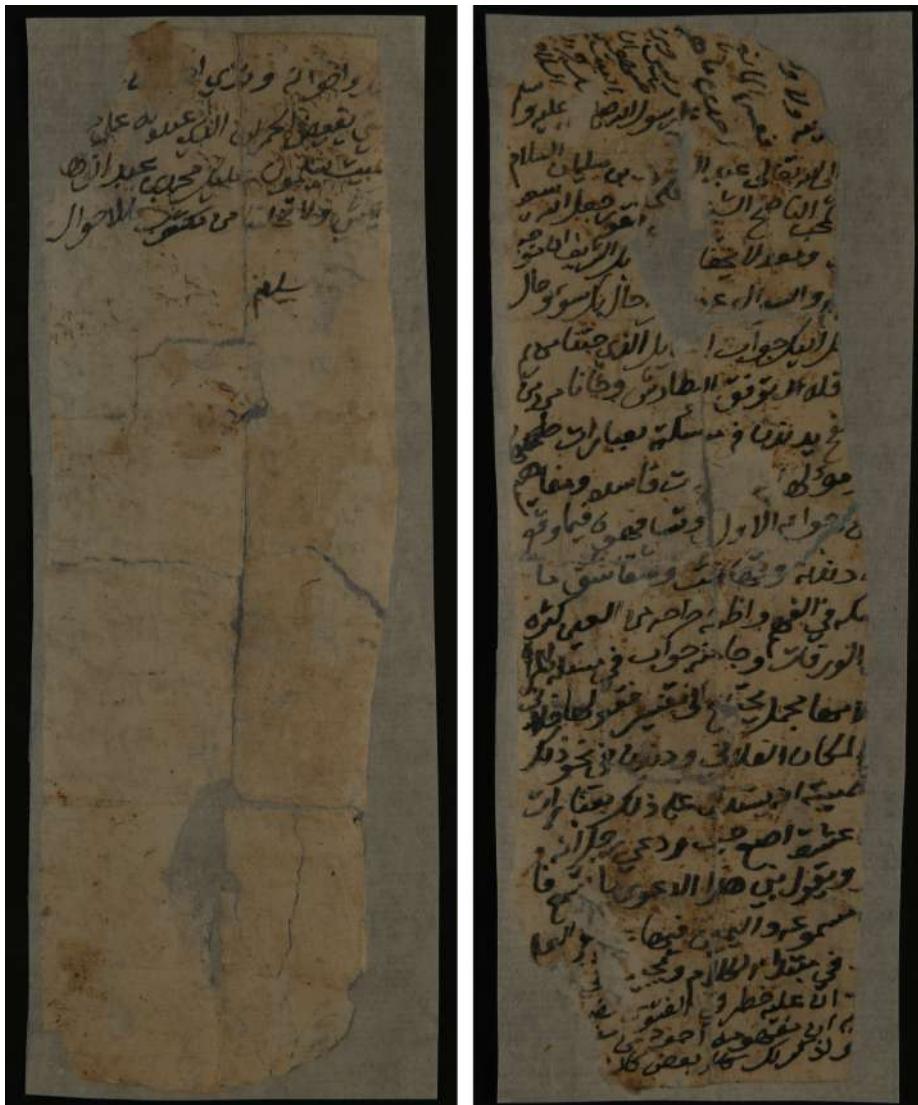
(٢) أي: عشرة رجال.

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٠).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٣١٨).

(٥) مصباح الظلام (٤٩/١).

رَسَالَةُ وَالِدِ الشَّيْخِ إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْمَنْقُورِ
وَفِي آخِرِهَا يُبَلَّغُهُ سَلَامُ ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ



عِبَادَتُهُ

كان الشّيخ رحمه الله إلى جانب علمه عابداً، ومن ذلك ما يأتي:

- ١ - يُذَكِّرُ نفسه وغيره بالإخلاص، قال رحمه الله: «الواجب على الكلّ مِنَّا ومنكم - أنه يقصد بعلميه وجه الله»^(١).
- ٢ - كان يُحيي كثيراً من الليل بالصلوة.
- ٣ - كان مُكثراً مِن تلاوة القرآن في دجى الظلام.
- ٤ - كان في النّهار يشتغل بالتدريس والتصنيف.
- ٥ - كان كثير الذّكر لله، قلّ ما يفتر لسانه مِن قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر»، وإذا كان النّاس يتظرونّه، يعلّمون إقباله عليهم قبل أن يرّوه؛ مِن كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتّهليل والتّكبير.

قال الجُدُّ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: «كانت حاله رحمه الله في العبادة والرُّهد والورع مشهورة بين الأنام»^(٢).

(١) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٥٦/١).

(٢) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٣٣٩/١٦).

الفصل الثالث

مسيرته العلمية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: رحلته في طلب العلم.

المبحث الثاني: شيوخه.

المبحث الثالث: إجازاته.

المبحث الرابع: غزارة علمه.

المبحث الخامس: حسنه تصنيفه.

المبحث السادس: طريقته في التغليم.

رِحْلَتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

طَلَبَ الْعِلْمَ مُبَكِّرًا قَبْلَ بلوغِهِ عَلَى مَشَايخِ بَلدَتِهِ - الْعُيَيْنَةِ -، ثُمَّ رَحَلَ لِطلبِ الْعِلْمِ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْبَصَرَةِ^(١) وَالْأَحْسَاءِ مَرَارًا، وَاجْتَمَعَ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَسَمِعَ وَنَاظَرَ، وَبَحَثَ وَاسْتَفَادَ؛ وَبِيَانٍ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - طَلَبَ الْعِلْمَ فِي الْعُيَيْنَةِ عَلَى وَالدِّهِ وَعَلَى عُلَمَائِهَا.
- ٢ - فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَةِ مِنْ عُمُرِهِ سَافَرَ لِلْحَجَّ، ثُمَّ قَصَدَ الْمَدِينَةَ لِطلبِ الْعِلْمِ، وَمَكَثَ بِهَا شَهْرَيْنِ.
- ٣ - عَادَ لِلْعُيَيْنَةِ، وَشَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى وَالدِّهِ وَعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْفَقَهِ عَلَى مَذَهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ.
- ٤ - سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ مَرَارًا لِطلبِ الْعِلْمِ.
- ٥ - أَخْذَ يَتَرَدَّدُ عَلَى عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً، وَقَرَأَ فِيهَا عَلَى الْعُلَمَاءِ الْأَتَى ذَكْرُهُمْ:
 - أ - الْمُحَدِّثُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ سِيفِ النَّجْدِيِّ - مِنَ الْمَجْمَعَةِ^(٢) -، ثُمَّ الْمَدِينَيِّ.

(١) الْبَصَرَةُ: مَدِينَةٌ جَنُوبُ شَرْقِ بَغْدَادِ، تَبَعُّدُ عَنْهَا خَمْسَ مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ (٥٣٠) كِيلُومِترًا.

(٢) الْمَجْمَعَةُ: شَمَالُ غَربِ الرِّيَاضِ، تَبَعُّدُ عَنْهَا مِائَةٍ وَتِسْعِينَ (١٩٠) كِيلُومِترًا.

- ب - محدث الحرمين محمد بن محمد إبراهيم السندي المدنى - له حاشية على صحيح البخاري ، قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : «وكان له أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة الله ، والتخلص من رق التقليد الأعمى ، والاشغال بالكتاب والسنّة»^(١).
- ج - المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي.
- د - المحدث علي أفندي بن صادق الداغستانى ، ثم الدمشقي.
- ٦ - رجع إلى العينية ومكث فيها سنة كاملة.
- ٧ - رحل إلى البصرة وطالت إقامته بها ، وقرأ وكتب بها كثيراً من الحديث والفقه واللغة ، ولازم في البصرة عالماً من علمائها الأجلاء ؛ وهو الشيخ محمد المجموعي البصري.
- ٨ - رحل إلى الأحساء ، ولقي فيها فحول العلماء؛ منهم: ابن عمته الشيخ عبد الله بن محمد ابن فiroز.
- ٩ - رجع من الأحساء إلى البصرة ، قال حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : «أعلت همته إلى طلب التفسير والحديث ، فسافر إلى البصرة غير مرّة ، كل مرّة يُقيم بين من كان بها من العلماء»^(٢).

(١) مصبح الظلام (٢٥٥ / ٢).

(٢) الدر السنّي في الأجوية النجدية (٦ / ١٢).

١٠ - خرج من البصرة قاصداً الحجّ، ولمّا قضى الحجّ وقف في المُلْتَزَمِ، وسأله اللّه تعالى: «أن يُظْهِرْ هذا الدّين بدعوته، وأن يرزقه القبول من النّاس»^(١).

١١ - قَدِمَ المدينة بعد الحجّ، فأقام بها، وعمل فيها ما يأتي:

أ - حضرَ عند عدِّ مِنَ العلماء؛ منهم: المُحَدّث مُحَمَّد حيَا السِّنْدِيُّ، وأخذ عنه كتب الحديث إجازةً في جميعها، وقراءةً لبعضها.

ب - وَجَدَ فيها بعضُ الحنابلة فانتفع منهم.

ج - كتبَ بيده «صحيح البخاريّ».

د - كتبَ بيده «زاد المعاد» لابن القيم؛ أربعة مجلدات.

ه - حفِظَ «ألفية ابن مالك»، وحضرَ دروس النحو^(٢).

١٢ - قَصَدَ نَجْدًا ووْجَدَ والَّدَهُ قد ارْتَحَلَ إِلَى بلدة حُرَيْمَلَاء، فاستقرَّ معه فيها سِنِين، واستأنف القراءة على والده، وصار له أوقاتٌ خاصةً يُطَالِعُ فيها كُتب التَّفْسِير والحديث والأصول، وكُتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ووْجَدَ في كتب هذين الإمامين من العلوم الصَّحِيحة، والأقوال المبنية على الكتاب والسُّنَّة، والتَّحقيق، والأحكام المطابقة للعقل والنَّقل؛ ما زاده بصيرةً وفَهْمًا وتحقيقاً.

(١) الدرر السنّية في الأجرة النّجدية (٨/١٢).

(٢) الدرر السنّية في الأجرة النّجدية (٩/١٢).

١٣ - مجموع ما قطعه الشَّيخ في رحلاته العلميَّة أكثر من عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) كيلومتر.

قال حفيده الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحْمَةُ اللَّهِ: «الْمُعَوَّل»^(١) على ما وَهَبَهُ اللَّهُ من الفَهْمِ والِحْفَظِ، وَتَمِيزَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَمَا يَنافِيهِ مِنَ الشَّرُكِ الأَكْبَرِ، وَسَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَعْرِفَةُ مَا خَالَفَ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدَعِ؛ أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ عِلْمًا عَظِيمًا، فَصَارَ بِذَلِكَ يُشَبِّهُ أَكَابِرَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ»^(٢).

(١) أي: المعتمد.

(٢) الدرر السننية في الأجوبة النجدية (٩/١٢).

**رُحْلَتُهُ مِنْ الْعُيَيْنَةِ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثُمَّ الْعُيَيْنَةِ مِرَارًا
وَمَسَافَةُ الرُّحْلَةِ الْوَاحِدَةِ:
أَلْفَانِ وَمِئَةِ وَسِتُّونَ (٢١٦٠) كِيلُومِترًا**



رَحْلَتُهُ مِنْ الْعُيَيْنَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ مِزَاراً
وَمَسَافَةُ الرَّحْلَةِ الْواحِدَةِ ذَهَاباً وَإِيَاباً:
أَلْفُ وَخَمْسُ مِئَةٍ وَثَمَانُونَ (١٥٨٠) كِيلُومِترًا



**رِحْلَتُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْأَحْسَاءِ مِرَارًا
وَمَسَافَةُ الرِّحْلَةِ الْوَاحِدَةِ ذَهَابًا وَإِيَابًا:
أَلْفُ وَثَلَاثُ مِئَةٍ وَعَشْرُونَ (١٣٢٠) كِيلُومِترًا**



رُحْلَتُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثُمَّ حَرَيْمَلَاءَ
وَمَسَافَةُ هَذِهِ الرُّحْلَةِ:
أَلْفَانِ وَثَمَانِ مِئَةِ وَثَمَانُونَ (٢٨٨٠) كِيلُومِترًا



شُيوخُهُ

خلال طلبه للعلم، ورحلاته المتعددة أخذ العلم عن عدد من العلماء؛ منهم:

- ١ - والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان.
- ٢ - عمّه الشيخ إبراهيم بن سليمان.
- ٣ - المحدث عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي، ثم المدنى.
- ٤ - المحدث محمد حياة بن محمد إبراهيم السندي المدنى.
- ٥ - المحدث إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقى.
- ٦ - المحدث علي أفندي بن صادق بن محمد الداغستانى، ثم الدمشقى، من مشايخ الشام، اجتمع به في المدينة المنورة.
- ٧ - الشيخ محمد المجموعي البصري،قرأ عليه في مدرسة البصرة.
- ٨ - الشيخ عبد اللطيف العفالقى الأحسائى.
- ٩ - الشيخ محمد العفالقى الأحسائى.
- ١٠ - ابن عمته الشيخ عبد الله بن محمد ابن فiroز، أبو محمد الكفيف الأحسائى.

أجازاته

بلغ الشّيخ منزلة عالیة من العِلْم، فأجازه العلماء في كُتب الحديث والعقيدة والفقه وغيرها، ومِمَّنْ أجازه:

١ - الشّيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف التّبجدي ثمَ المدْنِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَمِمَّا أجازه فيه^(١):

أ - «الْحَدِيثُ الْمُسْلَسُلُ بِالْأَوَّلِيَّةِ»؛ وهو أول ما سمع منه بالسند المُتَّصِّل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «الرَّاجِحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ»^(٢).

ب - «مُسْلَسُلُ الْحَنَابَلَةِ»؛ سمعه منه بالسند المُتَّصِّل إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا اسْتَعْمَلْهُ، قَالُوا: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلِ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ»^(٣).

٢ - المُحَدِّث مُحَمَّد حِيَاة بْن مُحَمَّد إِبْرَاهِيمَ السَّنْدِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

٣ - المُحَدِّث عَلِيُّ أَفْنَدِي بْنُ صَادِقَ بْنُ مُحَمَّدِ الدَّاغْسْتَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/٢١٠)، الدرر السننية في الأجوية التجديّة (١٦/٣١٦).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم ٦٤٩٤.

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم ١٢٠٣٦.

٤ - الشَّيْخُ عبدُ اللَّطِيفِ الْعَفَالِقِيُّ الْأَحْسَائِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الشَّيْخُ عبدُ اللَّطِيفِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَجَازَهُ الْكَثِيرُ»^(١).

وقال أَيْضًاً: «وَسَنْدُهُ الْمُتَّصِلُ بِأَئِمَّةِ الْمَذَهَبِ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ، مَعْرُوفٌ مُؤْرَرٌ عِنْدَهُمْ»^(٢).

(١) مصباح الظلام (٢٥٥/٢).

(٢) مصباح الظلام (٣٥٤/١).

غَزَارَةُ عِلْمِهِ

حَصَّلَ الشَّيْخُ عِلْمًا غَزِيرًا، فَعَمَّ عِلْمُهُ الْأَنَامُ، وَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ عَلَى مَرْأَتِهِ، وَغَزَارَةُ عِلْمِهِ تَبَيَّنَ فِي الْآتِيِّ:

- ١ - برع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، قال الجُدُّ عبد الرحمن ابن قاسم رضي الله عنه: «وله من المسائل المستنبطة من كتاب الله ما يقتصر عنه فهم الفحول الأفضل، ولا يقدر على إبرازه ذُرُوف التَّدقيق من الأمثل، تكلَّم على غالب السُّور، واستنبط منها من الفوائد ما لم يسبق إليه»^(١).
- ٢ - حفظ وسمع الحديث، وأكثر في طلبه، وبرع فيه، ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره في زمانه.
- ٣ - كان عالماً شامخاً في العقيدة.
- ٤ - دقيق في التَّفَرِيق بين مسائل أصول الدين، فضلاً عن فروعها، قال رضي الله عنه: «أَصْلُ الإِشْكَالِ: أَنَّكُمْ لَمْ تُفَرِّقُوا بَيْنَ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَبَيْنَ فَهْمِ الْحُجَّةِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَفْهُمُوا حُجَّةَ اللَّهِ مَعَ قِيَامِهَا عَلَيْهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]»^(٢).

(١) الدرر السننية في الأرجوحة النجدية (١٦/٣٣٨).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٤٤).

٥ - فاق علماء عصره في الفقه.

٦ - كان يجادل كلَّ عالمٍ مِنْ أتباع المذاهب الأربعة بمذهبه، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ أَجَادَلُهُ بِمَذْهَبِهِ؛ إِنْ كَانَ شَافِعِيًّا فِي كَلَامِ الشَّافِعِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ مَالِكِيًّا فِي كَلَامِ الْمَالِكِيَّةِ، أَوْ حَنْبَلِيًّا، أَوْ حَنْفَيًّا، فَكَذَلِكَ»^(١).

وقال أيضًا: «أَنَا أَخَاصِمُ الْحَنْفَيَّ بِكَلَامِ الْمُتَأْخِرِينَ مِنَ الْحَنْفَيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّ، وَالشَّافِعِيَّ، وَالْحَنْبَلِيَّ؛ كُلُّ أَخَاصِصُهُ بِكُتُبِ الْمُتَأْخِرِينَ مِنْ عُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِمْ»^(٢).

٧ - له كلُّ يوم مجالس عديدة في التَّدْرِيس في فنون العلم.

٨ - رحل إليه طلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ مُخْتَلِفِ النَّوَاحِي.

٩ - كان حريصاً على جَمْعِ الكتب، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «تَعْرُفُ حِرْصِي عَلَى الْكِتَبِ»^(٣).

١٠ - كان أهل العلم يستعيرون منه الكتب، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «مَجْمُوعُ ابْنِ رَجِبٍ تَرَى مَا جَاءَنَا، فَهُوَ عَارِيَةٌ مُؤَدَّأَةٌ وَإِنْ لَمْ تَأْتَنَا»^(٤).

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنُ ابْنُ قَاسِمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «مَنْ طَالَعَ مُصَنَّفَاتِهِ، وَاسْتَقَرَّ سِيرَتَهُ وَمُؤَلَّفَاتِهِ، عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ أَغْزِرِ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَحَدُهُمْ

(١) الرَّسَائلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ١٤٤).

(٢) روضةُ الأفكار والأفهام (٤١٤/١).

(٣) الرَّسَائلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٠٧).

(٤) روضةُ الأفكار والأفهام (٤٢٧/١).

فَهُمَاً، وَأَنفَذُهُمْ عَزْمًا وَأَشْجَعُهُمْ؛ بَلْ هُوَ مِنْ أَكَابِرِ السَّلْفِ، وَهَذِهِ كُتُبُهُ
وَفَتَاوَاهُ وَرَسَائِلُ دُعْوَتِهِ تَشَهَّدُ بِذَلِكِ؛ وَهُوَ الْمَرْجِعُ فِي وَقْتِهِ فِي سَائِرِ
الْعُلُومِ وَالْفَتاوِيِّ»^(١).

(١) الدرر السننية في الأجوية النجدية (١٦ / ٣٣٨).

حسن تصنيفه

وَهَبَ اللَّهُ الشَّيْخُ حُسْنَ التَّصْنِيفِ، وَسُرْعَةُ الْكِتَابَةِ، فَانْتَفَعَ بِمُؤْلَفَاتِهِ
الْعُلَمَاءُ وَالْعَامَّةُ، وَبِيَانِ ذَلِكَ فِي الْآتِيِّ :

- ١ - امتازت مُصَنَّفَاتُهُ بِالاستدلال من الكتاب والسنّة وأقوال السَّلَفِ.
- ٢ - سُهولةُ عباراته ووضوحها.
- ٣ - مُصَنَّفَاتُهُ صالحة للعلماء والعامّة.
- ٤ - التَّدْرِجُ فِي الْمُصَنَّفَاتِ لِطَلَابِ الْعِلْمِ وَالْعَامَّةِ.
- ٥ - تنوّعت مُصَنَّفَاتُهُ فِي مُخْتَلِفِ الْفَنُونِ؛ فَصَنَّفَ فِي التَّفْسِيرِ،
وَالْحَدِيثِ، وَالْعِقِيدَةِ، وَالْفَقِهِ، وَالسِّيرَةِ، وَالْوَاعْظَ، وَغَيْرِهَا.
- ٦ - في مصَنَّفَاتِهِ النُّصْحُ فِي التَّعْلِيمِ، فَكَانَ يَسْتَفْتِحُهَا بِالْدُّعَاءِ
لِلْطَّالِبِ، وَمِنْ تِلْكَ الْأَدْعَيَةِ :
 - أ - اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ.
 - ب - اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ.
 - ج - اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتَهُ.
 - د - اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتَهُ، وَاحاطَكَ بِحِيَا طَهَّ، وَتَوَلَّكَ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- هـ - اعْلَمْ وَفَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِلإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- وـ - أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَتُوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارِكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمْنُ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرًا، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ.
- ٧ - كَانَ سَرِيعَ الْكِتَابَةِ؛ وَرُبَّمَا كَتَبَ الْكُرَاسَةَ^(١) فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ.
- ٨ - عَجَزَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَجْدُوا فِي مُصَنَّفَاتِهِ مَا يُعَابٌ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَ^{رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ} : «تَتَبَعَّ الْعُلَمَاءُ مُصَنَّفَاتِهِ^{رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ} مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَغَيْرِهِمْ، فَأَعْجَزَهُمْ أَنْ يَجْدُوا فِيهَا مَا يُعَابٌ»^(٢).
- ٩ - شَهِدَ لِهِ الْعُلَمَاءُ بِحُسْنِ التَّصْنِيفِ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنَ^{رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ} عَنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: «شَهِدَ لِهِ بِفَضْلِهِ بِتَصْنِيفِهِ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ»^(٣).
- ١٠ - أَوْصَى الْعُلَمَاءُ بِقِرَاءَةِ كِتَبِهِ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنَ^{رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ} : «أُوصِيكَ بِالاشْتِغَالِ وَالْمُطَالَعَةِ فِي كُتُبِهِ، وَتَأَمَّلِ مَا فِيهَا مِنْ الأَدَلَّةِ»^(٤).

(١) تُقَارِبُ عَشْرِينَ صَفْحَةً.

(٢) الْدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (٤٤٦/١).

(٣) الْدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (٧/١٢).

(٤) الْمُطَلَّبُ الْحَمِيدُ فِي بَيَانِ مَقَاصِدِ التَّوْحِيدِ (ص ٢٩٠).

طَرِيقَتُهُ فِي التَّعْلِيمِ

اتَّخَذَ رَحْمَةُ اللَّهِ طَرِيقَةً فَرِيدَةً فِي التَّعْلِيمِ، وَبَيَانُهَا فِي الْآتِيِّ:

- ١ - بَيْنَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى لِتَعْلِيمِ النَّاسِ أَنْ تَكُونُ عَلَى حَسْبِ فَهْوَ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يُعْلَمَ الْإِنْسَانُ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ: - فِإِنْ كَانَ مِنْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، أَوْ عُرِفَ أَنَّهُ ذَكِيٌّ: فَيُعْلَمُ أَصْلَ الْدِينِ وَأَدْلَتَهُ، وَالشَّرْكُ وَأَدْلَتَهُ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَيَجْتَهِدُ أَنَّهُ يَفْهَمُ الْقُرْآنَ فَهُمْ قَلْبٌ.
- وَإِنْ كَانَ رَجُلًا مُتوسِطًا: ذُكْرُ لَهُ بَعْضُ هَذَا.
- وَإِنْ كَانَ مِثْلَ غَالِبِ النَّاسِ ضَعِيفَ الْفَهْمِ: فَيُصَرِّحُ لَهُ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ، مِثْلَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمُعاَذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، وَيُصِفُ لَهُ حُقُوقَ الْخَلْقِ؛ مِثْلَ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَحَقِّ الْأَرْحَامِ، وَحَقِّ الْوَالِدِينِ...»^(٢).
- ٢ - يَنْهَا عَنِ احْتِقارِ النَّاسِ فِي التَّعْلِيمِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَا تَحْقِرُ عَنِ التَّعْلِيمِ مَنْ تَظْنُهُ أَبْعَدَ النَّاسَ عَنْهُ، وَلَا تَسْتَبِعْدَ فَضْلَ اللَّهِ»^(٣).

(١) فِي قَوْلِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «يَا مُعَاذُ، أَتَنْدِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» رواه البخاريُّ، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفَرس والحمار، رقم (٢٨٥٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكِنٍ فِيهِ؛ دخل الجنةَ وَحْرَمَ عَلَى النَّارِ، رقم (٣٠).

(٢) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّجَدِيَّةِ (١٧٠/١).

(٣) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّجَدِيَّةِ (٢٥٢/١٣).

٣ - كان يُعلّم النّاس الآتي:

أ - أركان الإسلام وما تفرّع منها.

ب - التّفسير.

ج - الحديث.

د - السّيرة النّبوية.

٤ - يُعلّمُهُم التّعلّق بالله، قال رَحْمَةُ اللهِ: «مِنْ أَعْظَمِ مَا تُنَبِّهُهُ عَلَيْهِ: التَّضْرُّعُ عَنْهُ اللَّهُ، وَالنَّصِيحَةُ، وَإِحْضارُ الْقَلْبِ فِي دُعَاءِ الْفَاتِحةِ إِذَا صَلَّى»^(١).

(١) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (١٧٠ / ١).

الفصل الرّابع

دُعْوَتُهُ

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأوّل: دِينُ مَنْ حَوْلَهُ.

المبحث الثاني: مَسِيرَتُهُ الدَّعَوِيَّةُ.

المبحث الثالث: حَقِيقَةُ دُعْوَتِهِ.

المبحث الرّابع: لَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ.

المبحث الخامس: دُعْوَتُهُ هِيَ دُعْوَةُ الْعُلَمَاءِ.

دِينُ مَنْ حَوْلَهُ

عاشَ كَلِيلًا في زَمِنٍ بَعْدٍ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ، وَقَدْ وَصَفَ الشَّيْخُ ذَلِكَ الْحَالَ بِالْآتِيِّ :

١ - كَانُ عُلَمَاءُ زَمِنِهِ لَا يَعْرُفُونَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الْعُلَمَاءِ فَمَا الظَّنُّ بِالْعَامَّةِ؟! قَالَ كَلِيلًا: «وَأَنَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ نَفْسِي، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ طَلَبْتُ الْعِلْمَ، وَاعْتَقَدَ مَنْ عَرَفَنِي أَنَّ لِي مَعْرِفَةً، وَأَنَا ذَلِكَ الْوَقْتَ لَا أَعْرِفُ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَلَا أَعْرِفُ دِينَ الْإِسْلَامَ قَبْلَ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ.

وَكَذَلِكَ مَشَايِخِي؛ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَرَفَ ذَلِكَ، فَمَنْ زَعَمَ مِنْ عُلَمَاءِ (الْعَارِضِ)^(١) أَنَّهُ عَرَفَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، أَوْ عَرَفَ مَعْنَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتَ، أَوْ زَعَمَ عَنِ مَشَايِخِهِ أَنَّ أَحَدًا عَرَفَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى، وَلَبَّسَ عَلَى النَّاسِ، وَمَدَحَ نَفْسَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ^(٢).

٢ - أَكْثَرُ مَنْ حَوْلَهُ لَمْ يَسْمَعْ بِالْتَّوْحِيدِ، قَالَ كَلِيلًا: «عُرِفْتُ بِبَيَانِ التَّوْحِيدِ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ آذَانَ أَكْثَرِ النَّاسِ»^(٣).

(١) الْعَارِضُ : الرِّيَاضُ وَمَا حَوْلُهَا.

(٢) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ١٨٦).

(٣) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٤).

٣ - كان منهم من يطلب المَدَدَ والغوث مِنْ غير الله، قال ﷺ لأحدٍ خصوصه: «تَقُولُ: إِنِّي أَعْرُفُ التَّوْحِيدَ، وَتُقْرِئُ أَنَّ مَنْ جَعَلَ الصَّالِحِينَ وَسَائِطًا فَهُوَ كَافِرٌ، وَالنَّاسُ يَشْهُدُونَ عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرُوحُ لِلْمَوْلَدِ وَتَقْرُؤُهُ لَهُمْ، وَتَحْضُرُهُمْ وَهُمْ يَنْخُونَ وَيَنْدُبُونَ مَا يَخْهُمْ^(١)، وَيَطْلَبُونَ مِنْهُمُ الْغَوثَ وَالْمَدَدَ»^(٢).

٤ - كان منهم مُتَصوِّفةٌ يعتقدون أنَّ الله مَتَّحدٌ مع مخلوقاته، فمنْ يعبد جماداً فقد عَبَدَ الله، قال ﷺ: «مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ ضَلَالًا مُتَصوِّفةٌ في (معكال)^(٣) وغيره؛ مثل: ولد موسى بن جουان، وسلامة بن مانع، وغيرهما، يَتَّبعُونَ مذهب ابن عربىٰ وابن الفارض، وقد ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمَ أَنَّ ابْنَ عَرْبَىٰ مِنْ أَئْمَمَةِ أَهْلِ مذهب الْاتِّحادِيَّةِ، وَهُمْ أَغْلَظُ كُفَّارًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»^(٤).

٥ - منهم من يُنْكِرُ الْبَعْثَ، قال ﷺ: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ أَرْضِنَا وَأَرْضِ الْحِجَازِ: الَّذِي يُنْكِرُ الْبَعْثَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مَنْ يُقْرِئُ بِهِ»^(٥).

٦ - منهم من كَفَرَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلُّهُ، وَتَبَرَّأَ مِنَ الدِّينِ، واستهزأ بِمَنْ يُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ، قال ﷺ: «تَعْرُفُونَ أَنَّ الْبَادِيَّةَ قَدْ كَفَرُوا بِالْكِتَابِ

(١) أي: يقصدونهم ويدعونهم.

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٨٩).

(٣) معكال: مكان يقع الآن وسط الرياض.

(٤) الرسائل الشخصية (ص ١٨٩).

(٥) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (١٠/٤٣).

كُلُّهُ، وَتَبَرَّؤُوا مِنِ الدِّينِ كُلُّهُ، وَاسْتَهْزَءُوا بِالْحَضَرِ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِالْبَاعِثِ»^(١).

٧ - مِنْهُمْ مَنِ ارْتَدَّ وَأَبْغَضَ الدِّينَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنَ الْكُفَّارِ: «رِجَالٌ عَنْدَنَا فِي
الدُّرِّعِيَّةِ، وَفِي الْعُيْنَةِ، الَّذِينَ ارْتَدُوا وَأَبْغَضُوا الدِّينِ»^(٢).

٨ - مِنْهُمْ مَنْ يَرْتَكِبُ نُواقِضَ عَدِيدَةَ لِلإِسْلَامِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنَ الْكُفَّارِ: «فَإِنْ
كَانَ لِلْوُضُوءِ ثَمَانِيَّةُ نُواقِضٍ، فَفِيهِمْ مَنْ نُواقِضُ الْإِسْلَامَ أَكْثَرَ مِنَ الْمِائَةِ
نُواقِضٍ»^(٣).

٩ - عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ مَلَأَتِ الْأَرْضَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنَ الْكُفَّارِ: «لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ
مَا مَلَأَ الْأَرْضَ مِنَ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ»^(٤).

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنَ الْكُفَّارِ: «عَمِّتُ فِي
زَمْنِهِ الْبَلْوَى بِعِبَادَةِ الْأُولَيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَأَطْبَقْتُ عَلَى تَرْكِ
الْإِسْلَامِ جُمِهُورُ أَهْلِ الْبَسيْطَةِ»^(٥)^(٦).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٤٢٩/١).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢١٢).

(٣) روضة الأفكار والأفهام (٣٣٩/١).

(٤) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٤١/٢).

(٥) أي: الأرض.

(٦) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٤٥٦/١).

مسيرته الدعوية

بعد أن رأى حال دين من حوله؛ بدأ يدعوا إلى الله، وكانت مسيرته الدعوية في الآتي:

- ١ - بعد فراغه من رحلاته العلمية عام (١١٣٩هـ) استقر مع والديه في حريماء، وبدأ يدعوا من حوله إلى الله.
- ٢ - بعد وفاة والده عام (١١٥٣هـ) صدح بالدعوة في حريماء.
- ٣ - ارحل إلى العيينة؛ داعياً إلى الله.
- ٤ - خرج إلى الدرعية عام (١١٥٧هـ)، فتَرَّلَ عند الشيخ عبد الله بن سُويْلِم رحمه الله، وبات عنده ليلة.

ثم انتقل إلى تلميذه الشيخ أَحْمَد بْن سُويْلِم الْعَرَيْنِي رحمه الله. ولما علم الأمير مُحَمَّد بْن سَعْد رحمه الله بمقدمته، أتاها وسلم عليه، واستقبله بالحفاوة والإكرام، وأخبره أنه يمنعه مما يمنع منه أولاده من جميع من عاداه وكاده.

قالت موضي بنت سلطان أبو وهطان - زوجة الإمام مُحَمَّد بْن سَعْد - مؤيدةً نصرة زوجها للشيخ: «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَهُوَ غَنِيمَةٌ، فَاغْتَنِمْ مَا حَصَّكَ اللَّهُ بِهِ»^(١).

(١) عنوان المَجْدُ في تاريخ نَجْد (٤٣/١).

**وأقام الشَّيخ عند الإمام يَدْعُو النَّاس وَيُعَلِّمُهُم إلى أَنْ تُؤْفَى
بِالدُّرْعَيَّةِ عام (١٢٠٦هـ).**

وانتفاع النَّاس بدعوة الشَّيخ وانتشارُها إِنَّما هو بفضلِ اللَّهِ، ثُمَّ
بفضلِ الإمام مُحَمَّد بن سعود رَحْمَةُ اللَّهِ، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنُ ابن
قاسمِ رَحْمَةُ اللَّهِ عن الإمام مُحَمَّد بن سُعُودِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الشُّجاع، إِمامُ الْمُسْلِمِينَ،
جامعُ كُلِمةِ الْمُؤْمِنِينَ، نَاصِرُ الْمُوَحَّدِينَ، ذُو الرَّأْيِ الْبَاهِرِ، وَالْعُقْلُ
الْوَافِرُ، جُدُّدُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى يَدِيهِ، وَأُحْيَيَتِ السُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ
بِمَوَاضِيهِ»^(١) .^(٢)

(١) جَمْعُ ماضِيٍّ، وَهُوَ السَّيفُ. تاجُ العروض (٣٩/٥٤٠).

(٢) الدرر السننية في الأجوية النجدية (١٦/٣٤٧).

الدُّرْعِيَّةُ عام (١٣٨٧هـ)



مسيرته الدعوية



حَقِيقَةُ دَعْوَتِهِ

كان يَدْعُو لِمَا دعا إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِيَانِ ذَلِكَ فِي الْآتِيِّ :

١ - يَدْعُو إِلَى صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ رَبُّكُمْ لَهُ : «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ بَعْثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ، لَا يُجْعَلُ مَعَهُ أَحَدٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْتَّائِلَةِ، لَا مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ، وَلَا قَبْرٌ وَلَا حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكُ»^(١).

٢ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ وُجُوبَ مَتَابِعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ رَبُّكُمْ لَهُ : «أَمَّا مُتَابِعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِهِ مُتَابِعَتُهُ فِي الاعْتِقَادَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ»^(٢).

٣ - يُحَذِّرُ قَوْمَهُ مِنَ التَّكْبِيرِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى نَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بِرَدْهِمِ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، قَالَ رَبُّكُمْ لَهُ : «فَاتَّقُوا اللَّهَ عَبَادُ اللَّهِ، وَلَا تَكْبِرُوا عَلَى رِبِّكُمْ وَلَا نَبِيِّكُمْ، وَاحْمَدُوهُ سَبَّحَانَهُ الَّذِي مَنْ عَلَيْكُمْ وَيَسِّرْ لَكُمْ مَنْ يُعْرِفُكُمْ بِدِينِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

٤ - يَدْعُو مَنْ صَعُبَ عَلَيْهِ مُخَالَفَةُ الْكِبْرِ إِلَى تَأْمُلِ كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ رَبُّكُمْ لَهُ : «إِنْ صَعُبَ عَلَيْكَ مُخَالَفَةُ الْكِبْرِ، وَلَمْ يَقْبَلْ ذَهْنُكَ هَذَا

(١) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ١٨٠).

(٢) الدُّرُرُ السُّنْنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ التَّجَدِيَّةِ (١/٢٤٤).

(٣) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ١٨٦).

الكلام، فأحضر بقلبك أنَّ كتاب الله أحسن الكتب، وأعظمها بياناً، وأشفي لداء الجهل، وأعظمها فرقاً بين الحق والباطل»^(١).

٥ - يُبيِّنُ للنَّاسَ أَنَّ مَنْ وَحَدَ اللَّهَ، وَتَبَرَّأَ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ؛ فَهُوَ الْمُسْلِمُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنِ الْكُفَّارِ: «نُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا يَعْلَمُ مِنْ قُلُوبِنَا، بِأَنَّ مَنْ عَمِلَ بِالْتَّوْحِيدِ، وَتَبَرَّأَ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ، فَهُوَ الْمُسْلِمُ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَأَيِّ مَكَانٍ»^(٢).

٦ - يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنَّ سُوءَ الْحَالِ سَبَبُهُ الْإِعْرَاضُ عَنِ دِينِ اللَّهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنِ الْكُفَّارِ: «لَا تَظْنُوا أَنَّ الضَّيقَ مَعَ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لَا وَاللَّهُ، بِلَ الضَّيقَ وَالْحَاجَةُ وَسَكْنَةُ الرِّيحِ وَضَعْفَةُ الْبَحْثِ»^(٣)؛ مَعَ الْبَاطِلِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ، مَعَ أَنَّ مَصْدَاقَ قَوْلِي فِيمَا تَرَوْنَهُ فَيَمَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْبَلْدَانِ...، هُمْ حَصَّلُوا سَعَةً فِيمَا يَزْعُمُونَ؟! وَمَا زَادُوا إِلَّا ضَيْقاً وَخَوْفاً عَلَى مَا هُمْ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدُوا»^(٤).

قال الشَّيْخُ عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ مِنِ الْكُفَّارِ: «نَفْعُ اللَّهِ بِدَعْوَتِهِ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ، وَالْجَمَّ الْغَفِيرُ، وَبِقِيَّتُ عُلُومُهُ فِي النَّاسِ، يَعْرِفُهَا الْعَامُ وَالْخَاصُّ، مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَغَيْرِهِ»^(٥).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٦٢).

(٢) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (١٢٨/١٠).

(٣) أي: المحظوظ.

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٩٢).

(٥) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٩/١٢).

لَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ

دعا الشّيخ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى مَا دعا إِلَيْهِ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ؛ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَمْرٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُمْتَلَّاً أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» [النُّور: ٥٤]، وَهَذَا أَمْرٌ لَيْسَ بِجَدِيدٍ عَلَى النَّاسِ، وَبِيَانٌ ذَلِكَ فِي الْآتِيِّ:

- ١ - يَسْتَدِلُّ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَمَا اسْتَدَلَّ غَيْرُهُ بِهِمَا، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَمْ أَسْتَدِلْ بِالْقُرْآنِ أَوِ الْحَدِيثِ وَحْدِي، حَتَّى يَتَوَجَّهَ عَلَيَّ مَا قِيلَ!»^(١).
- ٢ - يَأْمُرُ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ كَلَامِهِ هُوَ شَيْئاً، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الْوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعُ مَا وَصَّى بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْتَهُ، وَأَقُولُ لَهُمْ: الْكِتَبُ عِنْدَكُمْ، انْظُرُوهَا فِيهَا، وَلَا تَأْخُذُوا مِنْ كَلَامِي شَيْئاً»^(٢).
- ٣ - يَنْهَا النَّاسَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَنَا لَا أَقُولُ لَكُمْ: أَطِيعُونِي؛ وَلَكُنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكُمْ: إِذَا عَرَفْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، وَتَفَضَّلُ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَ لَكُمْ دِينَكُمْ كُلَّهُ، فَلَا تُطِيعُونِي وَلَا غَيْرِي، وَاحْرِصُوا عَلَى مَا كَانَ يَأْمُرُكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ وَالْعُلَمَاءُ بَعْدِهِ؛ فَلَا يَنْبغي لَكُمْ مُعَانَدَةُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٨).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١٠ / ١).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ١٨٩).

٤ - ينهى النَّاسَ عن طَاعَتِهِ، ويأْمُرُهُم بِسُؤالِ الْعُلَمَاءِ عَمَّا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «لَا تُطِيعُونِي، وَتَفَكَّرُوا، وَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ مَذَهَبٍ عَمَّا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

٥ - أَخْبَرَ النَّاسَ أَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ بِمُبْتَدِعٍ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «أَخْبُرُكُمْ أَيُّ - وَلَلَّهِ الْحَمْدُ - مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ»^(٢).

٦ - عَقِيدَتُهُ عَقِيدةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهِيَ الَّتِي عَلَيْهَا أَئْمَمُ الْمُسْلِمِينَ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «عَقِيدَتِي وَدِينِي الَّذِي أَدِينُ اللَّهَ بِهِ: مَذَهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِي عَلَيْهِ أَئْمَمُ الْمُسْلِمِينَ؛ مُثْلُ الْأَئْمَمِ الْأَرْبَعَةِ وَأَتَبَاعُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

٧ - لَا يَدْعُونَ إِلَى مَذَهَبٍ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «لَسْتُ - وَلَلَّهِ الْحَمْدُ - أَدْعُونَ إِلَى مَذَهَبٍ صُوفِيٍّ، أَوْ فَقِيهٍ، أَوْ مُتَكَلِّمٍ، أَوْ إِمَامٍ مِنَ الْأَئْمَمِ الَّذِينَ أَعْظَمُوهُمْ؛ مُثْلُ ابْنِ الْقِيمِ وَالْذَّهَبِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهِمْ؛ بَلْ أَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَدْعُونَ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي أَوْصَى بِهَا أَوَّلَ أَمْتِهِ وَآخَرَهُمْ»^(٤).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٥٥).

(٢) روضةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٤١٢/١).

(٣) روضةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٤١٢/١).

(٤) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٥٢).

٨ - أَخْبَرَ النَّاسَ أَنَّ الَّذِي يُنَكِّرُهُ هُوَ الشَّرُكُ؛ فَإِنْ كَانَ مَا نَهَا مِنْهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَلِيَرْمُوا بِكَلَامِهِ، قَالَ رَبُّهُ اللَّهُ: «الَّذِي أَنْكَرُهُ الاعْتِقَادُ فِي غَيْرِ اللَّهِ مِمَّا لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِ، فَإِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ مِنْ عَنِّي فَأَرْمِ بِهِ، أَوْ مِنْ كِتَابٍ لَّقِيَتُهُ لَيْسَ عَلَيْهِ عَمَلٌ فَأَرْمِ بِهِ كَذَلِكَ، أَوْ نَقْلْتُهُ عَنْ أَهْلٍ مَذْهِبِي فَأَرْمِ بِهِ»^(١).

قال الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَبُّهُ اللَّهُ: «هَتَّى مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعَرَاقِ؛ اعْتَرَفُوا بِصِحَّةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالسُّنْنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ»^(٢).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٥٣).

(٢) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدِيَّةِ (١٢ / ٢٤).

دَعْوَتُهُ هِيَ دَعْوَةُ الْعُلَمَاءِ

دعا العلماء أقوامهم بدعة الرّسل على مر العصور، والشّيخ رحمة الله من أولئك العلماء، فلم يأت بدعة جديدة عنهم، أو مخالفٍ لهم، وبيان ذلك في الآتي:

- ١ - بين أن ما دعا إليه إنما هو اقتداءً بأهل العلم في دعوتهم، قال رحمة الله: «إِنَّ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْاقْتَدَاءُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ وَصَّلُوا النَّاسَ بِذَلِكَ، وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ كَلَامًا فِي ذَلِكَ إِمَامُكُمُ الشَّافِعِيُّ»^(١).
- ٢ -أشهد الله وملائكته أنه مُتبّع لأهل العلم، قال رحمة الله: «وَأَنَا أُشَهِّدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَنَا أُشَهِّدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأُشَهِّدُكُمْ أَنِّي عَلَى دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي مُتَّبِعٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ»^(٢).
- ٣ - يطلب منهم الرّجوع في تفسير الآيات إلى أقوال المفسّرين لا إلى كلامه، قال رحمة الله: «وَالْمَرْجُعُ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ وَالْأَئمَّةُ»^(٣).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٧).

(٢) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (١٥٨/١).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٢٤١).

٤ - يَحُثُّ المخالفين على التَّأْمُل في كتب العلماء؛ ليعلموا أَنَّه لَم يَأْتِ بجديد، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَنَا أُلْزَمُ عَلَيْكُمْ^(١) أَنَّكُم تُحَقِّقُونَ النَّظَرَ فِي عِبَارَاتِ (الإِقناع)، وَتَقْرَئُونَهَا قِرَاءَةً تَفْهِمُ، وَتَعْرِفُونَ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا^(٢).^(٣)

٥ - يَذَكُرُ لِلمُخالِفِ أَسْمَاءُ عُلَمَاءِ الْأَمَّةِ لِيَرْجِعَ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «ا طْلُبْ كَلَامَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِهِ - زَمَانُ ابْنِ الْقِيمِ -؛ مِثْلُ: الْحَافِظِ الْذَّهَبِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ، وَابْنِ رَجِيبٍ، وَغَيْرِهِمْ. فَإِنْ لَمْ تَتَّبِعْ هَؤُلَاءِ، فَانْظُرْ كَلَامَ الْأَمَّةِ قَبْلَهُمْ؛ كَالْحَافِظِ الْبَيْهَقِيِّ فِي كِتَابِ (الْمَدْخُلِ)، وَالْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَالْحَاطِبِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ. وَمَنْ قَبْلَهُمْ؛ كَالشَّافِعِيِّ، وَابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ قُتْبَيَةَ، وَأَبِي عُبَيْدٍ. فَهَؤُلَاءِ إِلَيْهِمْ الْمَرْجُعُ فِي كَلَامِ اللَّهِ، وَكَلَامِ رَسُولِهِ، وَكَلَامِ السَّلَفِ»^(٤).

٦ - لَمْ يَأْتِ بِخَلَافٍ مَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمُتَقْدِمِينَ وَالْمُتَأْخِرِينَ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَى خِلَافٍ مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَهَذِهِ كُتُبُهُمْ مُوْجُودَةٌ، وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ وَأَغْلَظِهِمْ: كَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، كُلُّهُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، لَمْ يَشِدَّ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -، وَلَمْ يَأْتِ عَنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَنَّهُمْ أَرْخَصُوا لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْكِتَابَ وَالسُّنْنَةَ فِي أَمْرِكُمْ هَذَا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَوْجِبُوهُ.

(١) أي: أَوْكَدْ عَلَيْكُمْ تَأْكِيدًا لَازِمًاً.

(٢) أي: في هذا الْأَمْرِ الْذِي تَخَالَفُونِي فِيهِ.

(٣) روضة الأفكار والأفهام (٤١٧/١).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٨).

وإن زعمتم أنَّ الْمُتَأْخِرِينَ معكم، فهؤلاء سادات الْمُتَأْخِرِينَ وقادتهم: ابن تيمية، وابن القِيمِ، وابن رَجِيبٍ؛ عندنا له مُصَنَّفٌ مُسْتَقْلٌ في هذا، ومن الشَّافعِيَّةِ الْذَّهْبِيَّةِ، وابن كَثِيرٍ، وغَيْرُهُمْ؛ وكَلَامُهُمْ في إنكارِ هذا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرُ، وبعض كلام الإمام أَحْمَدَ ذَكَرَهُ ابن القِيمِ في (الطُّرُقُ الْحُكْمِيَّةِ) فراجعه^(١).

٧ - علماء الأمصار في عصره مُقرُّون بأنَّ ما دعا إِلَيْهِ هو الْحَقُّ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْكَرُوا عَلَيَّ، وَأَبْغَضُونِي وَعَادُونِي مِنْ أَجْلِهِ، إِذَا سَأَلْنَا عَنْهُ كُلَّ عَالَمٍ فِي الشَّامِ وَالْيَمَنِ أَوْ غَيْرِهِمْ، يَقُولُ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٢).

٨ - علماء الأمصار مَسْرُورُون بدعوتهم؛ بَعَثَ إِسْمَاعِيلَ الْجَرَاعِيَّ - صاحب الْيَمَنِ - إلى الشَّيْخِ رَسَالَةً قال فيها: «سَرَّنِي عَنْكَ الإِقَامَةِ عَلَى الشَّرِيعَةِ فِي آخِرِ هَذَا الزَّمَانِ وَفِي غَربَةِ الْإِسْلَامِ، أَنْكَ تَدْعُونِي وَتُقْوِّمُ أَرْكَانَهُ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ - مَعَ مَا نَحْنُ فِيهِ عَنْدَ قَوْمِنَا - مَا نَقْدِرُ عَلَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ مِنْ بَيَانِ الْحَقِّ، وَالْإِعْلَانِ بِالدَّعْوَةِ»^(٣).

٩ - خُصُومُهُ مُقرُّون بأنَّ الَّذِي يَدْعُونِي إِلَيْهِ هو الْحَقُّ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «أَنْتُمْ تُقْرِرُونَ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي بَيَّنْتُهُ فِي مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ»^(٤).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٤٤٦/١).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١١/١).

(٣) الدرر السنّية في الأوجبة النّجدية (٩٩/١).

(٤) روضة الأفكار والأفهام (٤١٦/١).

ولأنَّه لم يأتِ بجديدٍ في دعوته، دعا مَنْ خالَفَه إلى أربعة أمور؛ قال ﷺ: «وأنا أدعو مَنْ خالَفَني إلى أحد أربع: إِمَّا إلى كتاب الله، وِإِمَّا إلى سُنَّة رسول الله ﷺ، وِإِمَّا إلى إجماع أهل العلم، فِإِنْ عَانَدَ دعوَتُه إلى المُبَاهَلَة^(١)، كما دعا إِلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ في بعض مسائل الفرائض، وكما دعا إِلَيْها سفيانُ والأوزاعيُّ في مسألة رفع اليدين، وغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ»^(٢).

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَقْوَالُه في أُصُولِ الدِّين مَمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا فِي الفَرُوعِ وَالْأَحْكَامِ فَهُوَ حَنْبَلِيُّ الْمَذْهَبِ، لَا يُوجَدُ لَهُ قَوْلٌ مُخَالِفٌ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَئْمَةُ الْأَرْبَعَةُ؛ بَلْ وَلَا خَرَجَ عَنْ أَقْوَالِ أَئْمَةِ مَذْهَبِه»^(٣).

(١) المُبَاهَلَة: الْمُلَاقَةُ؛ بِأَنْ يَجْتَمِعُ الْقَوْمُ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمْ؛ فَيَقُولُوا: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِ مَنَا.

(٢) الرَّسَائِل الشَّخْصِيَّةُ (ص ٢٦٦).

(٣) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدِيَّةِ (٤٤٦/١).

الفصل الخامس

صِدْقَهُ فِي الدَّعْوَةِ

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: نُصْحَهُ لِلنَّاسِ.

المبحث الثاني: صِدْقَهُ مَعَ الْمَدْعُوِينَ.

المبحث الثالث: يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لِلْمَدْعُوِينَ.

المبحث الرابع: يَحْثُ النَّاسَ عَلَى الدُّعَاءِ.

المبحث الخامس: فَرَحْهُ بِهِدَايَةِ الْآخَرِينَ.

نُصْحَةُ لِلنَّاسِ

عماد الدين وقوامه: النَّصيحة، قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلَا إِئمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١)، والشَّيخِ إِمامِ نَاصِحٍ لِلنَّاسِ بِتَعْلِيمِهِ أُمُورَ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، مع الصَّبرِ والشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وقد قام بهذا الأمر خَيْرٌ قِيَامٌ، ويتبَيَّنُ هَذَا بِالآتِيِّ:

١ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آدَابَ النَّصيحةِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «إِذَا خَافَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ قَصْدًا سَيِّئًا، فَلِيَنْصُحْهُ بِرِفْقٍ، وَإِخْلَاصٍ لِدِينِ اللَّهِ، وَتَرْكِ الرِّيَاءِ وَالْقَصْدِ الْفَاسِدِ»^(٢).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَإِذَا أَخْطَأَ أَخْوَهُ نَصَحَهُ سِرًّا، وَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابَ»^(٣).

٢ - يُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّ النَّصيحةَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ؛ امْتِشَالًا لِلنُّصُوصِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «وَاجِبٌ عَلَيْنَا لَكُمُ النَّصيحةُ، وَعَلَى اللَّهِ التَّوْفِيقُ»^(٤).

٣ - يَحْثُّ عَلَى تَأْمُلِ النَّصيحةِ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «فَتَأْمَلْ هَذَا الْكَلَامَ بِشَرَاثِرِ قَلْبِكَ»^(٥)^(٦).

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم (٥٥)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٩).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٩٢).

(٣) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٢٦).

(٥) أي: أقبل عليه بقلبك محبة له.

(٦) الرسائل الشخصية (ص ٦٨).

٤ - يَحْثُ على التَّفَكُّرِ فِي النَّصِيحَةِ مَعَ الالْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «كَلَامُ أَهْلِ الْعِلْمِ رِضَا، وَأَنَا أَنْقُلُهُ لَكُ، وَأَنْبِهُكُ عَلَيْهِ؛ فَتَفَكَّرْ فِيهِ، وَقُمْ لِلَّهِ سَاعَةً نَاظِرًا وَمُنَاظِرًا، مَعَ نَفْسِكَ وَمَعَ غَيْرِكَ»^(١).

٥ - يَحْثُ على تَأْمُلِ النَّصِيحَةِ وَتَذْكُرِ الْآخِرَةِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «فَلَيَتَأْمُلَ الْلَّبِيبُ الْخَالِيُّ عَنِ التَّعْصُبِ وَالْهَوَى - الَّذِي يَعْرَفُ أَنَّ وَرَاءَهُ جَنَّةٌ وَنَارًا، الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَطْلُعُ عَلَى خَفَيَاتِ الضَّمِيرِ - هَذِهِ النُّصُوصُ، وَيَفْهَمُهَا فَهْمًا جَيِّدًا»^(٢).

٦ - يَأْمُرُ بِتَأْمُلِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَنَبْذِ الْهَوَى، قَالَ رَبُّكُمْ: «وَاجْعَلْ تَأْمُلَكُ لِلَّهِ، مُسْتَعِيدًا بِاللَّهِ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى»^(٣).

٧ - يَدْعُو إِلَى قَبْولِ النَّصِيحَةِ وَنَبْذِ التَّكْبُرِ وَالْعِنَادِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «فَإِنْتَ، اعْرِضْ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدَعُونَ الْعِلْمَ، وَأَنَا أُعِيذُكَ بِاللَّهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنِ التَّكْبُرِ وَالْعِنَادِ، الَّذِي يَرُدُّ صَاحِبَهُ الْحَقَّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ»^(٤).

٨ - يَخْشَى عَلَى مَنْ تَرَكَ النَّصِيحَةَ أَنْ يُعَاقِبَهُ اللَّهُ، قَالَ رَبُّكُمْ: «هَلْ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ بَيَانٌ؟ يَا وَيْلَكَ! كَيْفَ تَأْمُرُ بَعْدَ هَذَا بِاتِّبَاعِ أَكْثَرِ النَّاسِ؟»^(٥).

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٥٠).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٧٣).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٧٤).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ١٤٨).

(٥) الدرر السننية في الأوجبة النجدية (١٠/٤٣).

٩ - يُكَرِّرُ النَّصِيحَةُ مَرَارًا، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «فَهَذَا مِضْدَاقٌ كَلَامِيُّ لَكُمْ مَرَارًا عَدِيدًا، أَنَّ الْفَهْمَ الَّذِي يَقُولُ فِي الْقَلْبِ غَيْرَ فَهْمِ اللِّسَانِ»^(١).

١٠ - يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ كَلَامَهُ نَصِيحَةٌ لَا مُعَايَةً، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «وَلَا تَظَنَّ أَنَّ كَلَامِيُّ هَذَا مُعَايَةٌ وَكَلَامٌ عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ نَصِيحَةٌ»^(٢).

١١ - يَسْتَرْضِي مَنْ يَنْصُحُهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «لَا يَدْخُلُ خَاطِرَكَ شَيْءٌ مِّنَ النَّصِيحَةِ، فَلَوْ أَدْرِي أَنَّهُ يَدْخُلُ خَاطِرَكَ؛ مَا ذَكَرْتُهُ»^(٣).

١٢ - مِنْ نَصَائِحِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ:

أ - النَّصِيحَةُ بِتَرْكِ الشَّرِكِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «وَأَنَا أَنْصَحُكُمْ: لَا تَطْنُوا أَنَّ الاعْتِقَادَ فِي الصَّالِحِينَ مِثْلُ الزِّنِيِّ وَالسَّرْقَةِ؛ بَلْ هُوَ عِبَادَةٌ لِلأَصْنَامِ، مَنْ فَعَلَهُ كُفَّارًا، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٤).

ب - النَّصِيحَةُ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «وَأَنَا أَنْصَحُكُمْ لِلَّهِ، وَأَنْخَاكُمْ^(٥)، لَا تُضِيِّعُوا حَظَّكُمْ مِّنَ اللَّهِ، وَدِّي أَنَّكُمْ تَسْرُعُونَ بِالنُّفُورِ فَتَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ، وَتَنْتَظِرُ نَظَرَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالْخُلُودِ فِيهَا، وَيُؤْمِنُ بِالنَّارِ

(١) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّجِيَّةِ (١٠١/١٠١).

(٢) روضةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١/٣٣٦).

(٣) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّجِيَّةِ (٨/٦).

(٤) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص٥٥).

(٥) أَيْ: أَسْتَحْثُكُمْ بِشَهَادَتِكُمْ.

والخلود فيها، وتسأله بقلب حاضرٍ أنْ يهديك الصراط
المُستقيم»^(١).

ج - النَّصيحة بسؤال الهدایة، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ فَهِمْتَ هَذَا،
وَإِلَّا أُشِيرَ عَلَيْكَ أَنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ التَّضْرُعِ وَالدُّعَاءِ إِلَى مَنِ
الهُدَايَا بِيدهِ؛ إِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ، إِنَّ الْخُلُودَ فِي النَّارِ
جَزَاءُ الرِّدَّةِ الصَّرِيقَةِ»^(٢).

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحْمَةُ اللَّهِ: «ثَبَّتَ
نُصُحُّهُ لِلَّهِ، وَلِكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأئمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتْهُمْ»^(٣).

(١) الدرر السنية في الأجوية النجدية (١/٩٣).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٢٤).

(٣) مصابح الظلام (١/٤٥).

صِدْقَهُ مَعَ الْمَدْعُوِينَ

كان رَحْمَةُ اللَّهِ عَالِمًا رَبَّانِيًّا صادقاً في دعوته، مُشْفِقاً على المَدْعُوِينَ، ويتبَيَّنُ هذا بالآتي :

- ١ - بَيْنَ أَنَّ قَصْدَهُ مِنْ دعوته النَّاسَ إِرادةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَلَا تَسْتَهِجْنُ^(١) هَذَا الْكَلَامُ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِهِ إِلَّا الْخَيْرَ»^(٢).
- ٢ - يُوصِي النَّاسَ بِالْتَّمَسُكِ بِالْتَّوْحِيدِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَاللَّهُ اللَّهُ إِخْوَانِي! تَمَسَّكُوا بِأَصْلِ دِينِكُمْ أُولَئِهِ وَآخِرِهِ، أُسْسِهِ^(٣) وَرَأْسِهِ، وَهُوَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٤).
- ٣ - يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهَدَايَا، وَيُذَكِّرُهُمْ بِالْآخِرَةِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «فِرَّ
بِدِينِكِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قُدَّامَكِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَ»^(٥).
- ٤ - يَتَمَنَّى هِدَايَتَهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَتَمَنَّى مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمَكَاتِبِ أَنْ
يَهْدِيَكَ اللَّهُ لِدِينِهِ الْقِيمِ»^(٦).
- ٥ - يَفْرُحُ إِذَا سَأَلُوهُ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الصَّوَابَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:
«أَنَا مَا أَنْقَدْتُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْكُمْ إِلَّا قِلَّةُ الْحِرْصِ، وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ

(١) أي : لا تَعِبْ وَتُقْبِحْ.

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٤٤٤).

(٣) أي : أصله.

(٤) الدرر السنية في الأجوية النجدية (٢/١١٩).

(٥) روضة الأفكار والأفهام (١/٤٤٤).

(٦) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٧).

لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَوَدِّيَ مَا يُجِي جِمَامِيلُ^(١) إِلَّا وَمَعْهُمْ مِنْ عِنْدِكُمْ سُؤَالَاتٍ عَنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ، فَكِيفَ أَزْعَلُ مِنْهُ؟! بَلْ هَذَا هُوَ الَّذِي يُرْضِيَنِي»^(٢).

٦ - يَحُثُّ غَيْرَهُ عَلَى تَعْلِيمِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ أُمُورَ الدِّينِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلنَّاسِ: «إِنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رَبِّ لَهُ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ إِشَاعَتُهُ فِي النَّاسِ وَتَعْلِيمُهُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَرَحِمْ اللَّهُ مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ عَلَيْهِ، وَتَابَ إِلَى اللَّهِ وَأَفْرَغَ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ؛ وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَنَا وَإِيَّاكُمْ وَإِخْرَانَا لِمَا يُحِبُّ وَيُرْضِي»^(٣).

٧ - يَكْتُبُ حَتَّى لِمَنْ يَظْنُ أَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ دَعْوَتَهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنَّمَا كَتَبْتُ لَكُمْ هَذَا، مَعَذِرَةً مِنَ اللَّهِ، وَدَعْوَةً إِلَى اللَّهِ؛ لِأَحَصِّلْ ثوابَ الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَّا أَنَا أَظُنُّ أَنَّكُمْ لَا تَقْبِلُونَهُ، وَأَنَّهُ عِنْدَكُمْ مِنْ أَنْكِرِ الْمُنْكَرَاتِ»^(٤).

٨ - يَتَكَدَّرُ خَاطِرُهُ مِمَّا يَلْعُغُهُ عَنْ أَفْعَالٍ غَيْرِ حَسَنَةٍ مِنَ الْمَدْعُوَّينِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَلَا يَخْفَأُكُمْ أَنِّي زَعَلَنُ زَعْلًا كَبِيرًا، وَنَاقِدُ عَلَيْكُمْ مُنْقُودًا^(٥) أَكْبَرُ مِنَ الزَّعْلِ، وَلَكُنْ وَابْطَنَاهُ! وَاظْهَرَاهُ! وَمَعِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْضُ تَنْعُصُ الْمُعِيشَةِ وَالْكَدَرِ؛ مِمَّا يَلْعَغُنِي عَنْكُمْ»^(٦).

(١) الجماميل: هُمْ أَهْلُ الْجِمَالِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْمَتَاعَ بَيْنَ الْأَمْصارِ.

(٢) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٣١٩).

(٣) الدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَهِ النَّجْدِيَّةِ (٧٤ / ١).

(٤) رُوضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١ / ٥٤).

(٥) أَيْ: أَعِيبُ عَلَيْكُمْ عِيَّا.

(٦) الدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَهِ النَّجْدِيَّةِ (٥٣ / ٨).

٩ - يَصُدُّقُ مَعَ الْآخَرِينَ، وَلَا يُدَاهِنُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ كُنْتَ تَظَنُّ فِي خَاطِرِكَ أَنَّا نَبْغِي أَنْ نُدَاهِنَكَ فِي دِينِ اللَّهِ^(١)، وَلَوْ كُنْتَ أَجْلَّ عَنْدَنَا مَمَّا كُنْتَ، فَأَنْتَ مُخَالِفٌ»^(٢).

١٠ - مَنْ حَوْلَهُ لَا يَشْكُونَ فِي صِدْقِهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَضَا اللَّهِ أَزْمُ، وَالدِّينُ لَا مُحَايَا فِيهِ^(٣)، وَأَنْتُمْ مِنْ قَدِيمٍ لَا تَشْكُونَ فِيهِ»^(٤).

١١ - يَكْتُبُ عَلَى السَّرَاجِ لِدُعْوَةِ النَّاسِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «هَذَا مَا تَيَسَّرَ كِتَابُتُهُ عَجِلاً عَلَى السَّرَاجِ»^(٥).

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كَانَ أَصْدَقُ النَّاسِ، وَأَصْحَّهُمْ عِلْمًا وَعِزْمًا، وَأَنْفَذَهُمْ وَأَعْلَاهُمْ فِي الانتصارِ لِلْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِهِ»^(٦).

(١) أي: نرکن إلى الشرک، ونترك ما نحن عليه من الحق لأجلک.

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٠).

(٣) أي: لا تنازل فيه.

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٣١٥).

(٥) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٢٦).

(٦) الدرر السننية في الأジョبة النجدية (١٦/٣١٤).

يَدْعُونَ فِي صَلَاتِهِ لِلْمَدْعُوِينَ

مِنْ صِدْقِ الدَّاعِيَةِ أَنْ يَدْعُو لِمَنْ يَدْعُوهُمْ؛ لِعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيهِمْ، وَكَانَ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي دَعْوَتِهِ، فَكَانَ يَدْعُو لِمُخَالِفِيهِ بِالْهَدَايَةِ فِي سُجُودِهِ، وَبِيَانِ ذَلِكَ مَا يَأْتِي :

- ١ - قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنِّي أَدْعُوكَ فِي سُجُودِي، وَأَنْتَ وَأَبُوكَ أَجْلُ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَحْبُبْهُمْ عِنْدِي...، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَنَا وَإِيَّاكَ لِدِينِ الْقِيمِ، وَيَطْرَدَ عَنَّا الشَّيْطَانَ، وَيُعِيدَنَا مِنْ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالْمَضَالِّينَ»^(١).
- ٢ - وَقَالَ لَا خَرْ: «إِنِّي أُحِبُّكَ، وَقَدْ دَعَوْتُ لَكَ فِي صَلَاتِي»^(٢).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٨١).

(٢) رُوضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٤٢٠ / ١).

يَحْثُ النَّاسَ عَلَى الدُّعَاءِ

للدعاء عند الله شأن عظيم في تغيير الحال، وكان الشيخ رحمه الله يَحْثُ النَّاسَ عَلَى الدُّعَاءِ؛ فهو مفتاح الهدایة، وبيان ذلك في الآتي:

١ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَهْمِيَّةَ الدُّعَاءِ، قَالَ رحمه الله: «قد فَرَضَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَسْأَلُوهُ الْهَدَايَا إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْضَّالِّينَ، فَمَنْ عَرَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَمَا وَقَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ لَهُ، عَرَفَ مَقْدَارَ هَذَا الدُّعَاءِ وَحِكْمَةَ اللَّهِ فِيهِ»^(١).

٢ - يَحْثُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ إِشْكَالٌ فِي مَسْأَلَةٍ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُزِيلَهُ، قَالَ رحمه الله: «إِنْ كَانَ مَعَكُمْ بَعْضُ الْإِشْكَالِ، فَارْغِبُوهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُزِيلَهُ عَنْكُمْ»^(٢).

وقال رحمه الله: «وَإِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِكَ إِشْكَالٌ، فَاضْرِعْ إِلَى مُقْلِبِ الْقُلُوبِ أَنْ يَهْدِيَكَ لِدِينِهِ وَدِينِ نَبِيِّهِ»^(٣).

٣ - يَأْمُرُ بِالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ، وَالتَّجَرُّدِ لِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ رحمه الله: «وَإِنَّ الْقِيَّٰ فِي ذِهْنِكَ أَنَّ ابْنَ الْقِيَّٰ مُبْتَدِعٌ، وَأَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي

(١) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٢٥٣).

(٢) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٢٤٥).

(٣) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (٢٩ / ١٠).

استدلَّ بها ليس لها معناها، فاضرَعْ إِلَى اللَّهِ، واسأْلَهُ أَنْ يَهْدِيَكَ لِمَا اختلفوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، وَتَجَرَّدْ إِلَى اللَّهِ نَاظِرًا أو مُنَاظِرًا^(١).

٤ - يُذَكِّرُ الْمُعْرِضِينَ عَنْ دَعْوَتِهِ بِالانْطَرَاحِ بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ بِقَلْبِ حَاضِرٍ، فِي وَقْتِ السَّحْرِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَرَى لَكَ أَنْ تَقُومَ فِي السَّحْرِ، وَتَدْعُوَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ بِالْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَتَطْرَأَ نَفْسَكَ بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ أَنْ يَهْدِيَكَ لِدِينِ نَبِيِّهِ عَلِيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢).

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَالْمُسَأَّلَةُ مُثْلُ الشَّمْسِ؛ وَلَكِنَّ مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَتَسْعَ عَقْلُكَ لِهَذَا، فَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، خَصْوَصًا فِي الْأَسْحَارِ أَنْ يَهْدِيَكَ لِلْحَقِّ وَيُرِيكَ الْبَاطِلَ بِاطْلَالًا»^(٣).

٥ - يَأْمُرُهُمْ بِالالْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ بِطْلَبِ الْهَدَايَا، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «اَقْصِدْ وَجْهَ اللَّهِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ، وَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ، أَنْ يَهْدِيَكَ لِلْحَقِّ»^(٤).

٦ - يُوصِي مَنْ لَمْ يَفْتَحْ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْهَدَايَا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ، وَيُخْبِرُهُ بِأَوْقَاتِ الإِجَابَةِ، وَالدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَالانْطَرَاحِ بَيْنَ يَدِيهِ، خَصْوَصًا أَوْقَاتِ الإِجَابَةِ - كَآخِرِ اللَّيْلِ، وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ، وَبَعْدِ الْأَذَانِ -.

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٥٨).

(٢) روضةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٣٤٣ / ١).

(٣) روضةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٤٤٤ / ١).

(٤) الدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدِيَّةِ (٩٦ / ١٠).

وكذلك بالأدعيـة المأثورة؛ خصوصاً الذي ورد في الصـحـيق أـنـه ﷺ
 كان يقول : (اللـهـمـ رـبـ جـبـرـيلـ وـمـيكـائـيلـ وـإـسـرـافـيلـ ، فـاطـرـ السـمـوـاتـ
 وـالـأـرـضـ ، عـالـمـ الغـيـبـ وـالـشـهـادـةـ ، أـنـتـ تـحـكـمـ بـيـنـ عـبـادـكـ فـيـ ماـ كـانـواـ فـيـهـ
 يـخـتـلـفـونـ ؛ اـهـدـنـي لـمـاـ اـخـتـلـفـ فـيـهـ مـنـ الـحـقـ بـإـذـنـكـ ، إـنـكـ تـهـدـي مـنـ تـشـاءـ
 إـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ) (١) (٢).

٧ - يـحـثـهـمـ عـلـىـ الإـلـاحـاحـ فـيـ الدـعـاءـ ، قـالـ ﷺ : «عـلـيـكـ بـالـإـلـاحـاحـ
 بـهـذـاـ الدـعـاءـ بـيـنـ يـدـيـ مـنـ يـجـبـ الـمـضـطـرـ إـذـاـ دـعـاهـ ، وـبـالـذـيـ هـدـىـ إـبـرـاهـيمـ
 لـمـخـالـفـةـ النـاسـ كـلـهـمـ ، وـقـلـ: يـاـ مـعـلـمـ إـبـرـاهـيمـ عـلـمـنـيـ» (٣).

قال حـفـيـدـهـ الشـيـخـ سـلـيـمانـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ ﷺ : «الـدـعـاءـ عـبـادـةـ مـنـ
 أـجـلـ الـعـبـادـاتـ ؛ بـلـ هـوـ أـكـرـمـهـ عـلـىـ اللـهـ» (٤).

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقضـرـها، بـابـ الدـعـاءـ فـيـ صـلـاةـ اللـيـلـ وـقـيـامـهـ، رقمـ (٧٧٠)، منـ حـدـيـثـ عـائـشـةـ رـضـيـتـهـ.

(٢) الرـسـائـلـ الشـخـصـيـةـ (صـ ٢٥٦).

(٣) الرـسـائـلـ الشـخـصـيـةـ (صـ ٢٥٦).

(٤) تـيسـيرـ العـزـيزـ الـحـمـيدـ (صـ ١٧٩).

فَرَحْهُ بِهِدَايَةِ الْآخَرِينَ

كان ﷺ ناصحاً للناس، يحب الخير لهم، ويفرح بهدايتهم، وقربهم من الله، وي بيان ذلك فيما يأتي :

- ١ - يدخله السرور إذا وعده أحد باتباع الحق، قال ﷺ: «وصل الكُرَّاس، وتذكرون أنَّ الْحَقَّ إِنْ بَانَ لَكُمْ أَتَبَعْتُمْ، وفِيهِ كَلَامٌ غَيْرُ هَذَا سَرَّ الْخَاطِرِ مِنْ طَرْفِكَ خَاصَّةً؛ بِسَبِبِ أَنَّ لَكَ عَقْلاً»^(١).
- ٢ - يفرح بهداية الأفراد، قال ﷺ: «عبد الرَّحْمَنُ بْنُ عَقِيلٍ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»^(٢).
- ٣ - يفرح بهداية الجماعات، ويدعو لهم بالثبات، قال ﷺ: «سَرَّنَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مَا بَلَغْنَا عَنْكُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى الْحَقِّ، وَالاتِّبَاعُ لِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَهَذَا هُوَ أَعْظَمُ النِّعَمِ، الْمَجْمُوعُ لِصَاحِبِهِ بَيْنِ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يُوقِّفَنَا وَإِيَّاكُمْ لِذَلِكَ، وَيَرْزَقَنَا الثَّبَاتَ عَلَيْهِ»^(٣).

- ٤ - يتطلب من غيره أن يكتب له يبشره أنه اتبع الحق، قال ﷺ: «إِنْ كَانَ اللَّهُ أَوْقَعَ فِي قَلْبِكَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ وَالاِنْقِيَادُ لَهُ، وَالْكُفْرُ بِالْطَّاغُوتِ

(١) روضة الأفكار والأفهام (٣٣٧ / ١).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٥).

(٣) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٦٠ / ٢).

والتبّري ممَّن خالف هذه الأصول، ولو كان أباك أو أخاك، فاكتُبْ لي وبِشَّرْني؛ لأنَّ هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا - فضلاً عن إنكاره - مثل الزنى والسرقة؛ بل والله، ثمَّ والله، ثمَّ والله، إنَّ الأمراً أَعْظَمُ»^(١).

قال حفيدهُ الشَّيخ عبد الرَّحْمن بن حسن رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «هذه الدَّعْوة قد شاعت في كلِّ الْبَلَادِ، وَقَرَؤُوا مُصَنَّفَاتِ شِيخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى»^(٢).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٧٥).

(٢) الدرر السنّية في الأجبوبة النّاجديّة (٩/٢٥٤).

الفصل السادس

مَنْهَجُهُ فِي الدَّعْوَةِ

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: طَرِيقَتُهُ فِي الدَّعْوَةِ.

المبحث الثاني: حِرْصُهُ عَلَى الدَّلِيلِ.

المبحث الثالث: اتِّبَاعُهُ لِلنَّبِيِّ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

المبحث الرابع: قَبُولُهُ لِلْحَقِّ.

المبحث الخامس: مَحَبَّتُهُ لِلْحِوَارِ.

المبحث السادس: طَرِيقَتُهُ فِي الْمُحَاوَرَةِ.

طَرِيقَتُهُ فِي الدَّعْوَةِ

سار الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ فِي دُعْوَةِ النَّاسِ عَلَى مَنْهِيجٍ عَظِيمٍ؛ وَبِيَانِهِ فِي الْآتِيِّ :

١ - سار على منهج النبوة في بدء دعوته بدعوة الأقربين، قال حفيدهُ الشَّيْخُ عبد الرَّحْمَنُ بنُ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «دعا النَّاسَ مِنْ أَهْلِ قَرِيبِهِ وَمَا قَرُبَ مِنْهَا: أَنْ يَتَرَكُوا عِبَادَةَ أَرْبَابِ الْقِبُورِ وَالظَّوَاغِيْتِ، وَعِبَادَةَ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ، وَالذِّبْحِ لِلْجِنِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ»^(١).

٢ - كانت له مجالس يومية يُعلّم الناس فيها^(٢).

٣ - يَدْعُوْهُمْ بِلِينٍ وَحِكْمَةً، قال حفيدهُ الشَّيْخُ عبد الرَّحْمَنُ بنُ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «إِذَا سَمِعُوهُمْ يَدْعُونَ زَيْدَ بْنَ الْخَطَّابَ، قَالَ: (اللَّهُ خَيْرٌ مِنْ زَيْدٍ)، تَمْرِينًا لَهُمْ عَلَى نَفْيِ الشَّرِكِ بِلِينِ الْكَلَامِ؛ نَظَرًا إِلَى الْمُصْلَحَةِ، وَعَدْمِ النُّفْرَةِ»^(٣).

٤ - يَدْعُوُ الْعُلَمَاءَ بِالْحِكْمَةِ؛ حَدَّثَنِي الْوَالِدُ مُحَمَّدُ ابْنُ قَاسِمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَابِ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ، رَأَى شَيْخًا يُدَرِّسُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَفِي خَتَامِ دَرْسِهِ يَرْفَعُ الشَّيْخُ يَدِيهِ وَيَدْعُو

(١) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (٢٢٠/٢).

(٢) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (٢٢٠/٢).

(٣) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (٢١١/٢).

غير الله، وبعد فراغ الشّيخ مِنْ درسيه، قال له مُحَمَّد بن عبد الوهاب: أريد أن أقرأ عليك شيئاً من القرآن، فأذن له الشّيخ.

فقرأ مُحَمَّد بن عبد الوهاب **﴿لِإِلَيْفِ قُرَيْشٍ﴾** إلى (فليعبدوا هذا البيت) بإسقاط الكلمة **﴿رَبَّ﴾** فجعل الشّيخ يُصَحّح له، ومُحَمَّد بن عبد الوهاب يُعيد الخطأ مُتَعَمِّداً، ثمَّ قال مُحَمَّد بن عبد الوهاب للشّيخ: أنت بعد الدّرس في دُعائِكَ لا تدعو ربَّ البيت، فقرأتُ السُّورة كما دَعوتَ، فعَجِبَ الشّيخ مِنْ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وأصبحَ الشّيخ لا يدعو إِلَّا الله.

٥ - يَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ بِضَرْبِ الْأَمْثَلَةِ، قال سماحة الشّيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله: «وممَّا يُذَكَّرُ عن المؤلِّفِ أَنَّهُ يوْمًا قال: يُذَكَّرُ البارحة أَنَّهُ وُجِدَ رَجُلٌ عَلَى أُمُّهِ يُجَامِعُهَا، فاستعظمَ المَحْضُرُ ذلك وَضَجَّوا مِنْهُ؛ رأوا أَنَّهُ مُنْكَرٌ كَبِيرٌ - وهو كَبِيرٌ -، ثُمَّ قال مَرَّةً أُخْرَى: إِنَّ وَاحِدًا أُصِيبَ بِمَرْضٍ شَدِيدٍ، فقيلَ لَهُ: اذْبَحْ دُبِيْكًا^(١) لِفَلَانٍ - وَلَيْ^(٢) -؛ فلمَّا يَسْتَعْظِمُوهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْأَوَّلَ فَاحشَةٌ يَبْقَى مَعَهَا التَّوْحِيدُ، وَالآخِرُ يَنافِي التَّوْحِيدَ كُلَّهُ، وَهَذَا لَمْ تَسْتَعْظِمُوهُ مَثْلُ ذَاكَ!»^(٢).

٦ - صَنَفَ مُصَنَّفَاتٍ مُّيسَرَةً في الحديث والعقيدة والفقه وغيرها؛ ليَسْهُلَ عَلَى النَّاسِ مَعْرِفَةَ الدِّينِ.

(١) دُبِيْكًا: تَصْخِيرُ «دِيك».

(٢) شرح كشف الشبهات (ص ١٣٧).

٧ - أمر أئمَّةِ المساجد أنْ يَسْأَلُوا النَّاسَ كُلَّ يَوْمٍ بعد صلاة الصُّبح، أو بين العِشاءَيْنِ^(١)، عن ثلَاثةِ الأَصْوَلِ - وهي: معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ دِينِ الإِسْلَامِ، ومعرفةُ مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ.

قالَ الجَدُّ عبدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ يَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَيُظْهِرُونَ لِكَثِيرٍ مِّنْ يُخَالِطُهُ وَيُجَاهِلُهُ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ»^(٢).

(١) أي: بين المغرب والعشاء.

(٢) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٣١٧/١٦).

حِرْصُهُ عَلَى الدَّلِيلِ

البحث عن الدليل، والحرص عليه، والعمل به؛ سبيل الهدایة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُلِّمَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [الثُور: ٥٤]، قال ابن القیم رحمه الله: «لا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة»^(١)، وقد وفق الله الشیخ رحمه الله في مسیرته العلمية والدعوية للحرص على الدليل، وبیان ذلك في الآتي:

- ١ - منذ صغره وهو يُناطر آباء وعمه إبراهيم في المسائل بالدليل.
- ٢ - يدعو للنظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال رحمه الله: «انظروا في كتاب الله من أوله إلى آخره...، وهذا أيضاً كلام رسول الله ﷺ، فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل...، وهذه سيرة أصحاب رسول الله ﷺ، فيمن خالف الدين»^(٢).
- ٣ - يوصي بالبحث عن الدليل والحرص عليه، قال رحمه الله: «أنا أذكر لك الدليل على هذا الأمر، وأوصيك بالبحث عنه، والحرص عليه، وأحذرك عن الهوى والتعصب»^(٣).

(١) مدارج السالكين (٤٣٩/٢).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٤١).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ١٤٤).

٤ - يَطْلُبُ مِنْ خُصُومِهِ الدَّلِيلَ فِيمَا خَالَفُوهُ فِيهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ حُجَّةً وَلَوْ فِي كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ أَنَّ فِي كَلَامِي مُجَازَةً^(١) فَاطْلُبُ الدَّلِيلَ»^(٢).

٥ - أَمْهَلَ خُصُومَهُ أَنْ يَأْتُوا بِدَلِيلٍ يُخَالِفُ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ فَعَجَزُوا، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَنَا إِلَى الآن أَطْلُبُ الدَّلِيلَ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَنِي، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: اسْتَدِلْ، أَوْ اكْتُبْ، أَوْ اذْكُرْ؛ حَادَ عَنْ ذَلِكَ، وَتَبَيَّنَ عَجْزُهُ»^(٣).

٦ - مُؤْلَفَاتُهُ مَمْلُوَّةٌ بِالْأَدْلَةِ، وَالْإِسْتَشَاهَادُ بِهَا، وَالْإِسْتِبْطَاطُ مِنْهَا.

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَاسِمَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَمْ يُرَ في عَصْرِهِ مَنْ يَسْتَجِلُّ لِلنُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَسُنْنَهَا وَأَقْوَالَهَا وَأَفْعَالَهَا إِلَّا هُوَ»^(٤).

(١) أي: كلام دون دليل أو حجة.

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٣١).

(٣) روضة الأفكار والأفهام (١/٤١٦).

(٤) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (١٦/٣٢٣).

اتباعه للنبي ﷺ

اتّباع النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ مُقتضى شهادة أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالشَّيخَ تَعَالَى مِنْ أَشَدِ النَّاسِ مَحَبَّةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَاتِّباعاً لَهُ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكُ فِي الْآتِي:

- ١ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ: التَّمْسُكُ بِالسُّنَّةِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَا أَعْرُفُ شَيْئاً يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ لُزُومِ طَرِيقَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْغُرْبَةِ»^(١).
- ٢ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّ مُتَابِعَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَاجِبٌ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعُ مَا وَصَّى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ»^(٢).
- ٣ - يَأْمُرُ بِمُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا خَالِفَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِذَا عَرَفْتُمْ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي فِي كِتَابِكُمْ فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا خَالِفَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ»^(٣).
- ٤ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يَجِدُ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ وَفَهْمُ سَنَةِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا وَكَانَتِ الْمُسَائِلَةُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ مُثْلَ التَّوْحِيدِ، فَالوَاجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا وَتَحْرِصُوا، حَتَّى تَفْهَمُوا حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي تِلْكُ الْمُسَائِلَةِ وَمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ قَبْلَكُمْ»^(٤).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٨). (٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١٠ / ١).

(٣) الدرر السننية في الأجبية النجدية (٨٩ / ١).

(٤) الدرر السننية في الأجبية النجدية (٥٧ / ١٠).

٥ - ينهى عن الزِّيادة في التشريع على قول الله وقول رسوله ﷺ، قال ﷺ: «لا يجوز الزِّيادة على ما قال الله ورسوله»^(١).

٦ - لا يُقدِّم قول أحدٍ على قول رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «كلامُك فيها مِنْ أَعْجَبِ الْعِجَابِ، أَنْتَ تَقُولُ: (بِدُعَةٍ حَسَنَةٍ)، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: (كُلُّ بِدُعَةٍ ضَلَالٌ، وَكُلُّ ضَلَالٍ فِي النَّارِ)^(٢)، وَلَمْ يَسْتَشِنْ شَيْئاً تُشِيرَ عَلَيْنَا بِهِ^(٣)، فَنُصَدِّقُكَ أَنْتَ وَأَبُوكَ؛ لَأَنَّكُمْ عُلَمَاءُ، وَنُكَذِّبُ رَسُولَ اللَّهِ؟!^(٤)».

وقال ﷺ: «إِنْ كُنْتَ وَجَدْتَ فِي عِلْمِكَ وَعِلْمِ أَبِيكَ مَا يَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْعُلَمَاءِ، وَأَنَّ... وَ... يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُمْ، فَأَخْبُرُونَا»^(٥).

٧ - يَأْمُرُ النَّاسَ عِنْدِ الاختلاف أَنْ لا يطِيعوه، وإنَّما يَرْجِعُونَ إلى الكتاب والسنَّة، قال ﷺ: «إِذَا رأَيْتُمُ الاختلاف، فَاسْأَلُوا عَمَّا أَمْرَكُمُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَلَا تُطِيعُونِي وَلَا غَيْرِي»^(٦).

٨ - يَدْعُو لِلرُّجُوعِ إِلَى سِيرَةِ رسولِ اللهِ ﷺ، قال ﷺ: «فَمَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ، فَلِيُطَالِعْ سِيرَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ»^(٧).

(١) الرسائل الشخصية (ص ١٨).

(٢) رواه النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة؟ رقم (١٥٧٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أي: تُوجّهنا به.

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٣٤).

(٥) الدرر السنّية في الأجوية التجديّة (١٠/٥٦).

(٦) الرسائل الشخصية (ص ١٨٣).

٩ - يُحَذِّر النَّاس مِنْ تقدِيم الْهَوَى وَدِين الْآبَاء عَلَى سُنَّة النَّبِيِّ ﷺ،
قال ﷺ: «إِذَا تَبَيَّنَ حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِيَانًا كَالشَّمْسِ، فَلَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَرُدَّهُ لِكُونِهِ مُخَالِفًا لِهَوَاهُ، أَوْ لِمَا عَلَيْهِ أَهْل
وَقْتِهِ وَمَشَايِخِهِ»^(١).

١٠ - يَعْظِمُ النَّاس بِأَنَّ الْمُنْجِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ هُوَ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ،
قال ﷺ: «قَدْمٌ لِنَفْسِكَ مَا يُنْجِيكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُنْجِيكَ إِلَّا
اتِّبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ
يَسْأَهُمَا»^(٢).

١١ - يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِلآخَرِينَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَتَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ،
قال ﷺ: «جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَتَابِعِ الرَّسُولِ، وَحَشَرْنَا تَحْتَ لَوَائِهِ،
وَأَوْرَدْنَا حَوْضَهُ الَّذِي يَرُدُّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِدِينِهِ فِي الدُّنْيَا»^(٣).

١٢ - مِنْ مَحَبَّتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبْنَاءَهُ السَّتَّةُ سُوِّيَ وَاحِدٌ، سَمَّاهُم
بِأَسْمَاءِ أُولَادِ النَّبِيِّ وَآلِهِ ﷺ، وَهُمْ: إِبْرَاهِيمُ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَعَلِيُّ،
وَحَسْنُ، وَحَسِينُ.

وَلَا تُعْرِفُ أُسْرَةً فِي نَجْدٍ يَكْثُرُ فِي أُولَادِهَا أَسْمَاءُ أُولَادِ النَّبِيِّ
وَآلِهِ ﷺ مِثْلُ أُسْرَةِ الشَّيْخِ ﷺ.

قال الجُدُّ عبد الرَّحْمَنُ بْنُ قَاسِمٍ ﷺ: «كَانَ أَكْمَلَ النَّاس اتِّبَاعًا
لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ»^(٤).

(٢) الدرر السنّية في الأجوبة النّجدية (١/٩٠).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٤٠).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٣٠٩).

(٤) الدرر السنّية في الأجوبة النّجدية (٦/٣١٤).

قَبُولُهُ لِلْحَقِّ

كان رَحْمَةً لِلَّهِ يبحث عن الحق ويقبله وينقاد له، فكان يطلب من الناس؛ حتى من المعاذين له أن يُبَيِّنوا له الحق بدليله ليتبَعَه، وفي هذا إشارة منه لهم لحُّهم على قبول الحق، وبيان ذلك في الآتي:

١ - يطلب من غيره أن يُبَيِّنَ له الصَّواب، وأن يرشده إليه، قال رَحْمَةً لِلَّهِ: «بَيِّنُوا لَنَا الصَّواب، وَأَرْسِدُونَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رِيبَ فِيهِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ إِشَاعَتُهُ فِي النَّاسِ، وَتَعْلِيمُهُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَرَحِمْ اللَّهُ مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ عَلَيْهِ، وَتَابَ إِلَى اللَّهِ، وَأَفْرَغَ عَلَى نَفْسِهِ»^(١).

وقال رَحْمَةً لِلَّهِ: «فَإِنْ بَانَ لَكُمْ فِي كَلَامِي هَذَا شَيْءٌ... بَيِّنُوا لَنَا الصَّواب، وَأَرْسِدُونَا إِلَيْهِ»^(٢).

٢ - يطلب من الناس أن يُنْبِهوه على الحق؛ ليُرْجعَ إِلَيْهِ، قال رَحْمَةً لِلَّهِ: «إِنْ كُنْتَ إِذَا نَقْلَتْ لَكَ عَبَارَاتِ الْعُلَمَاءِ، عَرَفْتَ أَنِّي لَمْ أَفْهَمْ مَعْنَاهَا، وَأَنَّ الَّذِي نَقْلَتْ لَكَ كَلَامَهُمْ أَخْطَأُوهُ، وَأَنَّهُمْ خَالِقُهُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَنَبْهَنِي عَلَى الْحَقِّ، وَأَرْجعَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٣).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٣٢١/١).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ١٢٦).

(٣) روضة الأفكار والأفهام (٣٥١/١).

٣ - يَطْلُبُ مِنَ الْآخْرِينَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ، أَوْ لَهُ مَعْنَىٰ آخَرُ أَنْ يُرْشِدُوهُ إِلَيْهِ، قَالَ رَبُّكُمْ اللَّهُ: «إِذَا تَحَقَّقْتُمْ ذَلِكَ وَطَالَعْتُمُ الشُّرُوحَ وَالْحَوَالِيَّ، فَإِذَا أَنِّي لَمْ أَفْهَمْهُ وَلَهُ مَعْنَىٰ آخَرُ، فَأَرْشِدُونِي، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَنَا وَإِلَيْكُمْ وَإِخْرَانَا لِمَا يُحِبُّ وَيُرْضِي»^(١).

٤ - يَذَكُّرُ لِخُصُومِهِ إِنْ ظَاهِرًا لَهُمْ أَنَّ أَئمَّةَ الدِّينِ مُخْطَطُونَ، فَلِيُبَيِّنُوا لَهُ الْحَقَّ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَ رَبُّكُمْ اللَّهُ: «إِنْ بَانَ لَكُمْ أَنَّهُمْ - أَيُّ : أَئمَّةُ الدِّينِ - مُخْطَطُونَ، فَبَيِّنُوا لِي الْحَقَّ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَيْهِ»^(٢).

٥ - يُبَيِّنُ لِخُصُومِهِ أَنَّهُ إِنْ أَفْتَى وَأَخْطَأَ، وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُبَيِّنُوا لَهُ الْحَقَّ، قَالَ رَبُّكُمْ اللَّهُ: «دِينُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ لِي دُونَكُمْ، فَإِذَا أَفْتَيْتُ أَوْ عَمِلْتُ بِشَيْءٍ وَعَلِمْتُمْ أَنِّي مُخْطَطٌ، وَجَبَ عَلَيْكُمْ تَبْيَانُ الْحَقِّ لِأَخِيكُمُ الْمُسْلِمِ»^(٣).

٦ - يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ إِنْ كَانَتْ دُعْوَةُ غَيْرِ اللَّهِ لِيُسْتَ شَرِكًاً؛ فَلِيُبَيِّنُوا لَهُ الصَّوَابُ وَيُرْشِدُوهُ إِلَيْهِ، قَالَ رَبُّكُمْ اللَّهُ: «إِنْ بَانَ لَكُمْ فِي كَلَامِي هَذَا شَيْءٌ مِنَ الْعُلُوِّ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْأَفْاعِيلُ لَوْ كَانَتْ حَرَاماً فَلَا تُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ فِعْلَ أَهْلِ زَمَانِنَا فِي الشَّدَائِدِ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ وَعِنْدَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ؛ بَيِّنُوا لَنَا الصَّوَابَ وَأَرْشِدُونَا إِلَيْهِ»^(٤).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٤١٧/١).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٦).

(٣) روضة الأفكار والأفهام (٤١٥/١).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ١٢٧).

٧ - يُبَيِّنُ أَنَّ الواجبَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَدْوِرَ مَعَ الْحَقِّ حِيثُ دَارَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «أَنَا أُجِيبُكَ عَنِ الْكِتَابِ جُمِلَةً» - أَيْ: كِتَابٌ أَحَدٌ خُصُومُهُ -؛ فَإِنْ كَانَ الصَّوابُ فِيهِ فَنَبْهَنِي وَأَرْجِعْ إِلَى الْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ غَيْرِ مُجَازَفَةٍ؛ بَلْ أَنَا مُقتَصِرٌ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَدْوِرَ مَعَ الْحَقِّ حِيثُ دَارٍ»^(١).

٨ - يَعْدُ أَنَّ مَنْ عَنْهُ حَقٌّ فَسُوفَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَقْبِلُهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ حَقٌّ رَجَعْنَا إِلَيْهِ، وَقَبَلْنَاهُ مِنْكُمْ»^(٢).

٩ - يُشَهِّدُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ يَقْبِلُ الْحَقَّ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «وَأَنَا أُشَهِّدُ اللَّهَ أَنِّي أَقَبَلُ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ»^(٣).

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «وَأَنَا أُشَهِّدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ إِنْ أَتَانِي مِنْهُمْ حَقٌّ لَا قَبَلَنَا عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ»^(٤).

١٠ - يُشَهِّدُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ إِنْ أَتَتْهُ كَلْمَةٌ مِنَ الْحَقِّ لِيَقْبِلَنَّهَا، وَيَتَرَكَ قَوْلَ كُلِّ إِمَامٍ حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «فَأَنَا - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - لَمْ آتِ الذِّي أَتَيْتُ بِجَهَالَةٍ، وَأُشَهِّدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مِنْهُ أَوْ مَمْنُونَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ كَلْمَةٌ مِنَ الْحَقِّ، لَا قَبَلَنَا عَلَى الرَّأْسِ

(١) روضة الأفكار والأفهام (٣٢١/١).

(٢) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٤٥/١٠).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٤٢).

(٤) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٩٧/١٠).

والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يُفارق الحق»^(١).

وقال رَبُّكُمْ اللَّهُ: «أَشْهُدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِنَّ أَنَا مِنْكُمْ كَلْمَةً مِنَ الْحَقِّ لَأَقْبِلَنَّهَا عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَلَا يُضْرِبُنَّ الْجِدارَ بِكُلِّ مَا خَالَفَهَا مِنْ أَقْوَالٍ أَئْمَتِي، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يقول إلا الحق»^(٢).

قال الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَبُّكُمْ اللَّهُ: «مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَاتَّبَعَهُ فَهُوَ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٧٦).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٢).

(٣) الدرر السننية في الأジョبة النجدية (١٣ / ٨٤).

مَحَبَّتُهُ لِلْحِوارِ

مِنْ أَسَالِيبِ دُعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ لِأَقْوَامِهِمُ الْحِوارِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ ذَلِكَ رَسُولُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: «وَجَدِلُهُمْ بِالْقِيَّ هِيَ أَحَسَنُ» [النَّحل: ١٢٥]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُّهُمْ مَنْ احْتَاجَ مِنْهُمْ إِلَى مَنَاظِرَةٍ وَجَدَالٍ؟ فَلَيَكُنْ بِالْوَجْهِ الْحَسَنُ - بِرِفْقٍ وَلِينٍ، وَحُسْنٍ خِطَابٍ -»^(١)، وَقَدْ اتَّخَذَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا مِنْهَجًا، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي الْآتِيِّ:

١ - يُفَرِّحُ بِمَنْ يَزُورُهُ وَيُذَاكِرُهُ فِي مَسَائلِ الْعِلْمِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَإِنْ طَمِعْتَ بِالزِّيَارَةِ وَالْمُذَاكَرَةِ مِنَ الرَّأْسِ»^(٢)؛ لَعَلَّكَ أَيْضًا تُحَقِّقُ عِلْمَ الْعَقَائِدِ وَتُؤْمِنُ بِهِ مِنْ بَاطِلِهِ، وَتَعْرَفُ أَيْضًا عِلْمَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَالْكُفُرِ بِالظَّاغُوتِ، فَتَرَاهُ أُشَيرُ وَأَلْزَمُ^(٣)»^(٤).

٢ - يَحُثُّ مَنْ لَمْ تَتَضَعِّفْ لَهُ أَيُّ مَسَأَلَةٍ أَنْ يُرَاجِعَهَا، فَإِنْ لَمْ تَتَضَعِّفْ لَهُ شَرَحَهَا لَهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الَّذِي ذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ غَيْرُ الْمُعْنَى الَّذِي أَرَدْتَ، فَرَاجِعُهُ وَتَأْمَلْهُ بِقَلْبِكَ، فَإِنْ اتَّضَحَ لَكَ، وَإِلَّا فَرَاجِعُنِي فِيهِ؛ لَأَنَّهُ كَلَامٌ طَوِيلٌ»^(٥).

(١) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٤/٦١٣).

(٢) أَيُّهُمْ سَمِعَ مِنِّيْ، وَأَسْمَعَ مِنِّيْ مَبَاشِرَةً.

(٣) أَيُّهُمْ أَصْحَّكَ بِذَلِكَ وَأَوْكَدَهُ.

(٤) رُوضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١/٣٣١).

(٥) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص١٩).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَالْمَأْمُولُ فِيكُ أَنْكَ تَنْظُرُ فِيهَا بَعْنَ الْبَصِيرَةِ، وَتَتَأْمَلُ هَذَا الْأَمْرُ، وَاعْغِرْضُ هَذَا عَلَيْهِ^(١)، وَاطْلُبْ مِنْهُ الْجَوابَ عَنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ هَذَا، فَإِنْ أَجَابَكَ بِشَيْءٍ، فَاقْتُبِهِ؛ وَإِنْ عَرَفَتَهُ بَاطِلًا، وَإِلَّا فَرَاجِعُنِي فِيهِ أُبَيِّنُهُ لَكُ، وَلَا تَسْتَحْقِرْ هَذَا الْأَمْرَ»^(٢).

٣ - يَحْثُّ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ تَوَاجَهُنِي»^(٣).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَإِنْ أَشْكَلَ شَيْءٌ عَلَيْكَ فَرَاجِعُنِي فِيهِ، حَتَّى تَعْرَفَ كَلَامِي وَكَلامَه»^(٤).

٤ - يَحْثُّ مَنْ كَانَتْ عَنْدَهُ شُبْهَةٌ أَنْ يَذْكُرَهَا لَهُ حَتَّى يَكْشِفَهَا، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَتَأْمَلْ هَذَا الْكَلَامَ بِشَرَاشِرِ قَلْبِكَ^(٥)، ثُمَّ نَزِلْهُ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ وَحَالِكَ، وَتَفَكَّرْ فِي نَفْسِكَ وَحَاسِبَهَا، بِأَيِّ شَيْءٍ تَدْفَعُ هَذَا الْكَلَام؟ وَبِأَيِّ حُجَّةٍ تَحْتَجُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ كَانَ عَنْكَ شُبْهَةٌ فَادْكُرْهَا، فَأَنَا أُبَيِّنُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٦).

٥ - يَدْعُو الْمُخَالِفَ لِزِيَارَتِهِ وَالْمُكْثِ عَنْهُ أَيَّامًاً لِلْحُوارِ؛ وَإِنْ أَبْيَ المُخَالِفُ الْزِيَارَةَ فَالشَّيْخَ - مَعَ جَلَلَةِ قَدْرِهِ - يَزُورُهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَأَنَا

(١) أي: على خصم الدعوة عبد الله المؤيس.

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٢٦).

(٣) الدرر السننية في الأوجبة النجدية (١٠/١٧).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ١٤٠).

(٥) أي: أقبل عليه بقلبك محبة له.

(٦) الرسائل الشخصية (ص ٣٠٥).

أُشيرُ عليكم وألزِمُ أَنَّ عَبْدَ الْوَهَابَ يَزورُنَا سَوَاءً كَانَ يَوْمَيْنِ وَإِلَّا ثَلَاثَةَ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ يَصِيرُ قَطْعًا لِهَذِهِ الْفَتْنَةِ، وَيُخَاطِبُنِي وَأَخْاطِبُهُ مِنَ الرَّأْسِ.

وَإِنْ كَانَ كَبُرُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، فَيَوْصِي لِي وَأَعْنِي لَهُ^(١)؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يُزِيلُ زَعْلَكُمْ وَيُؤْلِفُ الْكَلْمَةَ وَيَهْدِيْكُمُ اللَّهَ بِسَبِيلِ نَحْرَصِ عَلَيْهِ، وَلَوْ هُوَ أَشَقُّ مِنْ هَذَا^(٢).

٦ - كَانَ يُحاورُ النَّاسَ مِنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «اجتَمَعْتُ بِكَ مِنْ نَحْوِ عَشَرِينَ^(٣)، وَتَذَاكَرْتُ أَنَا وَإِيَّاكَ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَأَخْرَجْتُ لَيْ كِرَارِيسَ مِنَ الْبُخَارِيِّ كَتَبَتْهَا وَنَقَلْتَ عَلَى هَوَامِشِهَا مِنَ الشُّرُوحِ، وَقُلْتَ فِي مَسَأَلَةِ الإِيمَانِ الَّتِي ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ الصَّحِيحِ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَدِينَ اللَّهَ بِهِ، فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْكَلَامُ؛ وَذَاكَرْتُنِي أَيْضًا فِي بَعْضِ الْمَسَائلِ»^(٤).

٧ - يُبَيِّنُ أَنَّ الْحِوَارَ يَخْتَصِرُ الزَّمْنَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «هَذِهِ الْوَاقِعَةُ أَنْفَعُ لَكَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ»^(٥).

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَاسِمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «أَهْلُ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعَرَاقِ وَالْحَرَمَيْنِ وَالهَنْدِ وَغَيْرِهِمْ؛ تَواتِرُ عَنْ فَضَلَائِهِمْ وَأَذْكِيَائِهِمْ مَدْحُهُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَالشَّهَادَةُ لَهُ أَنَّهُ جَدَّ هَذَا الدِّينِ»^(٦).

(١) أي: أَكْلَفْتُ نفسي بالمجيء إليه.

(٢) أي: عشرين سنة.

(٣) الدرر السننية في الأرجوحة النجدية (ص ١٣٥).

(٤) روضة الأفكار والأفهام (٤١٩/١).

(٥) الدرر السننية في الأرجوحة النجدية (٣٦/١).

(٦) الدرر السننية في الأرجوحة النجدية (٣٢٤/١٦).

طريقته في المحاورة

كان يَحْبُّ الحوار؛ ليتبين لآخر الصواب في المسألة، وليظهر بطلان ما يدعو إليه المُخالِفُ، وبيان طريقته في المُحاوَرَة في الآتي:

١ - يُظْهِرُ في الحوار أنَّ ما يدعوه إليه هو الْطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، وأنَّ دَعْوَتَه مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْعِلْمِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «مَا ذُكِرَ لَكُمْ عَنِّي، فَإِنِّي لَمْ آتَهُ بِجَهَالَةٍ، بَلْ أَقُولُ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمَنَةُ، وَبِهِ الْقُوَّةُ - إِنِّي هُدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، دِينِنَا قِيمًا مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(١).

٢ - موْقِنٌ بِقُوَّةِ حُجَّاجِ اللَّهِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «هَيْهَاتٌ أَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَ حُجَّاجَ اللَّهِ وَبَيْنَاتِهِ»^(٢).

٣ - واثقٌ مِنْ عِلْمِهِ، مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «عِنْدِي مِنَ الْحُجَّاجِ الْكَثِيرَةِ الْوَاضِحَةِ مَا لَا تَقْدِرُونَ - أَنْتُمْ وَلَا هُمْ - أَنْ تُجِيبُوْا عَنْ حُجَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَكَيْفَ لَكُمْ بِمَلَاقَةِ جَنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟!»^(٣).

٤ - يَتَحَدَّى أَنْ يَأْتِي أَحَدٌ بِكَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا قَالَهُ مُخَالِفُهُ لِكَلامِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ رَبُّكُمْ: «السَّلْفُ قَدْ كَثُرَ كَلَامُهُمْ وَتَصَانِيفُهُمْ فِي أُصُولِ

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٢).

(٢) الرسائل الشخصية (ص ١٤٥).

(٣) روضة الأفكار والأفهام (١/٤٤٥).

الدِّينِ، وإبطالِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَتَفْكِيرِهِمْ؛ وَمِمَّنْ ذَكَرَ هَذَا مِنْ مَتَّخِرِي الشَّافِعِيَّةِ: الْبَيْهَقِيُّ، وَالْبَغْوَيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ التَّمِيميُّ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ كَالحافظِ الْذَّهَبِيُّ، وَأَمَّا مُتَقْدِمُوهُمْ كَابنِ سُرِيجِ، وَالدَّارِقطَنِيُّ، وَغَيْرِهِمَا، فَكُلُّهُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ.

فَفَتَّشَ فِي كُتُبِ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنْ أَتَيْتَنِي بِكَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ أَنَّهُمْ رِجَالٌ وَاحِدًا لَمْ يُنِكِّرُ عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ، وَلَمْ يُكَفِّرُهُمْ، فَلَا تَقْبِلُ مِنِّي شَيْئًا أَبْدًا»^(١).

٥ - مَنْ يَدَعِي عِنْدَهُ مِنَ الْمُخَالِفِينَ أَنَّهُ ذُو عِلْمٍ، يَطْلُبُ مِنْهُ كَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا يَزْعُمُهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «يَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَأَهْلُ الصَّوَابِ، وَغَيْرُنَا صَبِيَانٌ جُهَّالٌ»^(٢).

وَالصَّبِيَانُ يَقُولُونَ^(٣): أَظَهِرُوا لَنَا كِتَابَكُمْ، وَيَأْبَوْنَ عَنِ إِظْهارِهِ.

أَمَّا فِي هَذَا مَا يَدْلِلُ عَلَى جَهَالِتِهِمْ وَضَلَالِتِهِمْ؟!»^(٤).

٦ - يُبَيِّنُ لِلْمُخَالِفِ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ الَّتِي يُخْفِيَهَا بِمَا يَدِينُهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «إِنْ جَحَدْتَ، فَهَذَا خَطُّ يَدِكَ مَوْجُودٌ»^(٥).

وَقَالَ لَاَخْرَ: «وَأَيْضًا مَكَاتِبُ أَهْلِ الْحَسَانَةِ مَوْجُودَةُ»^(٦).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٦٤).

(٢) يَقْصِدُونَ الشَّيْخَ.

(٣) أي: وَنَحْنُ الَّذِينَ تَصْفُونَا بِالصَّبِيَانِ نَقُولُ لَكُمْ.

(٤) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ١٩٠).

(٥) رُوضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١/٣٩٠).

(٦) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٠٦).

قال الجُدُّ عبد الرَّحْمَنُ بْنُ قَاسِمٍ واصفًا الشَّيْخَ وَهُوَ مِنْ أَنْجَانِ الْمُؤْمِنِينَ: «شَرْفُ الْإِسْلَامِ وَفَرِيْدُهُ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَمَعْرِفَةً وَشَجَاعَةً وَذَكَارًا»^(١).

(١) الدرر السننية في الأجوبة النجدية (٣١٤ / ١٦).

الفصل السَّابع

المُعَارِضُونَ لِدَعْوَتِهِ

وَفِيهِ سَتَّةٌ مِّنْ مُبَاحِثٍ:

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: حَالُ مَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: الْمُسْتَوَى الْعِلْمِيُّ لِمَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: أَسْبَابُ مُعَادَاتِهِ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: أَسَالِيبُ مُعَادَاتِهِ.

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ: الْإِفْتِرَاءُ عَلَيْهِ.

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ: طَرِيقَتُهُ مَعَ الْمُعَادِينَ لَهُ.

حالٌ مَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ

كان الشَّيخ عالِمًا رَبَانِيًّا، وقد عاداه بعضُ مَنْ يَدَعُى العلم فَأَلْبُوا عليه الولاة والعامَة، قال الشَّيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «الذِي عادانا فِي هَذَا الْأَمْرِ هُمُ الْخَاصَّةُ، لَيْسُوا بِالْعَامَةِ»^(١)، وَبِيَانِ حَالٍ مَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ مَمَنْ يَدَعُى الْعِلْمَ فِي الْآتِيِّ:

١ - يُنِكِرونَ الْإِسْلَامَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «جَاءَنَا خُطُوطُهُمْ»^(٢) فِي إِنْكَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَكَاتَبُنَا هُمُ، وَنَقَلْنَا لَهُمُ الْعَبَاراتِ»^(٣).

٢ - يُنِكِرونَ الدِّينَ، وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْهُ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنْهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «هَذِهِ خُطُوطُ الْمُؤْيِسِ، وَابْنِ إِسْمَاعِيلِ، وَأَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى عَنْدَنَا؛ فِي إِنْكَارِ هَذَا الدِّينِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَهُمُ الْآنَ مجتهدُونَ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْهِ»^(٤).

٣ - يَسْبُّونَ الدِّينَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «ابْنُ عَضِيبٍ أَكْثُرُ النَّاسِ سَبَّاً لِهَذَا الدِّينِ إِلَى الْآنِ»^(٥).

(١) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبةِ النَّاجِيَّةِ (٦٢/٢).

(٢) أي: كِتاباتِهِم.

(٣) روضةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٤٤٢/١).

(٤) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ١٦٧).

(٥) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبةِ النَّاجِيَّةِ (٨٠/١٠).

٤ - يَسْبُّونَ دِينَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ سُنُوْتَ طُوْلِيَّة، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَهُ قَرِيبٌ مِّنْ أَرْبَعِينَ سَنَّةً يَسْبُّ دِينَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيُبَغْضُهُ، وَيَصُدُّ عَنْهُ مَهْمَا أَمْكَنَ»^(١).

٥ - الْإِسْتِدْلَالُ بِالْقُرْآنِ عِنْدَهُمْ هَزُوْ؛ بَلْ جَعَلُوا ذَلِكَ عَادَةً لَهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنْ كَانَ الْإِسْتِدْلَالُ بِالْقُرْآنِ عِنْدَكُمْ هَزُوْ وَجَهْلًا كَمَا هِيَ عَادَتُكُمْ، وَلَا تَقْبِلُوهُنَّا، فَانظُرُوهُنَّا فِي (الْإِقْنَاعِ)^(٢)، فِي بَابِ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ، وَمَا ذَكَرَ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ الْهَائِلَةِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَهَا فَقَدْ ارْتَدَ»^(٣).

٦ - يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَكِيفَ بِمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِي الشَّيَاطِينِ...، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ؟!»^(٤).

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَقَفَتُ عَلَى أُوراقِ بَخَطْ وَلَدِ ابْنِ سَحِيمٍ، صَنَفَهَا يَرِيدُ أَنْ يَصُدَّ بِهَا النَّاسَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٥).

٧ - يُجَاهِدُونَ جَهَادًا كَبِيرًا فِي رَدِّ دِينِ الْإِسْلَامِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الْعَجَبُ مِنْكَ؛ إِذَا كُنْتَ مِنْ خَمْسِ سَنِينِ تُجَاهِدُ جَهَادًا كَبِيرًا فِي رَدِّ دِينِ الْإِسْلَامِ!»^(٦).

(١) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ١٧٣).

(٢) أي: كتاب الإقناع للحجاوي.

(٣) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٢٠).

(٤) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٥٤).

(٥) الدُّرُرُ السَّيِّئَةُ فِي الْأَجْوَيْةِ التَّجَدِيَّةِ (١٠/٤٦).

(٦) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٢٨٠).

٨ - يَجْتَهِدُونَ فِي عَدَاوَةِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ لِيَلَّاً وَنَهَارًاً، وَيَكْذِبُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَنْتَ وَأَبُوكَ مُجْتَهِدٌانِ فِي عَدَاوَةِ هَذَا الدِّينِ لِيَلَّا وَنَهَارًاً وَمَنْ أَطَاعَكُمَا، وَتَبَهَّتُونَ^(١) وَتَرْمُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَهْتَانِ الْعَظِيمِ، وَتُصَوِّرُونَ عَلَى النَّاسِ الْأَكَاذِيبَ الْكَبَارِ»^(٢).

٩ - يَسْتَهْزِئُونَ بِمَنْ يَعْلَمُ التَّوْحِيدَ أَوْ يُعَلِّمُهُ النَّاسَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَسَاكِنُكُمْ أَوْ ابْنُ رَاجِحٍ وَإِلَّا صَالِحُ بْنُ سَلِيمَ وَأَشْبَاهُهُوَلَاءَ، الَّذِينَ تُلْقِنُهُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ عِبَادَةَ الْمَخْلوقَاتِ كُفْرٌ، وَأَنَّ الْكُفَّارَ بِالظَّاغُوتِ فَرِضٌ، قَمْتَ تُجَاهِدُ وَتُبَالِغُ فِي نَقْضِ ذَلِكَ، وَالاستهْزَاءُ بِهِ»^(٣).

١٠ - يَحْكُمُونَ بِرِدَّةِ مَنْ عَرَفَ شَيْئًا مِنَ التَّوْحِيدِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «زَعَمُوا أَنَّ أَهْلَ الْعَارِضِ ارْتَدُوا لَمَّا عَرَفُوا شَيْئًا مِنَ التَّوْحِيدِ»^(٤).

١١ - يَسْتَحْلِلُونَ دَمَ مَنْ صَدَقَ بِالْتَّوْحِيدِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَمَّا ابْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ وَابْنُ عَفَالِقِ وَابْنُ مَطْلَقِ فَحَسَّوْا بِالزَّبِيلِ»^(٥)؛ أَعْنِي: سِبَابَةُ^(٦) التَّوْحِيدِ وَاسْتِحْلَالُ دَمِ مَنْ صَدَقَ بِهِ، أَوْ أَنْكَرَ الشَّرِكَ»^(٧).

١٢ - يُكَفِّرُونَ مَنْ وَحَدَ اللَّهَ، وَيَأْمُرُونَ بِقَتْلِهِ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الْمَكَاتِيبُ الَّتِي أَرْسَلَهَا عُلَمَاءُ الْحَرَمَيْنِ مَعَ الْمَزِيُودِيِّ سَنَةَ

(١) أي: وَتَكْذِبُونَ أَشَدَّ الْكَذْبِ.

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٨٩).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٠).

(٤) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٢/٦٢).

(٥) أي: تكلموا بالكلام الكثير الباطل.

(٦) أي: سبَّ.

(٧) الرسائل الشخصية (ص ٢٠٦).

الحبس؛ عندنا إلى الآن، وقد صرّحوا فيها أنَّ مَنْ أَفَرَّ بِالتَّوْحِيدِ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَقُتِلَ فِي الْحِلْلِ وَالْحَرَمِ»^(١).

١٣ - يَعْمَلُونَ السُّحْرَ، قَالَ رَبُّهُمْ لِأَهْدِهِمْ: «إِنَّكُمْ تَكْتُبُ فِي حُجْبَكُمْ طَلَاسِمَ»^(٢)، وَقَدْ ذُكِرَ فِي (الإِقْنَاعِ) أَنَّهَا مِنَ السُّحْرِ، وَالسُّحْرُ يَكْفُرُ صَاحْبَهُ، فَكِيفَ تَفْهَمُ التَّوْحِيدَ، وَأَنْتَ تَكْتُبُ الطَّلَاسِمَ؟!»^(٣).

١٤ - يَأْخُذُونَ مُقَابِلَ السُّحْرِ عِوَضًا، قَالَ رَبُّهُمْ: «أَنْتَ تَكْتُبُ الْحُجْبَ وَتَأْخُذُ عَلَيْهَا شَرْطًا، حَتَّى إِنَّكَ كَتَبْتَ لِامْرَأَةَ حِجَابًا لِعَلَّهَا تَحْبِلُ»^(٤)، وَشَرَطَتْ لَكَ (أَحْمَرِيْنِ)^(٥)، وَطَالَبَتْهَا تَرِيدُ (الْأَحْمَرِيْنِ)^(٦).

١٥ - مِنْهُمْ مَنْ كُفِرَ أَشَدُّ مِنْ كُفُرِ مَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامِ، قَالَ رَبُّهُمْ: «أَقْطَعُ أَنَّ كُفَرَ مَنْ عَبَدَ (قُبَّةَ أَبِي طَالِبٍ)^(٧) لَا يَبْلُغُ عُشْرَ كُفُرِ الْمُوَيْسِ»^(٨) وَأَمْثَالِهِ»^(٩).

(١) روضة الأفكار والأفهام (٤٢٤ / ١).

(٢) المراد بالحجب: التّمام ونحوها.

والطلasm: خطوط وكتابات لا تحتوي على معنى واضح ومفهوم، يستخدمها السّحرة.

(٣) روضة الأفكار والأفهام (٣٩٠ / ١).

(٤) أي: تحمل بجينين.

(٥) المراد بالأحمر: جنيه الذهب.

(٦) روضة الأفكار والأفهام (٣٩٠ / ١).

(٧) قُبَّةُ أَبِي طَالِبٍ: نَسْبَةُ لِأَبِي طَالِبٍ بْنُ حَسْنٍ بْنُ أَبِي نُمَيِّ، أَحَدُ أَمْرَاءِ مَكَّةَ مِمَّنْ عُرِفَ بِالظُّلْمِ (ت ١٠١٢ هـ)، ثُمَّ بَنُوا فَوْقَ قَبْرِهِ فُبَّةً فِي مَكَّةَ، ثُمَّ نُسِّبَتِ الْفُبَّةُ لِعَمِ النَّبِيِّ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي مَاتَ مُسْرِكًا. الدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١ / ٣٨٠)، مجلَّةُ الْعَرَبِ (٤-٣)، مقالٌ لِلْحَمْدِ الْجَاسِرِ (ص ١٦٩).

(٨) هو: عبد الله المُوَيْسِ، أَحَدُ أَعْدَاءِ الدُّعَوَةِ.

(٩) الرسائل الشخصية (ص ٢٧).

١٦ - حُكْمُ الشَّيْخِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ يَعْرِفُ النَّاسُ الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِهِ لَأَفْتَيْتُ بِحَلْلٍ دَمَ ابْنِ سَحِيمٍ وَأَمْثَالِهِ، وَوُجُوبِ قَتْلِهِمْ، كَمَا أَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ كُلُّهُمْ، لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي حَرَجاً مِنْ ذَلِكَ»^(١).

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ظَهَرَ هَذَا الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ الْمُجَتَهِدُ فِي وَقْتٍ كَانَ أَهْلُهُ شَرّاً مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ فِي زَمْنِ الْبِعْثَةِ؛ مِنْ شُرَكٍ وَخُرَافَاتٍ، وَبِدَعٍ وَضَلَالَاتٍ، وَجَهَالَةٍ غَالِبَةٍ»^(٢).

(١) الدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدِيَّةِ (٨/٥٤).

(٢) الدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدِيَّةِ (١١/١٨).

المُسْتَوَى الْعِلْمِي لِمَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ

الشَّيخُ رَحْمَةُ اللَّهِ جَامِعُ لِفَنُونٍ عَدِيدٍ مِنَ الْعِلْمِ؛ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْعِقِيدَةِ وَالْفَقِهِ وَالتَّفْسِيرِ وَالسِّيرَةِ وَغَيْرِهَا، وَبَعْضُ مَنْ يَدْعُ إِلَيْهِ الْعِلْمَ فِي زَمَانِهِ مِمَّنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ يَجْهَلُونَ أَصْوَالًا مِنَ الدِّينِ، وَقَدْ وَصَفَ الشَّيخُ رَحْمَةُ اللَّهِ حَالَهُمْ بِالآتِيِّ :

١ - لَا يَفْهَمُونَ شَهادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ أَشَهَدَ الشَّيخُ رَبَّهُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِأَحَدِ خُصُومِهِ: «وَأَنْتَ إِلَى الْآنِ، أَنْتَ وَأَبُوكَ لَا تَفْهَمُونَ شَهادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ أَنَا أَشَهُدُ بِهَذَا، شَهادَةً يَسْأَلُنِي اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَنَّكَ لَا تَعْرِفُهَا إِلَى الْآنِ وَلَا أَبُوكَ»^(١).

٢ - لَا يُمِيزُونَ بَيْنَ دِينِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ وَدِينِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «رَجُلٌ^(٢) بَيْنَ اللَّهِ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ وَمَشَايِخُكُمْ وَمَشَايِخُهُمْ لَمْ يَفْهَمُوهُ، وَلَمْ يُمِيزُوا بَيْنَ دِينِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَدِينِ عَمْرُو بْنِ لُحَيٍّ الَّذِي وَضَعَهُ لِلْعَرَبِ، بَلْ دِينِ عَمْرُو عِنْدَهُمْ دِينٌ صَحِيحٌ، وَيُسَمُّونَهُ: رِقَّةُ الْقَلْبِ، وَالاعْتِقادُ فِي الْأُولِيَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ مُتَوَقَّفٌ؛ لَا يَدْرِي مَا هَذَا، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ دِينِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ»^(٣).

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/٣٨٩).

(٢) يعني الشَّيخُ: نفسه.

(٣) روضة الأفكار والأفهام (١/٤١٦).

٣ - لا يَعْرِفُونَ عِقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «عِقِيدَتُهُمْ أَنَّ نَسَبَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ جَمِيعَهَا مِنْ نَحْوِ أَرْبَعِ فِرَقٍ مِّنَ الْمُبَدِّعَةِ، يُنَاقِضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًاً، وَيُسْبِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًاً، وَلَوْ فَهِمْتُ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْعِقِيدَةِ، لَجَعَلَتَهَا صُحْكَةً»^(١)^(٢).

٤ - لا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ مِذَهَبِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ صَفَاتِ اللَّهِ وَبَيْنَ مِذَهَبِ الْجَهْمِيَّةِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «الْمُؤْمِنُ لَمْ يَفْهَمْ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ، وَلَا كَلَامَ الْأَمْوَاتِ، وَجَعَلَ النَّفِيَّ - الَّذِي هُوَ مِذَهَبُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعَتَزَّلَةِ - مِذَهَبَ السَّلَفِ»^(٣).

٥ - لا يَفْهَمُونَ مَعْنَى الْعِبَادَةِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «لَكُنْ... لَا يَفْهَمُونَ مَعْنَى الْعِبَادَةِ»^(٤).

٦ - لا يَعْرِفُونَ مَا دَوَّنَهُ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «عِنْدَكُمْ كِتَابٌ (إِعْلَامُ الْمُوقِّعِينَ) لَابْنِ الْقَيْمِ عِنْدَ ابْنِ فِيرُوزٍ فِي مَشْرِفَةٍ»^(٥)، فَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ بَسْطًا كَثِيرًا، وَسَرَدَ مِنْ شُبُهِ أَئْمَانِكُمْ مَا لَا تَعْرِفُونَ أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ»^(٦).

(١) أي: يُضْحِكُ مِنْهَا.

(٢) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (١١/٣).

(٣) رُوْضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١/٣٢٣).

(٤) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٩٠).

(٥) مَشْرِفَة: مَوْضِعٌ فِي مَدِينَةِ الْبُرْزَازِ بِالْأَحْسَاءِ، كَانَ مَنْزِلُ ابْنِ فِيرُوزٍ فِيهَا. قَضَاهَا الْأَحْسَاءُ خَلَالَ سَنَةِ قَرْوَنَ (ص ٤٧).

(٦) الْدُّرُرُ السَّنَنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَيَّةِ (١/٤٠).

٧ - وصف الشَّيخ جَهْلَهُم بالجَهْل الْمُرْكَب^(١)، فقال رَحْمَةُ اللهِ: «لِيْسْ عَنْدَكِ إِلَّا الجَهْل الْمُرْكَب»^(٢).

قال ابن غَنَّام رَحْمَةُ اللهِ: «وَسَمُّوا أَنفُسَهُم بِمِيْسَم^(٣) الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ»^(٤).

(١) الجَهْل الْمُرْكَب: أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ جَاهِلًا وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ جَاهِل؛ فَجَهْلُهُ مُرْكَبٌ مِنْ جَهْلَيْنِ: الجَهْل بِالشَّيْءِ، وَالجَهْل بِأَنَّهُ جَاهِلٌ بِهِ.

(٢) الرَّسَائِل الشَّخْصِيَّة (ص ٢٣٥).

(٣) المِيْسَم: اسْمُ الْآلَةِ التِي يُكُوِي بِهَا وَيُعَلِّمُ.

(٤) روضة الأفكار والأفهام (١/٢٢١).

أَسْبَابُ مُعَاذَاتِهِ

عداوة أقوام الرُّسُل للرُّسُل وأتباعهم سُنة قائمة، قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيْطَانَ إِلَيْنَا وَإِلَيْهِنَّ﴾ [الأنتام: ١١٢]، والشَّيخ رَحْمَةُ اللهِ دعا إلى ما جاء به الأنبياء؛ فُعُودِي كما عُودُوا، ومنْ أَسْبَابِ مُعَاذَاتِهِ ما يأتي:

١ - أَنَّهُ أَظْهَرَ دِينَ الرَّسُولِ ﷺ، قال رَحْمَةُ اللهِ: «لِمَا أَظْهَرْتُ تَصْدِيقَ الرَّسُولِ فِيمَا جَاءَ بِهِ، سَبُّونِي غَايَةُ الْمَسَبَّةِ»^(١).

٢ - حَسَدُهُمْ لِلشَّيخِ عَلَى قَبُولِ النَّاسِ لِدُعُوتِهِ، قال رَحْمَةُ اللهِ: «فِإِنَّ الَّذِي رَأَسْلَكُمْ هُوَ عَدُوُّ اللَّهِ ابْنُ سَحِيمٍ، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ لِهِ فَأَقَرَّ بِهِ، وَعِنْدَنَا كَتْبٌ يَدِهِ فِي رَسَائِلٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سَنِينٍ، لَكُنْ أَنْكَرَ آخِرَ الْأَمْرِ لِأَسْبَابٍ؛ أَعْظُمُهَا: الْبَعْيُ ﴿أَنَّ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠]^(٢).

٣ - الْكِبْرُ وَالْعِنَادُ، قال رَحْمَةُ اللهِ: «وَإِنَّمَا يَمْنَعُهُمْ مِنِ الْانْقِيَادِ: الْكِبْرُ وَالْعِنَادُ»^(٣).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٦).

(٢) الدرر السنّية في الأوجبة التجديّة (١٠/١٢).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ١٤٤).

٤ - اتّباع الهوى، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَمَا ذُكِرَ فِي التَّشْنِيعِ عَلَيَّ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ؛ عَرَفْتُمْ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِ الْآباءِ، وَفِتْنَةَ الْأَهْوَاءِ»^(١).

٥ - حُبُ الشَّهَوَاتِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا نَهَا هُمْ عَنِ الرِّبَا وَشَرْبِ الْخَمْرِ، وَغَيْرِهَا، وَاسْتَحْسَنَ النَّاسُ أَنَّهُ يَنْهَا عَنْ هَذَا، اتَّخَذُ كُبَرَاؤُهُمْ حِيلَةً لِيُسْتَمِرُوا عَلَى الرِّبَا وَالْخَمْرِ، فَجَعَلُوا عِدَادَةَ الشَّيْخِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَلَبَسُوا عَلَى الْعَوَامِ بِأَنَّهُ هَذَا خَلَافٌ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَلْزَمْتُ مَنْ تَحْتَ يَدِي بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَنَهَيْتُهُمْ عَنِ الرِّبَا وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ، وَأَنْوَاعِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، فَلَمْ يُمْكِنْ الرُّؤْسَاءُ الْقَدْحَ فِي هَذَا وَعَيْبِهِ، لِكُونِهِ مُسْتَحْسَنًا عَنْهُ الْعَوَامُ؛ فَجَعَلُوا قُدْحَهُمْ وَعِدَادَتَهُمْ فِيمَا آمَرُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَأَنَّهُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُكِ، وَلَبَسُوا عَلَى الْعَوَامِ أَنَّهُ هَذَا خَلَافٌ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ»^(٢).

٦ - مُخالَفَتُهُ لِعَادَاتٍ مُحرَّمةٍ نَشَوَوا عَلَيْهَا، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَنْكَرَ هَذَا بَعْضُ الرُّؤْسَاءِ، لِكُونِهِ خَالِفٌ لِعَادَاتٍ نَشَوَوا عَلَيْهَا»^(٣).

٧ - سبب تغيير الناس عليه هو سبب تغيير أقوام الرُّسُل على رُسُلِهِمْ، فهذه سُنّةُ اللَّهِ فِي رُسُلِهِ وَأَتَبَاعِهِمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الَّذِي قَلَبَ النَّاسَ عَلَيْنَا: الَّذِي قَلَبَهُمْ عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ وَجَلَّهُ، وَقَلَبَهُمْ عَلَى الرُّسُلِ

(١) روضة الأفكار والأفهام (٤١٧/١).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١٣/١).

(٣) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٨٠/١).

مِنْ قَبْلِهِ: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَبُوهُ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٤٤]، وَمِثْلَمَا قَالَ وَرْقَةُ^(١)

لِلنَّبِيِّ ﷺ: (وَاللَّهُ مَا جَاءَ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ)^(٢)^(٣).

قَالَ حَفِيْدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ عَادَاهُمْ - أَيْ: الشَّيْخُ وَمَنْ مَعَهُ - مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَالْأَحسَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَوَادِي؛ أَهْلَكُهُمُ اللَّهُ، وَلَحِقَتْهُمُ الْعُقوَةُ حَتَّى فِي الدَّرَارِيِّ وَالْأَمْوَالِ»^(٤).

(١) أَيْ: وَرْقَةُ بْنُ نُوفَلَ.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم

(٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٤٤).

(٥) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٢٢/١٢).

أَسَالِيبُ مُعَادَاتِهِ

سَلَكَ بعْضُ مَنْ يَدْعُى الْعِلْمَ فِي عَصْرِهِ كُلَّ سَبِيلٍ لِمُحَارَبَةِ دَعْوَتِهِ، وَاتَّخَذُوا كُلَّ وَسِيلَةً لِمُعَادَاتِهِ، وَمِنْ تِلْكَ الْوَسَائِلِ مَا يَأْتِي:

١ - أَظَهَرُوا الْعِدَاوَةَ لِهِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَلَيْتَكُمْ تَفْعَلُ فِعْلَ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ أَلَّا سَفَلٌ مِنَ الْأَنَارِ﴾ [النِّسَاءٌ: ١٤٥]؛ لِأَنَّهُمْ يُخْفُونَ نِفَاقَهُمْ، وَأَنْتَ وَأَبُوكَ تُظْهِرَانَ لِلْخَاصِّ وَالْعَامِ»^(١).

٢ - شَنَّعُ عَلَيْهِ أَصْدِقاُوهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَمَا ذُكِرَ فِي التَّشْنِيعِ عَلَيَّ مِنِ الْأَصْدِقَاءِ»^(٢).

٣ - صَنَفُوا أُوراقًا فِي سَبَّهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «صَنَفَ الْأُوراقَ يَسْبُّنَا»^(٣).

٤ - صَنَفُوا الْمُصَنَّفَاتِ ضَدَّهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «الشَّرِهَةُ»^(٤) عَلَيْكَ، لَوْ أَنَّكَ فَاعِلٌ كَمَا فَعَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَسَانَا، لَمَّا صَنَفَ بَعْضُهُمْ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَيْنَا يَرِيدُ أَنْ يَبْعَثَهُ، تَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ: أَحَبُّ مَا إِلَى ابْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ وَصَوْلُ هَذَا إِلَيْهِ، أَنْتُمْ مَا تَسْتَحْيِيُونَ، فَتَرَكُوا الرِّسَالَةَ»^(٥).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٢٨).

(٢) روضةُ الأفكار والأفهام (٤١٧/١).

(٣) الدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَيْهِ النَّجْدِيَّةِ (٤٦/١٠).

(٤) أي: العَتَب.

(٥) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٩).

٥ - يَقْرَءُونَ عَلَى النَّاسِ مُصَنَّفَاتٍ أَهْلِ الشَّرْكِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «هُؤُلَاءِ قَامُوا وَقَعَدُوا، وَدَخَلُوا وَخَرَجُوا، وَجَاهُدُوا لِيَلًا وَنَهَارًا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ التَّوْحِيدِ؛ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِم مُصَنَّفَاتٍ أَهْلِ الشَّرْكِ»^(١).

٦ - كَتَبُوا لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ لِتَحْذِيرِهِمْ مِنْهُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «إِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ التَّوْحِيدَ، وَتُقْرِئُ أَنَّ كَلَامِي هَذَا حَقٌّ، فَكَيْفَ تَجْعَلُهُ تَغْيِيرًا لِدِينِ اللَّهِ، وَتَشْكُونَا عِنْدَ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ؟!»^(٢).

وَقَالَ: «وَالآن أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى أُمُورٍ مَا ظَنَّتُهَا لَا فِي عَقْلِهِ وَلَا فِي دِينِهِ؛ مِنْهَا: أَنَّهُ كَاتِبٌ إِلَى أَهْلِ الْحَسَانِ يُعاوِنُهُمْ عَلَى سَبِّ دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٣).

٧ - سَافَرُوا مِرَّتَيْنِ - مَرَّةً شَرْقَ الْأَرْضِ، وَمَرَّةً غَربَهَا - : إِلَى بُلْدَانٍ فِيهَا قُبُورٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لِتَأْلِيبِ أَهْلِهَا لِمُحَارَبَةِ الشَّيْخِ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّ الشَّيْخَ يُنِكِّرُ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْقُبُورِ، وَقَدْ أَحْلَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ؛ وَبِيَانِ طَرِيقِ سُفْرِهِمْ فِي الْآتِيِّ :

- سَافَرُوا مَسَافَةً ثَمَانَ مِائَةً (٨٠٠) كِيلُومِترٍ عَلَى الْجِمَالِ، مِنْ الرِّيَاضِ إِلَى الْبَصْرَةِ، حَتَّى وَصَلُوا لِأَصْحَابِ «قَبْةِ الْكَوَازِ»^(٤).

(١) الدُّرُرُ السَّيِّنةُ فِي الْأَجْوَبةِ النَّاجِدَيَّةِ (١٠٩/١٠).

(٢) الدُّرُرُ السَّيِّنةُ فِي الْأَجْوَبةِ النَّاجِدَيَّةِ (٣٣/١٠).

(٣) الرَّسَائلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ١٤١).

(٤) قَبْةُ الْكَوَازِ: تَقْعِدُ فِي الْعَرَاقِ فِي حِيِّ الْمَشْرَاقِ بِالْبَصْرَةِ، وَهِيَ: قَبْةٌ تَحْتَهَا قَبْرُ مُحَمَّدِ أَمِينِ الْكَوَازِ، يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ثم واصلوا سفرهم - مسافة ألف ومئتي (١٢٠٠) كيلومتر - إلى شمال غرب بغداد، قرب الحدود السورية حتى وصلوا لأصحاب «قبة رَجَب»^(١).

ومجموع ما قطعوه في سفرهم ذهاباً وإياباً أربعة آلاف (٤٠٠٠) كيلومتر.

- وبعدها بسنة، سافروا إلى مكة لأصحاب «قبة أبي طالب»، وقطعوا مسافة ألف وسبعين مئة وخمسين (١٧٥٠) كيلومتراً ذهاباً وإياباً.

وقد وصف الشيخ رحلتهم بالأتي:

أ - قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «المُؤِيسُ وَخَوَاصُ أَصْحَابِهِ رَكِبُوا وَتَرَكُوا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَى أَهْلِ (قبة الكواز) و(قبة رَجَب)، يَقُولُونَ: إِنَّهُ قد خَرَجَ مَنْ يُنِكِّرُ قَبْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَحْلَلَ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ»^(٢).

ب - قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَكَذَلِكَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَابْنُ رَبِيعَةَ، وَالْمُؤِيسُ أَيْضًا بَعْدِهِمْ بَسْنَةً، رَحَلُوا إِلَى أَهْلِ (قبة أبي طالب)، وَأَغْرَوْهُمْ بِمَنْ صَدَقَ النَّبِيَّ وَسَلَّمَ^(٣)، وَأَحْلَلُوا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا، حَتَّى جَرَى عَلَى النَّاسِ مَا تَعْرَفَ»^(٤).

(١) قبة رَجَب: شمال غرب العراق، قرب الحدود السورية، شرق البوكمال السوري، تبعد عنها مائة وعشرين (١١٠) كيلومترات، وهي: قبة تحتها قبر منسوب للشيخ رَجَب، يعبد من دون الله.

(٢) الدرر السننية في الأجوية النجدية ١٠/١٥.

(٣) أي: حثوهم على محاربة من صدق الرَّسُول وَسَلَّمَ، وهو الشيخ ومن معه.

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٧).

٨ - بذلوا جُهْدَهُمْ سُنُواتٍ طويلةً في صَدِّ النَّاسِ عنه، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «الْعَجْبُ مِنْكَ؛ إِذَا كُنْتَ مِنْ خَمْسِ سِنِينَ تُجاهِدُ جهاداً كَبِيرًا فِي رَدِّ دِينِ الإِسْلَامِ!»^(١).

٩ - أَتَوْا إِلَى دِيَارِ الشَّيْخِ وَقَاتَلُوهُ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَلِمَ نُقَاتِلُ أَحَدًا إِلَى الْيَوْمِ، إِلَّا دُونَ النَّفْسِ وَالْحُرْمَةِ؛ وَهُمُ الَّذِينَ أَتَوْنَا فِي دِيَارِنَا وَلَا أَبْقَوْا مُمْكِنًا»^(٢).

قال الشَّيْخُ عن كثرة أَسَالِيبِ مُعَاوَادِهِمْ لَهُ: «أَجْلَبُوا عَلَيْنَا بِحَيْلٍ السَّيْطَانِ وَرَجْلِهِ»^(٣)^(٤).

قال الشَّيْخُ إِسْحاقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: «بَالْغُوا فِي مَسْبَبَتِهِ، وَالتَّأَلِيبِ عَلَيْهِ، وَتُهْمَتِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَضَعُونَ مِنْ مِقْدَارِهِ»^(٥).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٢٨٠).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١٥/١).

(٣) الرَّجْلُ: جَمْعُ رَاجِلٍ؛ أَيْ: تَسْلَطُوا عَلَيْنَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.

(٤) روضة الأفكار والأفهام (٤١٣/١).

(٥) الدرر السننية في الأجبوبة النجدية (٥١٥/١).

الافتراء عليه

مِنْ طَبْعِ الْحَاسِدِ الْكَذَبُ وَالْافْتَرَاءُ عَلَى الْمَحْسُودِ، وَالشَّيْخُ عَمِلَ أَعْمَالاً عَظِيمَةً انتفعَ بِهَا النَّاسُ، فَحَسَدُوهُ عَلَيْهَا؛ فَافْتَرُوا عَلَيْهِ كَذِبًا وَبُهْتَانًاً، وَنَسَبُوا إِلَيْهِ مَا لَيْسَ فِيهِ؛ لِتَنْفِيرِ النَّاسِ مِنْهُ، وَصَدِّهِمْ عَنْهُ، وَبِيَانِ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِيُ :

١ - يُشَيَّعونَ بَيْنَ النَّاسِ الْكَذَبَ وَالْبُهْتَانَ عَلَيْهِ، قَالَ رَجُلٌ: «السَّبَبُ فِي الْمُكَاتَبَةِ: أَنَّ رَاشِدَ بْنَ عَرْبَانَ ذَكَرَ لَنَا عَنْكَ كَلامًا حَسَنًا سَرَّ الْخَاطِرِ، وَذَكَرَ عَنْكَ أَنَّكَ طَالِبٌ مِنِي الْمُكَاتَبَةَ، بِسَبَبِ مَا يَجِيكَ عَنَّا مِنْ كَلامِ الْعُدُوانِ، مِنِ الْكَذَبِ وَالْبُهْتَانِ»^(١).

٢ - يَبْهَتُونَ الشَّيْخَ بِبُهْتَانٍ قَبِيحٍ، يَسْتَحِيُ الْعَاقِلُ أَنْ يَحْكِيَهُ، قَالَ رَجُلٌ: «أَجْلَبُوا عَلَيْنَا بِخَيْلِ الشَّيْطَانِ وَرَجْلِهِ، مِنْهَا: إِشَاعَةُ الْبُهْتَانِ بِمَا يَسْتَحِيُ الْعَاقِلُ أَنْ يَحْكِيَهُ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفْتَرِيَهُ...، وَيَا عَجَبًا! كَيْفَ يَدْخُلُ هَذَا فِي عَقْلٍ عَاقِلٍ؟! هَلْ يَقُولُ هَذَا مُسْلِمٌ، أَوْ كَافِرٌ، أَوْ عَارِفٌ، أَوْ مَجْنُونٌ؟!»^(٢).

وَقَالَ رَجُلٌ: «وَذَكَرُوا عَنَّا أَشْياءً يَسْتَحِيُ الْعَاقِلُ مِنْ ذِكْرِهَا»^(٣).

(١) الدُّرُرُ السَّيِّئَةُ فِي الْأَجْوَيْهِ النَّجْدَيَهِ (٨٩/١).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١٣/١).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٤٠).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «يُحَكِّى عَنْنَا كَلَامٌ، مَا يَتَجَاسِرُ^(١) الْعَاقِلُ يَنْطَقُ بِهِ»^(٢).

٣ - يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ سُورَيْ البُهْتَانِ وَالْكَذْبِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «لَيْسَ عِنْدَكُمْ إِلَّا الْجَهْلُ الْمُرْكَبُ، وَالْبُهْتَانُ وَالْكَذْبُ»^(٣).

٤ - يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «زَعَمُوا أَنِّي أَكْفَرُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَأَسْتَحْلُ أَمْوَالَهُمْ»^(٤).

٥ - بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ يُفْتَرِي عَلَيْهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ افْتَرَى عَلَيَّ أُمُورًا لَمْ أَقْلِمْهَا»^(٥).

٦ - بَيْنَ أَنَّ سَبَبَ افْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ: تَنْفِيرُ النَّاسِ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «مَا ذَكَرَ الْأَعْدَاءُ عَنِي: أَنِّي أَكْفَرُ بِالظَّنِّ، وَبِالْمُوَالَةِ، أَوْ أَكْفَرُ الْجَاهِلَ الَّذِي لَمْ تَقْعُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، فَهَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، يُرِيدُونَ بِهِ تَنْفِيرَ النَّاسِ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٦).

٧ - قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ: «وَالْحَالُ: أَنَّ مَا ذُكِرَ عَنِي مِنِ الأَسْبَابِ، غَيْرُ دُعْوَةِ النَّاسِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالنَّهِيِّ عَنِ الشَّرِكِ، فُكُلُّهُ مِنِ الْبُهْتَانِ»^(٧).

(١) أي: لا يُقدِّم.

(٢) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٥٦/٨).

(٣) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٤٢/١٠).

(٤) الرسائل الشّخصية (ص ٢٦).

(٥) الرسائل الشّخصية (ص ١١).

(٦) الرسائل الشّخصية (ص ٢٥).

(٧) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٨١/١).

قال الشّيخ عبد اللّطيف بن عبد الرّحمن بن حسن رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «وقد كثُرَ أعداؤه ومنازعوه، وفشا البهتان بينهم فيما قالوه وتقلوه»^(١).

(١) الدرر السنّية في الأجوبة النّجدية (١ / ٣٧٤).

طَرِيقَتُهُ مَعَ الْمُعَادِينَ لَهُ

كان الشَّيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ حَكِيمًا في دعوته، حَلِيمًا في تَعَاملِه مع المعاذِين له، وَبِيَانُ ذَلِك في الآتي:

- ١ - يُخَاطِبُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «كَاتَبَنَاهُمْ، وَنَقَلْنَا لَهُمْ الْعَبارَاتِ، وَخَاطَبَنَاهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَمَا زادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا»^(١).
- ٢ - يَتَلَطَّفُ مَعَ مَنْ يُعَادِيهِ، وَيُسْتَثِيرُ فِيهِم الصَّفَاتُ الْحَسَنَةُ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «مَا أَحْسَنَكُمْ لَوْ تَكُونُونَ فِي آخِرِ هَذَا الزَّمَانِ فَارْوُقُوا لِدِينِ اللَّهِ، كَعْمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَوَّلِهِ، فَإِنَّكُمْ لَوْ تَكُونُونَ مَعَنَا لَا تَنْصُفُنَا مَمْنُ أَغْلَظُ عَلَيْنَا»^(٢).
- ٣ - يُدَارِيَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «نُدَارِيْكُمْ، وَدَنَا أَنَّ اللَّهَ يَهْدِيْكُمْ وَيَهْدِيْهُمْ»^(٣).
- ٤ - يَصْبِرُ عَلَيْهِمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «اسْتَدْعِيْتُهُ أَوَّلًا بِالْمُلَاطَفَةِ، وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى أَشْيَاءَ عَظِيمَةٍ»^(٤).
- ٥ - يُبَيِّنُ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ: «أَنْتَ وَأَبُوكَ أَجْلُ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَحْبُبُهُمْ عِنْدِي، وَأَمْرُكَ هَذَا أَشَقُّ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْحَسَانِ،

(١) روضة الأفكار والأفهام (١٧٢/١).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٥٤/١).

(٣) الدرر السنّية في الأجبوبة النّجدية (٣١/١٠).

(٤) روضة الأفكار والأفهام (٣٣١/١).

خُصوصاً بعدهما استركبت أباك وحرّبته، فعسى الله أنْ يهديانا وإياك لدِينِهِ القيمِ، ويطرد عنَّا الشَّيطانَ، ويعيننا مِنْ طرِيقِ المَغضوبِ عليهم والضالّينِ^(١).

٦ - يُذَكِّرُهُم بِنَعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَلَا وَدِي أَنْكُمْ بعْدَمَا أَنْزَلْتُكُمْ اللَّهَ هَذِهِ الْمَنْزَلَةَ، وَأَنْعَمْتُكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ وَمَا لَا تَعْلَمُونَ، وَجَعَلْتُكُم مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ قَبْولِ النَّاسِ لِدِينِ رَبِّكُمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَجَهَادَكُمْ فِي ذَلِكَ وَصَبَرَكُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ دِينِ الْآبَاءِ، أَنْكُمْ تَرْتَدُونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ»^(٢).

٧ - يَحْثُثُهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ سببِ الرُّفْعَةِ فِي الدَّارِينِ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَحَسْنُ مَا ذَكَرْتَ أَنَّكَ تَقُولُ: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، وَتُقْرُرُ بِالذَّنْبِ، وَتُجَاهِدُ فِي إِطْفَاءِ الشَّرِكِ وَإِظْهَارِ الإِسْلَامِ، كَمَا جَاهَدْتَ فِي ضِدِّهِ، وَيُصِيرُ مَا تَقْدَمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الرُّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْجَاهِ، حَصَلْ لَكَ بِذَلِكَ مَا لَا يَحْصُلُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَمْوَارِ بِأَضْعافٍ مُضَاعِفةٍ؛ وَإِنْ أَرَدْتَ بِهِ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَهُنَّ التَّجَارَ الرَّابِحَةُ وَأَتَتْكَ الدُّنْيَا تَبَعًا»^(٣).

٨ - يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ مُتَفَاقِلٌ بِهِدَايَةِ اللَّهِ لَهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أَنْتَ مِنْ سَبِّبِ مَا أَظْنَنَّ فِيهِكَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، لَا أُبْعِدُ أَنْ يَهْدِيَكَ اللَّهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيَشْرَحُ قَلْبَكَ لِلإِسْلَامِ»^(٤).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (٤١٨/١).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٦).

(١) الرسائل الشخصية (ص ٢٨١).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٠).

٩ - يُناصِحُهُمْ سَنِينَ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَخْفَاكَ أَنِّي أَعْرِضُ هَذَا مِنْ سَنِينَ عَلَى أَهْلِ الْأَحْسَاءِ وَغَيْرِهِمْ»^(١).

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اجْتَمَعَتِ الْأَلْسُونُ عَلَى مَدْحِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَالْمَيْلِ إِلَيْهِ»^(٢).

(١) الرَّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ١٤٤).

(٢) الْدُّرُرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدِيَّةِ (١٦ / ٣٢٣).

الفصل الثامن

آثاره

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تلاميذه.

المبحث الثاني: مصنفاته.

المبحث الثالث: كتاب التوحيد.

المبحث الرابع: آثار دعوته.

تَلَامِيذُهُ

أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ عَدْدٌ مِّنَ الطُّلَّابِ مِنْ بَنَيهِ وَبَنَيهِمْ، وَمِنْ أَهْلِ الدِّرْعَيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ؛ وَمِنْ أُولَئِكَ الطُّلَّابِ:

- ١ - ابْنُهُ الشَّيْخُ عَلَيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٢ - ابْنُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٣ - ابْنُهُ الشَّيْخُ حَسِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٤ - ابْنُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٥ - حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٦ - الشَّيْخُ حَمَدُ بْنُ نَاصِرٍ بْنُ مُعَمَّرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٧ - الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحِيمِ الصَّحِيفِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٨ - الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ حَجَّيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ٩ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سُوَيْلِمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ١٠ - الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَمِيسٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ١١ - الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَامِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ١٢ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَطَانِ الْعَوَسَجِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.
- ١٣ - الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّاهِيمُهُ.

- ١٤ - الشَّيْخُ حَسْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيدَانَ رَحْمَةُ اللَّهِ.
- ١٥ - الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ آلُ سُوَيْلِمَ رَحْمَةُ اللَّهِ.
- ١٦ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ آلُ سُوَيْلِمَ رَحْمَةُ اللَّهِ.
- ١٧ - الشَّيْخُ حَمَدُ بْنُ رَاشِدِ الْعَرَيْنِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ.
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هُؤُلَاءِ وَلِيَ الْقَضَاءِ فِي نَاحِيَةٍ.
وَقَدْ أَخَذَ أَيْضًا عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مَمَّنْ لَمْ يَلِمِ الْقَضَاءَ مِنْ الْفَقَهَاءِ
وَالْأَعْيَانَ.

مُصَنَّفَاتُهُ

لِغَزَارَةِ عِلْمِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ؛ تَنوَّعَتْ مُصَنَّفَاتُهُ فِي مُخْتَلِفِ الْفَنُونِ؛ وَمِنْهَا:

- ١ - فِي التَّقْسِيرِ: «تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحةِ»، و«مُختَصِّرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ»، و«مُسَائِلُ فِي سُورَةِ النُّورِ»، و«مُختَصِّرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجَرَاتِ»، و«تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ»، و«تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ»، و«تَفْسِيرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، و«مُسَائِلٌ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْمَسْتَجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾»، و«ثَمَانِي حَالَاتٍ اسْتَنْبَطَهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُن്ُ�تُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ الْآيَةُ».
- ٢ - فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ: «فَضَائِلُ الْقُرْآنِ».
- ٣ - فِي الْحَدِيثِ: «مَجْمُوعُ الْحَدِيثِ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ»، وعددُ أَحَادِيثِهِ: أَلْفَانٌ واثْنَانٌ وثَلَاثُونَ (٢٠٣٢) حَدِيثًا، و«مُختَصِّرُ فَتْحِ الْبَارِيِّ».
- ٤ - فِي الْعِقِيدَةِ: «نُواقِضُ الْإِسْلَامِ»، و«الْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعُ»، و«الْأَصْوَلُ الْثَلَاثَةُ»، و«كِتَابُ التَّوْحِيدِ»، و«كَشْفُ الشُّبُهَاتِ»، و«مُسَائِلُ الْجَاهِلِيَّةِ»، و«أَصْوَلُ الإِيمَانِ»، و«مُختَصِّرُ الصَّوَاعِقِ»، و«مُختَصِّرُ الْعُقْلِ وَالنَّقلِ»، و«مُختَصِّرُ الإِيمَانِ».
- ٥ - فِي الْفَقْهِ: «شُرُوطُ الصَّلَاةِ وَأَرْكَانُهَا وَوَاجِبَاتُهَا»، و«كِتَابُ الْعِبَادَاتِ - الصَّلَاةُ، الزَّكَاةُ، الصَّيَامُ -» الْمُشْهُورُ بـ«آدَابُ الْمُشَيِّ إلى»

الصَّلاة»، و«مختصر الإنْصاف»، و«مختصر الشَّرْح الْكَبِير»، و«مختصر زاد المعاد».

- ٦ - في السِّيرة: «مختصر السِّيرة النَّبُوَيَّة».
- ٧ - في الآداب والسلوك: «مختصر المنهاج».
- ٨ - في الوعظ: «كتاب الكبائر».
- ٩ - له رَحْمَةً رسائل وأجوبة كثيرة مفيدة، في التَّوحيد والفقه والنَّصائح.

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحْمَةً: «مَنْ عَرَفَ الرِّجال بِالْعِلْم؛ عَرَفَ حَالَ الشَّيخ ورُسُونَه، وَمَتَانَةَ عِلْمِه وَدِينِه، وَأَنَّهُ يُلْحِقُ بِأَكَابِرِ السَّلْفِ وَعُلَمَائِهِمْ»^(١).

(١) مصباح الظلام (٧٦/١).

كتاب التوحيد

كَتَبَ اللَّهُ لِمُؤْلَفَاتِ الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللَّهِ الْقَبُولُ، فَانْتَشَرَتْ فِي الْآفَاقِ، وَمِنْ أَجْلِ مُصَنَّفَاتِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كتاب التوحيد»، وَقَدْ اخْتَصَّ بِخَصَائِصٍ؛ مِنْهَا:

١ - أَنَّهُ أَوَّلُ مُؤَلِّفٍ أُفْرِدَ فِي مَوْضِوعِهِ، قَالَ حَفِيدُهُ الشَّيْخُ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «هُوَ كِتَابٌ فَرْدٌ فِي مَعْنَاهُ، لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ سَابِقٌ، وَلَا لَحِقَّهُ فِي لَاحِقٍ»^(١).

٢ - قَالَ حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: «مَوْضِوعُهُ» فِي بَيَانِ مَا بَعَثَ بِهِ اللَّهُ رَسُولُهُ مِنْ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، وَبَيَانِهِ بِالْأَدَلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، وَذِكْرِ مَا يُنَافِيهِ مِنَ الشُّرُكِ الْأَكْبَرِ، أَوْ يُنَافِي كَمَالَهُ الْوَاجِبِ مِنَ الشُّرُكِ الْأَصْغَرِ وَنَحْوِهِ، وَمَا يُقْرِبُ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ يُوَصِّلُ إِلَيْهِ»^(٢).

٣ - كُلُّ مَا فِيهِ أَدَلَّةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ قَوْلًا لَهُ؛ بَلْ وَلَمْ يَضَعْ مُقْدَمَةً لَهُ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي:

- عَدْ الْأَدَلَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ: ثَمَانُونَ (٨٠) دَلِيلًا.

- عَدْ الْأَدَلَّةِ مِنَ السُّنْنَةِ: مِئَةٌ وَاثْنَانٌ وَثَلَاثُونَ (١٣٢) حَدِيثًا.

- عَدْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ: اثْنَانٌ وَثَلَاثُونَ (٣٢) قَوْلًا.

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ١٢).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٥).

- عدد أقوال التَّابعِينَ وغَيْرِهِمْ: أربعون (٤٠) قولًا.

- المجموع: مئتان وأربعة وثمانون (٢٨٤).

قال حفيدهُ الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ضَمَّنَهُ مِنْ أَدْلَةِ التَّوْحِيدِ مَا يكفي مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ»^(١).

٤ - جودة التَّبَوِيبِ، ودِقَّةِ التَّرْتِيبِ، وقُوَّةِ الْاسْتِدْلَالِ، فجاءَ كَانَهُ قطعةً من صحيح البخاريّ، قال ابن بِشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما وضع المُصَنَّفُونَ في فَهْنِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجَادَ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمَرَادَ»^(٢).

٥ - كُلُّ بَابٍ فِيهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الدِّينِ، قال الشَّيخ سليمان بن حمدان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ بَابٍ مِنْهُ قَاعِدَةٌ مِنَ الْقَوَاعِدِ، يَنْبَنيُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ»^(٣).

٦ - كان الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشَرِّحُهُ لِلنَّاسِ^(٤).

٧ - شَرَحَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَلَغَتْ شَرْوَحُهُ الْمُدُوَّنَةَ إِلَى زَمِنِنَا هَذَا مِئَةً وَخُمْسَةً وَسَبْعِينَ (١٧٥) شَرْحًا.

٨ - تلقَّته الأجيال بالقبول، فحفظوه ودرَّسوه، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنُ ابْنُ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاشْتَهَرَ أَيَّ اشتَهَارٍ، وَعَكَفَ عَلَيْهِ الطَّلَبَةُ،

(١) الدرُّ السَّنَنَةُ فِي الْأَجْوَبَةِ النَّاجِدَةِ (٤/٣٣٩).

(٢) عنوان المَجْدُ في تاريخ نَجْدٍ (١/٩٢).

(٣) الدرُّ التَّضِيدُ (ص ١٢).

(٤) مشاهير علماء نَجْدٍ وغَيْرِهِمْ (ص ١٩).

وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعَمَ النَّفْعُ بِهِ، وَتَصَدَّى لِشَرِّهِ
وَالْتَّعْلِيقُ عَلَيْهِ جَمِيعَهُ مِنَ الْجَهَابِذَةِ^(١) الْنَّبَلَاءِ^(٢).

٩ - حَثَّ الْعُلَمَاءُ وَلَاَةُ الْأَمْرِ عَلَى إِلزَامِ مَنْ يُعْلَمُهُ النَّاسُ، قَالَ
حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «يَلْزَمُ الْأَمِيرَ أَنْ يَأْمُرَ عَلَى
جَمِيعِ الْمُدَرِّسِينَ وَأَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ بِالْحُضُورِ عِنْدِ مَنْ يُعْلَمُهُمْ دِينَهُمْ،
وَيَلْزِمُهُمُ الْقِرَاءَةَ فِيمَا جَمَعَهُ شِيخُنَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي (كِتَابِ التَّوْحِيدِ)^(٣).

١٠ - حَثَّ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَتَعَلَّمُ النَّاسُ «كِتَابَ التَّوْحِيدِ» فِي أَمَانِهِمْ
الْعَامَّةِ، قَالَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِأَحَدِ الْقُضَاءِ:
«وَعَلَيْكَ - بِصَفَتِكَ مَسْؤُلًا عَمَّا وَلَاكَ اللَّهُ عَلَيْهِ - أَنْ تُعَيِّنَ وَقْتًا مِنْ
أَوْقَاتِكَ؛ تَجْلِسُ فِيهِ فِي السُّوقِ يُقْرَأُ عَلَيْكَ فِي (كِتَابِ التَّوْحِيدِ)، وَتَتَكَلَّمُ
عَلَيْهِ بِمَا تَيَسَّرَ»^(٤).

١١ - نَفْعُهُ فِي الْأَمَّةِ عَظِيمٌ، قَالَ حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
حَسْنٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: «جَاءَ بِدِيْعًا فِي مَعْنَاهِ؛ مِنْ بَيَانِ التَّوْحِيدِ بِإِبْرَاهِيمِهِ، وَجَمِيعِ
جُمَلًا مِنْ أَدَلَّهُ لِإِيْضَاحِهِ وَتَبَيِّنِهِ، فَصَارَ عَلَمًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَحُجَّةًا عَلَى
الْمُلْحِدِينَ، فَانْتَفَعَ بِهِ الْخُلُقُ الْكَثِيرُ، وَالْجَمْعُ الْغَفِيرُ»^(٥).

(١) الجهابذة: جمع جهبد؛ وهو: القَادِ الخَيْرُ، العَارِفُ بِغَوَامِضِ الْأَمْرِ.

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص ٧).

(٣) الْدُّرُرُ الْسَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوَيْهِ النَّجِيَّدَةِ (٤/٣٣٨)، (٩/٣١٧).

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ (١٣/٢٠٥).

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣).

١٢ - مَنْ اسْتَحْضُرَهُ اسْتَغْنَىْ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ فِي بِيَانِ التَّوْحِيدِ، قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جَمِيعُ كِتَابِ اللَّهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ - عَلَى اختِصَارِهِ - مِنْ بِيَانِ التَّوْحِيدِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ سَابِقٌ، وَلَا لَحِقَهُ فِيهِ لَاحِقٌ، وَمَا لَا يُعْذِرُ أَحَدٌ عَنْ مَعْرِفَتِهِ؛ فَمَنْ اسْتَحْضُرَهُ اسْتَغْنَىْ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ فِي بِيَانِ التَّوْحِيدِ، وَالرَّدُّ عَلَى كُلِّ مُبْتَدِعٍ»^(١).

قال حفيدهُ الشَّيخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَنْ طَالَعَ (كتاب التَّوْحِيد) وَغَيْرَهُ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ، عَرَفَ فَضْلَ الشَّيْخِ وَعِلْمَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَدْقَ النَّاسِ فَهُمَا، وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا»^(٢).

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص ٧٣).

(٢) مصباح الظلام (٢/٢٥٧).

قِصَّةُ عَالِمٍ هِنْدِيٍّ مَعَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ

كَثُرَةُ الافتراط على الشَّيخ كَلَّهُ اللَّهُ صَدَّت بعض النَّاس - حتَّى من المُتَسَبِّين للعلم - من الانتفاع بعلمه، وممَّن تأثَّر بتلك الافتراط عالم هنديٌّ، ثمَّ تَبَيَّنَ له كذب هذه الافتراط، وصدق الشَّيخ وعلمه من «كتاب التَّوْحِيد».

وإليك هذه القصَّة التي قصَّها سماحة الشَّيخ مُحَمَّد بن إبراهيم كَلَّهُ اللَّهُ^(١)، قال سماحته: «وَأَنَا أَقْصُ الآن قصَّةَ عبد الرَّحْمَن البكريٌّ - مِنْ أَهْلِ نَجِدٍ - كَانَ أَوَّلًا مِنْ طَلَابِ الْعِلْمِ عَلَى العَمِّ الشَّيخ عبد الله^(٢) وَغَيْرِهِ، ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ يَفْتَحَ مَدْرَسَةً فِي عُمَانَ يُعَلِّمُ فِيهَا التَّوْحِيدَ مِنْ كَسْبِهِ الْخَاصِّ، فَإِذَا فَرَغَ مَا فِي يَدِهِ، أَخَذَ بضَاعَةً^(٣) مِنْ أَحَدٍ وَسَافَرَ إِلَى الْهَنْدَ، وَرُبَّمَا أَخَذَ نَصْفَ سَنَةٍ فِي الْهَنْدَ.

قال الشَّيخ البكريٌّ: كُنْتُ بِجُوارِ مسجدٍ فِي الْهَنْدَ، وَكَانَ فِيهِ مُدَرِّسٌ إِذَا فَرَغَ مِنْ تَدْرِيسِهِ لَعْنَوا بْنَ عبد الْوَهَابَ.

وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ مَرَّ بِي وَقَالَ: أَنَا أَجِيدُ الْعَرَبِيَّةَ؛ لَكِنَّ أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْ أَهْلِهَا، وَيَشْرُبُ مِنْ عَنْدِي مَاءً بَارِدًا.

(١) هو: مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ، مفتى المملكة ورئيس القضاة والشُّؤون الإسلامية، توفي كَلَّهُ اللَّهُ سنة ١٣٨٩هـ.

(٢) هو: عبد الله بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ، توفي كَلَّهُ اللَّهُ سنة ١٣٣٩هـ.

(٣) مالاً يَتَّجِرُ بِهِ.

فأَهَمَّنِي ما يفعل في درسِه، قال: فاحتَلْتُ بِأَنْ دَعَوْتُه، وأَخْذَتُ (كتاب التَّوْحِيد)، ونَزَعْتُ دِيَاجِته^(١)، ووضَعْتُه على رَفِّ فِي مَنْزِلِي قَبْلَ مجِيئِه.

فلَمَّا حَضَرَ قَلْتَ: أَتَأْذَنْ لِي أَنْ آتِي بِبَطْيَخَة^(٢)? فَذَهَبَتْ.

فلَمَّا رَجَعْتُ إِذَا هُوَ يَقْرَأُ وَيَهْزُّ رَأْسَهُ، فَقَالَ: لَمَنْ هَذَا الْكِتَابُ؟ هَذَا التَّرَاجِمُ^(٣) شَبَهُ ترَاجِمَ الْبَخَارِيِّ، هَذَا وَاللَّهُ نَفْسُ الْبَخَارِيِّ!

فَقَلْتُ: لَا أَدْرِي، ثُمَّ قَلْتُ: أَلَا نَذْهَبُ لِلشَّيْخِ الْغَزوَيِّ لِنَسْأَلَهُ - وَكَانَ صَاحِبُ مَكْتَبَةٍ، وَلَهُ رَدٌّ عَلَى (جَامِعِ البَيَانِ) - فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ.

فَقَلْتُ لِلْغَزوَيِّ: كَانَ عِنْدِي أُورَاقٌ سَأَلْنِي الشَّيْخُ: مَنْ هِيَ لَهُ؟ فَلَمْ أَعْرِفْ.

فَفَهِمَ الْغَزوَيُّ الْمَرَادَ، فَنَادَى مَنْ يَأْتِي بِكِتَابٍ (مَجْمُوعَةِ التَّوْحِيدِ)، فَأُتْبِيَ بِهَا فَقَابِلَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: هَذَا لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ.

فَقَالَ الْعَالِمُ الْهِنْدِيُّ مُغْضِبًا وَبِصَوْتٍ عَالٍ: الْكَافِرُ!

فَسَكَتْنَا وَسَكَتْ قَلِيلًا، ثُمَّ هَدَأَ غَضِيبُهُ فَاسْتَرْجَعَ^(٤)، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ لَهُ فَقَدْ ظَلَمْنَاهُ.

(١) أي: غلافة.

(٢) فاكهة من فواكه الصَّيفِ.

(٣) أي: عناوين كل باب.

(٤) أي قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ إِنَّهُ صار كُلَّ يَوْمٍ يَدْعُونَ لَهُ، وَيَدْعُونَ مَعَهُ تَلَامِيذَهُ، وَتَفَرَّقَ تَلَامِيذُهُ فِي الْهَنْدَ، وَإِذَا فَرَغُوا مِنِ الْقِرَاءَةِ دَعَوْا جَمِيعًا لِلشَّيْخِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ»^(١).

قال الوالد مُحَمَّدُ ابْنُ قَاسِمَ كَعْلَلَةَ: «هَذِهِ قَصَّةٌ يَتَنَاقَّلُهَا الْمُشَايخُ، وَسَمِعْتُهَا مِنْ شِيخِنَا^(٢) مَرَّتَيْنَ»^(٣).

(١) قال سماحة الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كَعْلَلَةَ مُعْلِّقًا عَلَى هَذِهِ الْقَصَّةِ: «إِنَّ الْعَمَائِيَّةَ - أَيِّيَّةَ - الْكَبِيرِيَّةَ - كَلَّهَا مِنَ الْمُتُنَسِّبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ عَلَى الدَّاعِيِّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَدْعُوا إِلَى الْعَقَائِدِ أَوَّلًا، لَا إِلَى الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجَّ؛ وَقَالَ: وَمَعَ الْأَسْفِ أَهْلُ التَّوْجِيهِ وَالدَّعْوَةِ قَلِيلٌ فِيهِمْ هَذَا، أَوْ مَعْدُونَ».

(٢) أي: سماحة الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كَعْلَلَةَ.

(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ آلَ الشَّيْخِ (١/٧٥).

خط الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

آثَارُ دَعْوَتِهِ

قامت دَعْوَةُ الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالصَّدَقِ وَالإِخْلَاصِ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَأَصْبَحَ لَهَا أَثْرٌ كَبِيرٌ عَلَى الْأَنَامِ، وَبِيَانِ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي :

- ١ - أُقِيمَتُ الدُّرُوسُ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْعِلْمِ.
- ٢ - عُرِفَ التَّوْحِيدُ الصَّغِيرُ وَالكَبِيرُ، وَالقارئُ وَالْأَمْمِيُّ، وَالذَّكْرُ وَالْأَنْشِيُّ.
- ٣ - انتَشَرَ مذهبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
- ٤ - اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى الصَّلَواتِ، وَأُقِيمَتُ الشَّعَائِرُ.
- ٥ - طُمِسَتُ معاْلِمُ الشُّرُكِ وَالْبِدَعِ.
- ٦ - عَمِّ الْأَمْنُ بَعْدَ أَنْ سَادَ الْبَلَادُ الْخُوفُ وَالْفَتْنُ.
- ٧ - أَعْدَقَ اللَّهُ النِّعَمَ عَلَى عِبَادِهِ، وَبَسَطَ الرَّحَاءَ.
- ٨ - سَادَتُ الْأَلْفَةُ وَالْمُوَدَّةُ بَيْنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُتَنَاهِرِينَ.
- ٩ - انتَفَعَ بِدَعْوَتِهِ أَهْلُ الْآفَاقِ وَالْأَمْصَارِ.
- ١٠ - لِفَرَحِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِدَعْوَتِهِ؛ أَصْبَحُوا يَطْلُبُونَ مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ، قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِأَهْلِ مَكَّةَ: «لَمَّا طَلَبْتُمْ مِنْ نَاحِيتِنَا طَالِبَ عِلْمٍ، امْتَشَلْنَا الْأَمْرَ، وَهُوَ وَأَصْلُ إِلَيْكُمْ»^(١).

(١) الرَّسَائِلُ السَّخْصِيَّةُ (ص ٣١٢).

قال ابن بُشِّرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِفَضْلِهِ شَرَفًاً مَا حَصَلَ بِسُبْبِهِ مِنْ إِزَالَةِ الْبِدَعِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُعَ، وَتَجْدِيدِ الدِّينِ بَعْدِ دُرُوسِهِ^(١)، وَقْلَعِ أَصْلِ الشَّرَكِ بَعْدِ غُرُوسِهِ»^(٢).

(١) أي: بعد اختفائه.

(٢) عنوان المَجْدُ في تاريخ نَجْد (١٨١/١).

الفصل التاسع

وفاته، ومَحَبَّةُ النَّاسِ لَهُ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفاته.

المبحث الثاني: وفاء الناس له.

المبحث الثالث: ثناء علماء الأمصار عليه.

المبحث الرابع: لقبه العلماء بـ«المجدد».

وفاته

تَوَفَّى رَحْمَةً اللَّهِ يَعْلَمُهُ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ آخِرَ شَهْرِ شَوَّالِ، سَنَةَ (١٢٠٦هـ)، وَكَانَ يَوْمًا مشهوداً؛ تَرَاحَمَ النَّاسُ عَلَى نَعْشِهِ، وَصَلَّوْا عَلَيْهِ فِي بَلْدَهُ الدَّرْعِيَّةِ، وَخَرَجَ النَّاسُ - الصَّغِيرُ وَالكَبِيرُ - إِلَى جَنَازَتِهِ، وَحَصَّلَ بِمَوْتِهِ الْخَطْبُ الْعَظِيمُ، وَالْفَادُحُ الْعَمِيمُ.

وَقَدْ رُوِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ، أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: «مَرْحَبًا بِالَّذِي دَلَّ عِبَادِي عَلَى عِبَادَتِي».

وَقَدْ انتَفَعَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ، فَدُوْنَ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ (١٠٠) مَوْضِيًّعٍ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ وَعِلْمِهِ وَأَثْرِهِ الْحَسَنِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجَمِعِ، وَتَنَوَّعَتْ مَا بَيْنَ مُصَنَّفَاتِهِ، وَرَسائلِ عِلْمِيَّةِ، وَبِحُوتِ.

وفاء الناس له

انتفع الناس بدعوة الشيخ بفضل الله، ثم بناصر دعوته الإمام محمد بن سعود، وقد أحبهم الناس حبّاً كثيراً، ويظهر وفاء الناس لهما على ما قدماه من خدمة للدين، ونشر للعقيدة الصافية، فيما دونوه في أوقافهم ووصاياتهم، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - وقف الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود كتاب «شرح القسطلاني على صحيح البخاري» على والديه وعلى الشيخ، ونصّ الوقفيّة: «الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد سيد الأولين والآخرين، أما بعد؛ فقد وقف وسبل عبد العزيز ابن سعود تقبلاً لله منه - هذا المجلد من شرح البخاري وبقية المجلدات؛ وهن سبعة مجلدات، وجعل نصفهن سبالة^(١) للشيخ محمد، الله يغفر عنه، ونصفهن سبالة لأبيه وأمه، عفا الله عنهم.

شهد على هذا: إبراهيم ابن الشيخ، وعبد الله بن عبد العزيز، وكتبه وشهد به: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وكفى بالله شهيداً، وصلى الله على محمد واله وسلم».

٢ - جاء في وصيّة عبد الرزاق بن محمد الجوياني المدونة عام (١٢٩٩هـ) ما نصّه: «أوصى بثلث ماله من جميع ما ترك، بثمان ضحايا في كل سنة:

(١) أي: وفقاً.

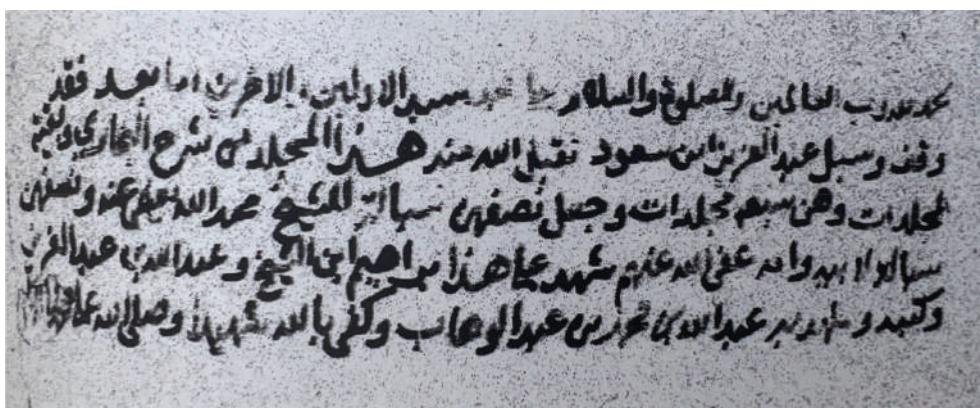
واحدة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وما تسلسل منه ما بقوا على دينهم.

وواحدة منهم لمحمد بن سعود، وابنه عبد العزيز، وما تسلسل من ذريته...».

قال حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «أظهر الله هذا الدين في نجد والبادية...، وانتشرت دعوته في الأمصار...، فلله الحمد على هذه النّعمة العظيمة، فيا سعادة من هدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه!»^(١).

(١) الدرر السنّية في الأجوية النّجدية (٢٢١ / ٢).

وَقُبْيَةُ الْإِلَامَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْوَدِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ



وَصِيَّةُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْجُوَيْعَىِ رَحْمَةُ اللَّهِ

پس از

ثناء علماء الأمصار عليه

دعوة الشيخ مباركه انتفع بها المسلمين في مشارق الأرض وغاربها ، وقد أثنى على الشيخ وعلى دعوته علماء الأمصار ، ومن أولئك :

أولاً: الأحساء:

١ - مدحه الشيخ حسين بن غنام الأحسائي رحمه الله (ت ١٢٢٥هـ) بقصيدة قال فيها :

بِوَقْتٍ بِهِ يَعْلُو الضَّالُّ وَيُرْفَعُ
وَأَقْوَى بِهِ مِنْ مَظْلَمِ الشُّرُكِ مَهْيَعُ
يَشِيدُ وَيُحْبِي مَا تَعَفَّى وَيَرْقَعُ^(١)
لَقَدْ رَفَعَ الْمَوْلَى بِهِ رُتبَةَ الْهُدَى
فَأَحْيَا بِهِ التَّوْحِيدَ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ
وَشَمَرَ فِي مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدَ

٢ - مدحه الشيخ أحمد بن مشرف رحمه الله (ت ١٢٨٥هـ) بقصيدة قال فيها :

وَقَدْ جَدَّ فِي إِخْفَائِهِ كُلُّ مُلْحِدٍ
فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَالَمٍ وَمُجَدِّدٍ
كَمَا قَدْ أَمَاتَ الشُّرُكَ بِالْقَوْلِ وَالْيَدِ^(٢)
لَقَدْ أَوْضَحَ الْإِسْلَامَ عِنْدَ اغْتِرَابِهِ
وَجَدَّ مِنْهَاجَ الشَّرِيعَةِ إِذْ عَفَتْ
وَأَحْيَا بِدَرْسِ الْعِلْمِ دَارِسَ رَسِمَهَا

(١) روضة الأفكار والأفهام (٩٠٢/٢).

(٢) ديوان ابن مشرف (ص ١٣٢).

ثانيًا : عسير^(١):

مَدَحَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَفْظِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ (ت ١٢٣٧ هـ) بقصيدةٍ قال فيها :

وَبَعَثَ اللَّهُ لَنَا مُجَدِّداً
مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ عَالِمًا مُجْتَهِداً
لَيْسَ إِلَى نَفْسٍ دَعَا أَوْ مَذَهَبٍ
أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُ فَرْدٍ يُعْبُدُ^(٢)

ثالثًا : اليمن:

١ - أَثْنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّنْعَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ (ت ١١٨٢ هـ) بقصيدةٍ قال فيها :

قِفيَ وَاسْأَلِي عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سُوْحَاهَا
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَاجِ الرُّشْدِ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَاجِ الرُّشْدِ
وَمُبْتَدِعٌ مِنْهُ، فَوَافَقَ مَا عِنْدِي^(٣)

٢ - رَثَاهُ الْعَالَمَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ الشَّوَكَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَّاءَتُهُ (ت ١٢٥٠ هـ) بقصيدةٍ قال فيها :

فَقَدْ مَاتَ طُؤُدُ الْعِلْمِ قُطْبُ رَحْيِ الْعُلَا
إِمَامُ الْهُدَى مَاحِي الرَّدَى قَامِعُ الْعِدَا
إِمَامُ الْوَرَى عَلَّامُ الْعَصْرِ قُدُوْتِي
وَمَرْكَزُ أَدْوَارِ الْفُحُولِ الْأَفَاضِلِ
وَمُرْوِي الصَّدَى مِنْ فَيْضِ عِلْمٍ وَنَائِلٍ
وَشَيْخُ الشِّيُوخِ الْجِدُّ فَرْدُ الْفَضَائِلِ^(٤)

(١) منطقة جنوب المملكة.

(٢) الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ ، عِقِيدَتِهِ السَّلَفِيَّةُ (ص ٨٢).

(٣) ديوان الأمير الصناعي (ص ١٢٩).

(٤) حياة الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ ، وَآثَارُهُ الْعِلْمِيَّةُ (ص ١٥٤).

رابعاً: العراق:

قال الشيخ محمود شكري اللوسي (ت ١٣٤٢هـ): «قد عُرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه، وما ثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمر دعوته، وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته؛ أنه على ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى»^(١).

خامساً: الشام:

١ - قال الشيخ عبد القادر بن أحمد بن بدران (ت ١٣٤٦هـ): «أجازه محدثون العصر بكتب الحديث وغيرها، ولما امتلاه وطابه^(٢) من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق، ويحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الحنفي والشريعة السمحاء»^(٣).

٢ - قال الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ): «قام عالم نجدي اسمه محمد بن عبد الوهاب يدعوا إلى التوحيد الخالص، وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرّعه للناس في كتابه وعلى لسان رسوله، ويأمر بالمعروف من السنن، وينهى عن المنكرات من المعاصي والبدع»^(٤).

(١) تاريخ نجد للألوسي (ص ١٠٦).

(٢) أي: إناوه.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص ٤٤٧).

(٤) مجلة المنار (١/٢٧).

٣ - قال مُحَمَّد كرد علي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ١٣٧٢هـ) : «وما ابن عبد الوهاب إلا داعية، هَدَى النَّاسَ من الضَّالَالِ، وسَاقَهُمْ إِلَى الدِّينِ السَّمْحِ، وقَلَّمَا رأينا شَعْبًا مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّدِينُ وَالصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ مُثْلِهُ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ، وَقَدْ اخْتَبَرْنَا عَامَتْهُمْ وَخَاصَّتْهُمْ سَنِينَ طَوِيلَةً، فَلَمْ نَرَهُمْ حَادُوا عَنِ الإِسْلَامِ قَدْ أُنْمِلَّهُ»^(١).

٤ - قال الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بِهِجَةِ الْبَيْطَارِ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ١٣٩٦هـ) : «لَيْسَ لِلْوَهَابِيَّةِ وَلَا لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ مَذَهَبٌ خَاصٌّ، وَلَكِنَّهُ رَحْمَةُ اللَّهِ كَانَ مُجَدِّدًا لِدُعَوَةِ الإِسْلَامِ، وَمُشَيْعًا لِمَذَهَبِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ»^(٢).

٥ - قال خير الدين الزركلي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ١٣٩٦هـ) : «... نَاهِجًا مِنْهُجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، دَاعِيًا إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَنَبِيِّدُ الْبِدَعَ، وَتَحْطِيمَ مَا عَلِقَ بِالإِسْلَامِ مِنْ أَوْهَامٍ...، وَكَانَتْ دُعَوَتِهِ الشُّعْلَةُ الْأُولَى لِلِيقَظَةِ الْحَدِيثَةِ فِي الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ، تَأثَّرَ بِهَا رِجَالُ الإِصْلَاحِ فِي الْهَنْدِ، وَمِصْرَ، وَالْعَرَاقِ، وَالشَّامِ، وَغَيْرِهَا»^(٣).

سادساً: مصر:

١ - قال الشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَامِدُ الْفِقِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ١٣٧٨هـ) : «مُجَدِّدُ الْقَرْنِ الثَّانِيِّ عَشَرَ...، كَانَ عَمَلُهُ وَجْهَادُهُ لِإِحْيَاءِ الْعَمَلِ بِالدِّينِ الصَّحِيفِ».

(١) الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ فِي مَرآةِ عُلَمَاءِ الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ (ص ١٧).

(٢) حَيَاةُ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَمِيمَةَ (ص ٢٠٠).

(٣) الأعلام للزركلي (٢٥٧/٦).

وإرجاع الناس إلى ما قرّره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده، وفي توحيد الأسماء والصفات على ما ورد في لفظ القرآن العربي المُبين، وما جاء عن الرَّسول ﷺ، وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والأئمَّة المُهتدون؛ من السَّلْف والخَلْف رضوان الله عليهم»^(١).

٢ - قال الشَّيخ عبد المتعال الصَّعيدي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (ت ١٣٩١هـ) : «تهيأً له بها - أي: بِرِحْلَتِه الْعِلْمِيَّةِ - ما لم يتهيأً لغيره مِنْ عُلَمَاءِ نَجِدٍ، فكان أَوسعَ مِنْهُمْ عِلْمًا، وأَعْرَفَ بِالْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ جُولَةُ فِي الإِصْلَاحِ، وَلَمْ يَقُعْ فِي ذَلِكَ الْجَمْودِ وَلَا الرُّكُودِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ حَتَّى أَلْفُوا مَا فِيهِ مِنَ الْبَدْعِ، وَأَخْذُوهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَصْوَلِ الدِّينِ وَأَرْكَانِهِ»^(٢).

سابعاً: الجزائر:

١ - قال ابن باديس رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (ت ١٣٥٩هـ) : «قام الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الْوَهَابِ بِدُعْوَةِ دِينِيَّةٍ، لَمْ يَدْعُ إِلَى مَذَهِبٍ مُسْتَقِلٍّ فِي الْعَقَائِدِ؛ فَإِنَّ اتِّبَاعَهُ كَانُوا قَبْلَهُ وَلَا زَالُوا إِلَى الْآنِ سُنَّيِّينَ سَلَفِيِّينَ؛ وَكَانَتْ غَايَةُ دُعْوَةِ ابْنِ عبدِ الْوَهَابِ تَطْهِيرُ الدِّينِ مِنْ كُلِّ مَا أَحْدَثَ فِيهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنَ الْبَدْعِ؛ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْعَقَائِدِ، وَالرُّجُوعُ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ مِنْ دِينِهِمُ الْقَوِيمِ بَعْدَ انْحرافِهِمُ الْكَثِيرُ، وَزَيْغُهُمُ الْمُبِينِ»^(٣).

(١) أثر الدَّعْوَةِ الْوَهَابِيَّةِ (ص ٤).

(٢) الْمُجَدِّدونَ فِي الإِسْلَامِ (ص ٣٣٠).

(٣) آثار ابن باديس (٥ / ٣٢).

٢ - قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله (ت ١٣٨٥هـ) : « يقولون عننا : إننا وهابيون ، فنحن بحمد الله ثابتون في مكان واحد؛ وهو مستقر الحق...، وأشهر خاصية لهذا الاسم هي أنه يذيب البدع كما تذيب النار الحديد»^(١).

٣ - قال الشيخ أحمد حماني رحمه الله (ت ١٤١٩هـ) : «أول صوت ارتفع بالإصلاح والإنكار على البدعة والمبتدعين ، ووجوب الرجوع إلى كتاب الله ، والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبذ كل ابتداع ، ومقاومة أصحابه ، جاء من الجزيرة العربية ، وأعلنه في الناس الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وكانت مبنية على الدين ، وتوحيد الله سبحانه في ألوهيته وربوبيته ، ومحو كل آثار الشرك - الذي هو الظلم العظيم - والقضاء على الأوثان والأنصاب التي نصبوا لتعبد من دون الله»^(٢).

ثاماً: المغرب:

قال الشيخ محمد تقى الدين الهلالي رحمه الله (ت ١٤٠٧هـ) : «محمد بن عبد الوهاب من كبار المصلحين ، الذين فتح الله بدعوتهم عيونا عمياً وآذاناً صمماً ، وأنه أحيا العمل بكتاب الله وسنة رسوله في جزيرة العرب بعدما كاد يندثر»^(٣).

(١) في مقال له ، نُشر في العدد (٩) ، من جريدة السنة (١١ صفر ١٣٥٢هـ / ٥ جوان ١٩٣٣م) ، ص ٣).

(٢) صراع بين السنة والبدعة (٥١-٥٠/١).

(٣) الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ٦٣).

تاسعاً : بلاد فارس :

قال الملا عمران بن علي اللنجي^(١) رحمه الله (ت ١٢٨٠ هـ) :

إِنْ كَانَ تَابِعُ أَخْمَدٍ مُتَوَهِّبًا
فَأَنَا الْمُقْرُرُ بِأَنَّنِي وَهَابِي
أَنْفِي الشَّرِيكَ عَنِ الْإِلَهِ فَلَيْسَ لِي
رَبٌّ سِوَى الْمُتَفَرِّدِ الْوَهَابِ
لَا فُبَّهُ ثُرْجَى وَلَا وَثْنُ وَلَا
فَبْرُ لَهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ^(٢)

عاشرأً : الهند :

١ - قال الشيخ صديق حسن خان القنوجي رحمه الله (ت ١٣٠٧ هـ) : «كان محمد بن عبد الوهاب عالماً متبعاً للسنة، ويغلب عليه حب اتباع السنة المطهرة»^(٣).

٢ - قال الشيخ محمد بشير السهسواني رحمه الله (ت ١٣٢٦ هـ) : «لم يخل قرنٌ من القرون التي كثر فيها البدع من علماء ربانيين، يجحدون لهذه الأمة أمر دينها، ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعوا إلى تجرييد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده»^(٤).

٣ - قال الشيخ عبد الكريم بن فخر الدين الهندي رحمه الله : «أما الذي جاء في ذم الشيخ محمد بن عبد الوهاب فمن أعدائه؛ وعامة

(١) اللنجي : نسبة إلى «لنجة»، مدينة جنوب إيران.

(٢) قصيدة أنا المقر بأنني وهابي (ص ٢٩).

(٣) هداية السائل إلى أدلة المسائل (ص ١١٤).

(٤) صيانة الإنسان (ص ٦).

عداوتهم له؛ لأنَّه هَدَمَ أسباب الشرك، وَخَرَّبَ بنيان الباطل، وَدعا إلى التَّوْحِيدِ، مِصْداقُ ذلك: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] ^(١).

(١) البيان والإشارات (ص ٤٣).

لقبه العلماء بـ«المجدد»

فشا في زمن الإمام الشرك والخرافات، والبعد عن الدين، فدعا الخلق إلى نبذ ذلك، وتحقيق دعوة المرسلين، بإفراد الله وحده بالعبادة، وعرّفهم حقيقة العبادة التي خلقوا لها، فعاد الناس إلى الله، وتغيير حالهم، فلقبه العلماء بـ«المجدد»، ومن أولئك:

١ - قال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي رحمه الله (ت ١٢٣٧هـ) في قصيدة له مدح فيها الشيخ:

وَبَعَثَ اللَّهُ لَنَا مَجَدًّا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ عَالِمًا مُجْتَهِدًا^(١)

٢ - قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله (ت ١٢٨٥هـ): «شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، مجدد الدين بعد اندرايسه وذهابه»^(٢).

٣ - قال الشيخ أحمد بن مشرف رحمه الله (ت ١٢٨٥هـ) في قصيده:

وَجَدَّدَ مِنْهَاجَ الشَّرِيعَةِ إِذْ عَفَتْ فَأَكْرَمْ بِهِ مِنْ عَالَمٍ وَمَجَدَّدَ^(٣)

٤ - قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله (ت ١٢٩٣هـ): «هو شيخ الإسلام وال المسلمين، ومجدد ما اندرس من معالم الملة والدين»^(٤).

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقیدته السلفیة (ص ٨٢).

(٢) الدر السنية في الأجوية النجدية (١١ / ٥٥٤).

(٣) دیوان ابن مشرف (ص ١٣٢).

(٤) مجموعه الرسائل والمسائل النجدية (٤ / ٤٣٧).

٥ - قال الشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله (ت ١٣٤٢هـ) : «الإمام مُحيي السنّة، ومُجدد الشريعة النبوية، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب النجاشيي الحنبليي، تغمده الله تعالى برحمته»^(١).

وقال أيضاً رحمه الله : «المُجَدِّد لِمَا دَرَسَ مِنْ أُصُولِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ، السَّلْفِيُّ الْأَوَّلُ - وَإِنْ تَأْخُرَ زَمَانَهُ - عِنْدَ مَنْ عَقَلَ وَتَأْمَلَ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَجْزَلَ لَهُ التَّوَاب»^(٢).

٦ - قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله (ت ١٣٥٤هـ) : «الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ الْمُجَدِّدُ لِلإِسْلَام»^(٣).

٧ - قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله (ت ١٣٦٧هـ) : «شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، مُجدد ما اندَرَسَ مِنْ مَعَالِيمِ الإِسْلَامِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَنَورُ ضَرِيْحَهِ»^(٤).

٨ - قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله (ت ١٣٧٧هـ) : «شيخ الإسلام مُجَدِّدُ الْقَرْنِ الْثَّانِي عَشَرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَاب»^(٥).

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (٢١٠/١).

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني (٤٠٤/١).

(٣) تفسير المنار (٣٢٨/٨).

(٤) الدرر السنّية في الأوجبة النجديّة (٤٤٩/١٠).

(٥) جمهرة مقالات أحمد شاكر (٣٩٣/١).

- ٩ - قال الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله (ت ١٣٧٨هـ) : «مُجَدِّد القرن الثاني عشر»^(١).
- ١٠ - قال الجد الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله (ت ١٣٩٢هـ) : «الشيخ المُجَدِّد المُجتَهد»^(٢).
- ١١ - قال الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله (ت ١٣٩٦هـ) : «كان مُجَدِّداً لدعوة الإسلام، ومتيناً لمذهب أَحمدَ بن مُحَمَّدِ بن حَنْبَلٍ»^(٣).
- ١٢ - قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله (ت ١٤٢٠هـ) : «الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مُجَدِّد القرن الثاني عشر الهجري رحمه الله»^(٤).
- غفر الله له وللإمام محمد بن سعود، وجزاهما عن الإسلام وال المسلمين خير الجزاء، وأسكنهما وذرّياتهما جنة الخلود.
- وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



تَمَّ حَمَدُ اللَّهِ

(١) أثر الدّعوة الوهّابيّة (ص ٤).

(٢) الدرر السنّية في الأجرية النّجدية (١٨/١).

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٠٠).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٣٧٩/١).

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

٥	المقدمة
٩	الفصل الأول: حَيَاةُ
١٠	المبحث الأول: اسْمُهُ، وَنَسْبَهُ، وَمَوْلِدُهُ
١١	المبحث الثاني: أُسْرَتُهُ
١٣	المبحث الثالث: نَشَأَتُهُ
١٧	الفصل الثاني: أَحْوَالُهُ الشَّخْصِيَّةُ
١٨	المبحث الأول: أَخْلَاقُهُ
٢١	المبحث الثاني: سَلَامَةُ صَدْرِهِ
٢٣	المبحث الثالث: صِفَاتُهُ
٢٤	المبحث الرابع: ذَكَارُهُ
٢٧	المبحث الخامس: عِبَادَتُهُ
٢٩	الفصل الثالث: مَسِيرَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ
٣٠	المبحث الأول: رِحْلَتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
٣٨	المبحث الثاني: شُيوُخُهُ
٣٩	المبحث الثالث: إِجَازَاتُهُ
٤١	المبحث الرابع: غَزَارَةُ عِلْمِهِ
٤٤	المبحث الخامس: حُسْنُ تَصْنِيفِهِ

٤٦	الباحث السادس: طریقتہ فی التعلیم
٤٩	الفصل الرابع: دعوته
٥٠	المبحث الأول: دین من حوله
٥٣	المبحث الثاني: مسیرته الدعوية
٥٧	المبحث الثالث: حقيقة دعوته
٥٩	المبحث الرابع: لم يأت بجدید
٦٢	المبحث الخامس: دعوته هي دعوة العلماء
٦٧	الفصل الخامس: صدقه في الدعوة
٦٨	المبحث الأول: نصحته للناس
٧٢	المبحث الثاني: صدقه مع المدعوين
٧٥	المبحث الثالث: يدعون في صلاتهم للمدعوين
٧٦	المبحث الرابع: يحث الناس على الدعاء
٧٩	المبحث الخامس: فرحة بهداية الآخرين
٨١	الفصل السادس: منهجه في الدعوة
٨٢	المبحث الأول: طریقتہ فی الدعوة
٨٥	المبحث الثاني: حرصه على الدليل
٨٧	المبحث الثالث: اتباعه للنبي ﷺ
٩٠	المبحث الرابع: قبوله للحق
٩٤	المبحث الخامس: محبته للحوار
٩٧	المبحث السادس: طریقتہ فی المحاورة

١٠١	الفصل السّابع: المُعارضُونَ لِدَعْوَةِ
١٠٢	المبحث الأوّل: حالٌ مَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ
١٠٧	المبحث الثاني: المُسْتَوَى العِلْمِيُّ لِمَنْ عَارَضَ دَعْوَتَهُ
١١٠	المبحث الثالث: أَسْبَابُ مُعاَدَاتِهِ
١١٣	المبحث الرابع: أَسَالِيبُ مُعاَدَاتِهِ
١١٧	المبحث الخامس: الإِفْرَاءُ عَلَيْهِ
١٢٠	المبحث السادس: طَرِيقَتُهُ مَعَ الْمُعاَدِينَ لَهُ
١٢٣	الفصل الثّامن: آثَارُهُ
١٢٤	المبحث الأوّل: تَلَامِيذُهُ
١٢٦	المبحث الثاني: مُصَنَّفَاتُهُ
١٢٨	المبحث الثالث: كِتَابُ التَّوْحِيدِ
١٣٦	المبحث الرابع: آثارُ دَعْوَتِهِ
١٣٩	الفصل التّاسع: وَفَاتُهُ، وَمَحَبَّةُ النَّاسِ لَهُ
١٤٠	المبحث الأوّل: وَفَاتُهُ
١٤١	المبحث الثاني: وَفَاءُ النَّاسِ لَهُ
١٤٥	المبحث الثالث: شَاءُ ُعُلَمَاءُ الْأَمْصَارِ عَلَيْهِ
١٥٣	المبحث الرابع: لَقَبُهُ الْعُلَمَاءُ بِ«الْمُجَدِّد»
١٥٧	فِهْرُسُ الْمَوْضُوعَاتِ



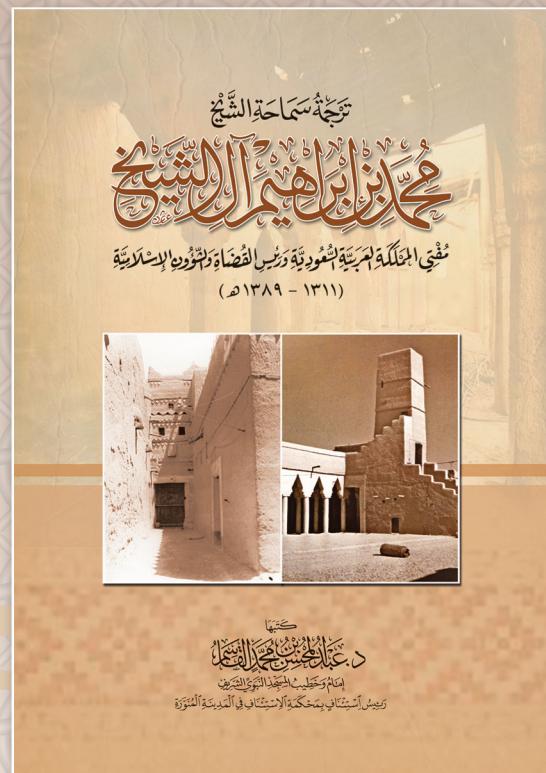
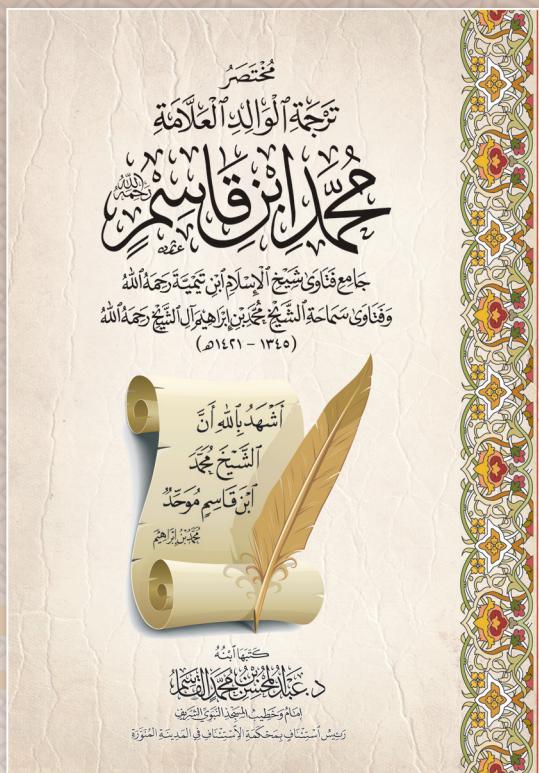
دار الدليقان للنشر والتوزيع

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع

+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨



صَدَرَ حَدِيثًا



مُؤْلَفَاتٌ لِّخَرِيٍّ



ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٨٩٠٧-٠٧

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع : +٩٦٦٥٠٦٠٩٠٤٤٨

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ (١)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَضْيُهُ عَنْهُ بِمَنْهُ وَكَرْمُهُ:

اعلم أرشدك الله لطاعته، وأحاطك بحياطته، وتولاك في الدنيا والآخرة، أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال القلب على الله تعالى فيها، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾
﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾^٤ الماعون: ٤ - فسر السهو بالسهو عن وقتها - أي إضاعتنه -، والسهو عمّا يجب فيها، والسهو عن حضور القلب، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً"^(٢) فوصفه بإضاعة الوقت بقوله: "يرقب الشمس" وبإضاعة الأركان بذكره التقر، وبإضاعة حضور القلب بقوله: "لا يذكر الله فيها إلا قليلاً".

إذا فهمت ذلك فافهم نوعاً واحداً من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلوات المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب.

(١) روى أن الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود كتب إليه - وهو إذ ذاك في العينية - يسأله أن يكتب إليه تفسير سورة الفاتحة، فكتبه له.

(٢) صحيح مسلم (كتاب المساجد)، وقد رواه أيضاً الترمذى (كتاب المواقف) والنسائي (كتاب المواقف).

ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأله فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢ قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الفاتحة: ٣ قال الله: أثني على عبدي، فإذا قال: ﴿مَلِكُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤ قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَبْدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ قال الله: هذا بياني ولعبي ما سأله، فإذا قال: ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧ قال الله: هذا لعبي ولعبي ما سأله ^(١) انتهى الحديث.

إذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله وهو أولها إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَبْدُ﴾ الفاتحة: ٥، ونصف للعبد دعاء يدعوه لنفسه، وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعوه به ويذكره في كل ركعة، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء إذا دعا به إخلاصاً وحضور قلب، تبين له ما أضاع أكثر الناس.

قد هيئوك لأمر ولو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهم

^(١) صحيح مسلم (كتاب الصلاة)، وقد رواه أبو داود أيضاً (كتاب الصلاة) والترمذى (كتاب التفسير) والنسائي (افتتاح) وابن ماجة (أدب) وهو أيضاً في مسند أحمد ٢ - ٤١.

وها أنا أذكر لك بعض معاني هذه السورة العظيمة لعلك تصلي بحضور قلب،
ويعلم قلبك ما نطق به لسانك، لأن ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلب ليس
بعمل صالح كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِلَّا سِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الفتح: ١١.

وأبدأ بمعنى الاستعاذه، ثم البسملة، على طريق الاختصار والإيجاز، فمعنى
(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) : ألوذ بالله، وأعتصم بالله، واستجير بجنبه من
شر هذا العدو، أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو
يحثني على فعل ما نهيت عنه، لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير
من صلاة أو قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذه بالله
لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيَّثُ لَا تَرَوْهُمْ﴾ الأعراف: ٤٧؛ فإذا طلبت من
الله أن يعيذك منه، واعتصمت به، كان هذا سببا في حضور القلب. فاعرف معنى
هذه الكلمة ولا تقلها باللسان فقط كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك
﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعينا بالله، متبركا باسمه
تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمى في أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا، فإذا أحضرت
في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينا به، متبرئاً من الحول والقوة، كان هذا
أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموضع من كل خير.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر، مثل العلام
والعالم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر من
الآخر رحمة.

وأما الفاتحة فهي سبع آيات: ثلات ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، فأولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ^١ فاعلم أن الحمد هو الشفاء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج بقوله الشفاء باللسان الشفاء بالفعل الذي يسمى لسان الحال، فذلك من نوع الشكر، وقوله: على الجميل الاختياري أي الذي يفعله الإنسان بإرادته، وأما الجميل الذي لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالشفاء به يسمى مدحًا حمداً، والفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد يتضمن المدح والشفاء على المحمود بذكر محسنه سواء كان إحساناً إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحسن والإحسان، فإن الله يحمد على ما له من الأسماء الحسنية وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الإسراء: ^{١١} الآية وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الأنعام: ^١ إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام؛ فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا إَلَّا دَارُودٌ شُكْرًا﴾ سباء: ^{١٣} والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والآلف واللام في قوله (الْحَمْدُ) للاستغراق، أي جميع أنواع الحمد لله لا لغيره فاما الذي لا صنع للخلق فيه مثل خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح، وأما ما يحمد عليه المخلوق مثل ما يثنى به على الصالحين والأنبياء والمرسلين، وعلى من فعل معروفاً خصوصاً إن أسداء

إليك، فهذا كله لله أيضاً بمعنى أنه، خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحبه إليه وقواه عليه، وغير ذلك من أفضال الله الذي لو يختل بعضها لم يحمد ذلك المحمود، فصار الحمد لله كله بهذا الاعتبار.

وأما قوله: ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ١ ﴿فَاللَّهُ عَلِمُ عَلَى رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى﴾، ومعناه: الإله أي المعبد لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ الأنعام: ٣ أي المعبد في السماوات والمعبد في الأرض ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِقْرَابِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ مريم: ٩٣ الآيتين.

وأما الرب فمعناه المالك المتصرف. وأما (الْعَالَمِينَ) فهو اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى؛ فكل ما سواه من ملك ونبي وإنسي وجني وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه، فغير محتاج؛ كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد.

وذكر بعد ذلك ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ الفاتحة: ٤ وفي قراءة أخرى ﴿مَلِكِ﴾ يوم الدين ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ﴾ الفاتحة: ٤ .

فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك. كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ملوك الناس ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ الناس: ٢ - ١

فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن؛ ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن؛

فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات؛ فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى، كما يقال: محمد رسول الله، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم فكل وصف له معنى غير ذلك الوصف الآخر.

إذا عرفت أن معنى الله هو الإله؛ وعرفت أن الإله هو المعبد، ثم دعوت الله
أو ذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أنه الله.

فإن دعوت مخلوقا طيبا أو خبيثا، أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه
هو الله.

فمن عرف أنه قد جعل "شمسان"^(١) أو "تاجا" برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتابوا، وقالوا ما ذكر الله عنهم: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيَتْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلَّوْا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَ كُوئَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ الأخوات: ١٤٩

وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله تعالى مالك كل شيء وهو المتصرف فيه، وهذا حق، ولكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، كما ذكر

^(١) شمسان وتاج -ومثلهما يوسف- رجال كان الناس في عصر الشيخ يعتقدون فيهم الولاية، ويرفعون لهم من العادة والدعاء ونحوهما ما لا ينبغي أن يرفع إلا لله عزوجل. راجع مثلا: رسالة (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٩ و(تاريخ ابن غمام) ص ٤٥.

الله عنهم في القرآن في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - فَقُلْ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴿ ٢١﴾ يونس: ٢١

فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقاً في ذلك، خصوصاً إن اقترن بدعائه نسبة نفسه إلى عبوديته مثل قوله في دعائه (فلان عبدك) أو قول (عبد علي) أو (عبد النبي أو الزبير) فقد أقر له بالربوبية.

وفي دعائه علينا أو الزبير بدعائه الله تبارك وتعالى وإقراره له بالعبودية، ليأتي له بخير أو ليصرف عنه شراً، مع تسمية نفسه عبداً له، قد أقر له بالربوبية، ولم يقر الله بأنه رب العالمين كلهم، بل جحد بعض ربوبيته.

فرحم الله عبداً نصح نفسه، وتقطن لهذه المهام، وسأل عن كلام أهل العلم، وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا السورة بهذا أم لا؟

وأما الملك فيأتي الكلام عليه؛ وذلك أن قوله: ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الْدِينِ ﴾ الفاتحة: ٤
 وفي القراءة الأخرى ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤ فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به في قوله: ﴿ وَمَا أَدْرِنَاكَ مَا يَوْمُ الْدِينِ ﴾ ١٧ ثمّ ما أدرناكَ ما يَوْمُ الْدِينِ ١٨ الانتظار: ١٧-١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يوم ميز لله

فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك اليوم، مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره، عرف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها.

فيالها من مسألة لورحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حلقها، فأين هذا المعنى والإيمان بما صرخ به القرآن، مع قوله ﷺ: "يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً"^(١) من قول صاحب البردة^(٢):

ولن يضيق رسول الله جاھك بي ... فإن لي ذمة منه بتسميتي
إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي ... محمدًا وهو أوفي الخلق بالذمم

إذا الکريم تحلى باسم منتقم ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فليتأمل من نصح نفسه هذه الأبيات ومعناها، ومن فتن بها من العباد، ومن يدعى أنه من العلماء، واختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن:

هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يُوَمِّدُ لِلَّهِ﴾ ^{١٩} الانفطار: ١٧ - ١٩. وقوله: "يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً"^(٣) لا والله، لا والله؛ لا والله إلا كما يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق، وأن محمدًا صادق على الحق، وأن أبو جهل صادق على الحق.

(١) روى في: سنن النسائي، كتاب الوصايا، وفي سنن الدارمي، كتاب الرقاد، وانظر أيضاً: صحيح البخاري، كتاب الوصايا، ومسند أحمد ١ - ٤٠٦.

(٢) هو شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي المصري، منسوب إلى بوصير في بني سويف بمصر، شاعر له ديوان مطبوع، وأشهر شعره قصيدة البردة ومطلعها:

أمن تذكر أمن تذگر جيران بدی سلم ... مزجت دمزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقد ولد عام ٦٠٨ هـ وتوفي عام ٦٩٦ هـ انظر مثلاً: فوات الوفيات ٣٦٢-٣٦٩.

(٣) البخاري: الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم: الإيمان (٤٠٦)، والنسائي: الوصايا (٣٦٤٦)، وأحمد (٤٤٨/٢)، والدارمي: الرقاد (٢٧٣٢).

لا والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان. فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة، ومن فتن بها عرف غربة الإسلام، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير والقتال، بل هم الذين بدؤونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ الجن: ١٨ وعنده قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْتَغِيْرُ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ أَيْمُونَ أَقْرَبُ﴾ الإسراء: ٧ وقوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَحِيْبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ الرعد: ١٤

فهذا بعض المعاني في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ الفاتحة: ٤ بإجماع المفسرين كلهم. وقد فسرها الله سبحانه في سورة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ ١ كما قدمت لك الانفطرار: ١

واعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبيّن إلا بالباطل كما قيل:

... وبضدها تتبيّن الأشياء ...

فتتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة، ويوما بعد يوم وشهرا بعد شهر، وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم ودين نبيك فتحشر معهما؛ ولا تصد عن الحوض يوم الدين، كما يصد عنه من صد عن طريقهما.

ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيمة، ولا تزل عنه كما زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا من زل، فعليك بإدامة دعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتصريع.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَبْعُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ فال العبادة كمال المحبة

وكمال الخضوع، والخوف والذل. وقدم المفعول وهو إياك، وكرر للاهتمام والحصر أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا كمال الطاعة؛ والدين كله يرجع إلى هذين المعنين، فال الأول التبرؤ من الشرك، والثاني التبرؤ من الحول والقوة فقوله:

﴿إِيَّاكَ نَبْعُدُ﴾ الفاتحة: ٦ أى إياك نوحد، ومعناه أنك تعاهد ربك أن لا تشرك به في

عبادته أحدا، لا ملكا ولا نبيا ولا غيرهما، كما قال للصحابة: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنَّ

تَنْجِذُوا الْمُلْتَكِّهَةَ وَالنَّبِيَّنَ أَرْبَابًا أَيَّامَرُكُمْ بِالْكُفُرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٨٠

فتتأمل هذه الآية واعرف ما ذكرت لك في الربوبية، أنها التي نسبت إلى "تاج" و"محمد بن شمسان" فإذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسل كفروا بعد إسلامهم فكيف بمن لها في تاج وأمثاله؟

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٦ هذا فيه أمران: أحدهما سؤال

الإعانة من الله، وهو التوكيل والتبرير من الحول والقوة. وأيضا طلب الإعانة من الله كما مر أنها من نصف العبد.

وأما قوله: ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ فهذا هو الدعاء الصريح

الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ

بعد الفتح قوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الفتح: ٤ والهدایة هنا التوفيق

والإرشاد. وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهدایة إلى ذلك تتضمن العلم والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله.

والصراط الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الطريق الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وهو ﴿صَرَاطٌ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الفاتحة: ٧ وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم؛ وعليك من الفرائض أن تصدق الله أنه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة، فليس بمستقيم، بل معوج.

وهذه أول الواجبات من هذه الآية، وهو اعتقاد ذلك بالقلب. وليرجع المؤمن من خداع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً، فإن أكفر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق وإن ما خالفه باطل، فإذا جاء بما لا تهوي أنفسهم فكما قال تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ المائدة: ٧٠.

وأما قوله: ﴿عَيْرُ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٨ فالمحضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعلموا بعلمهم، والضاللون العاملون بلا علم، فال الأول صفة اليهود والثانية صفة النصارى وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضاللون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيما سبحانه الله كيف يعلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن يدعوه دائمًا مع ظنه أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله. والله أعلم، هذا آخر الفاتحة.

أما آمين فليست من الفاتحة، ولكنها تأمين على الدعاء، معناها: "اللَّهُمَّ استجب"، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله؛ والله أعلم.

وهذه مسائل مستنبطة من سورة الفاتحة؛ استنبطها شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

الأولى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ فيها التوحيد.

الثانية: ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ فيها المتابعة.

الثالثة: أركان الدين: الحب والرجاء والخوف، فالحب في الأولى، والرجاء في الثانية، والخوف في الثالثة.

الرابعة: هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى، أعني استغراق الحمد واستغراق ربوبية العالمين.

الخامسة: أول المنعم عليهم وأول المغضوب عليهم والضالين.

السادسة: ظهور الكرم والحمد في ذكر المنعم عليهم.

السابعة: ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

الثامنة: دعاء الفاتحة مع قوله لا يستجاب الدعاء من قلب غافل.

التاسعة: قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾ الفاتحة: ٧ فيه حجة الإجماع.

العاشرة: ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه.

الحادية عشرة: ما فيها من النص على التوكل.

الثانية عشرة: ما فيها من التنبية على بطلان الشرك.

الثالثة عشرة: التنبية على بطلان البدع.

الرابعة عشرة: آيات الفاتحة كل آية منها لو يعلمها الإنسان صار فقيها، وكل آية أفرد معناها بالتصانيف، والله سبحانه وتعالى أعلم.

سُورَةُ يُوسُف

ذكر ما ذكر الشيخ محمد رحمة الله على سورة يوسف من المسائل:

(١) ﴿الرَّ تَلَكَءَيْتُ الْكِتَبِ الْمَيْنِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْتَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصْصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِيْنَ ﴿٣﴾ يوسف: ١-٣

روى ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص قال: "أنزل الله على النبي ﷺ القرآن فتلاه زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فنزل: ﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الزمن: ٢٣ الآية" وله عن عون بن عبد الله قال: "مل الصحابة ملة فقالوا يا رسول الله: حدثنا فنزل: ﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ المر: ٢٣" ، ثم ملو ملة فقالوا يا رسول: حدثنا ما فوق الحديث دون القرآن يعنون القصص، فأنزل الله أول هذه السورة إلى قوله: ﴿لَمِنَ الْغَافِلِيْنَ﴾ يوسف: ٣ وما يدل على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب أن عمر "أبي النبي ﷺ" بكتاب فقرأ عليه، فغضب فقال: أمتهمون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيساء نقية. لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي" ^(١) رواه أحمد.

^(١) الحديث رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس رض. راجع: كنز العمال ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٠.

وفي لفظ أنه استكتب جوامع مع التوراة وقال: ألا أعرضها عليك، وفيه:
"لو أصبح فيكم موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم. إنكم حظي من الأمم
وأنا حظكم من النبئين"^(١).

وقد انتفع عمر بهذا فقال للذي نسخ كتاب دانيال: امحه بالح米尔 والصوف
الأبيض، وقرأ عليه أول هذه السورة، وقال: "لئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته أحدا
من الناس لأنه كذلك عقوبة":

والمراد بأحسن القصص القرآن، لا قصة يوسف وحدها قوله: ﴿تَلَكَ أَيْ هَذِهِ آيَاتُ الْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾  يوسف: ١ الواضح الذي يوضح الأشياء المهمة. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾  يوسف: ٢ أي تفهمون معانيه، والقصص مصدر قص الحديث يقصه قصصاً، أي بإيحائنا إليك هذا القرآن. قوله: ﴿لَمَنْ أَعْنَفَلَيْكَ أَيْ الْجَاهِلِينَ بِهِ﴾  يوسف: ٣ أي الجاهلين به.

وهذا مما يبين جلالة القرآن، لأن فيه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن،
وفيه دلالة على جلالة الله وقدرته، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ وفيه دلالة
على كذب من ادعى أن غيره من الكتب أوضح منه.

٤٧٠/٣

قوله عَزَّوَجَلَ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَعِيدِينَ ﴾ ﴿قَالَ يَبْنَىَ لَا نَفْصُصُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلنَّاسِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يوسف: ٤ - ٥

أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، والكواكب عبارة عن إخوته، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه، ووقع تفسيرها بعد أربعين سنة، وقيل: ثمانين، حين رفع أبوه على العرش وخرعوا له سجدا. ولما كان تعبيرها خصوصاً لهم، خشي إن حدثهم أن يحسدوه فيبغون له الغوايل.

وثبت أن رسول الله ﷺ أمر من رأى ما يحب أن يحدث به، ولا يحدث إلا من يحب؛ وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر، ويتأفل عن يساره ثلاثة، ويتعود بالله من شرها، فإنها لا تضره، وفيها عدم الوثوق بنفسك وبغيرك؛ قيل للحسن: أيحسد المؤمن؟ قال: "أنسيت إخوة يوسف"؟ وفيها التنبية على السبب وهو عداوة الشيطان للإنسان. وفيها كتمان النعمة ما لم يؤمر بإظهارها. وفيها كتمان السر.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْهِيَكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتْمِمُ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَعَلَىٰ إِلَيْكَ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبُوِيَّكَ مِنْ قَبْلٍ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ﴾ يوسف: ٦

أي كما اختارك لهذه الرؤيا كذلك يختارك لنبوته ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف: ٦. قال مجاهد وغيره: عبارة الرؤيا ﴿وَيُتْمِمُ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ﴾

يُوسف: ٦ بِإِرْسَالِكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوِيْكَ مِنْ قَبْلُ يُوسف: ٦ وَقُولُهُ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦ يُوسف: ٦ أَيْ عَلِيمٌ بِمَنْ يَصْلُحُ لِلْاجْتِبَاءِ، حَكِيمٌ يَضْعُ الأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا.

وهذا من أَنْفُعِ الْعِلْمَاتِ يَعْنِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَعْتَنِي بِهِ إِلَّا مِنْ عَرْفٍ قَدْرِهِ.

وَفِيهَا الْبَشَارَةُ بِالْخَيْرِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَدْحِ الْإِنْسَانِ الْمَنْهَى عَنْهُ. وَفِيهَا تُولِيهَا النِّعَمَ مَسْدِيَّهَا سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَفِيهَا سُؤَالُ اللَّهِ تَعَالَى تَامُ النِّعَمَةِ، وَأَنْ عِلْمُ التَّعْبِيرِ عَلِمٌ صَحِيحٌ يَمْنُ اللَّهُ بِهِ عَلَى مِنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ.

وَقُولُهُ عَزَّ وَجَلَّ ٧ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْرَوْتِهِ أَيَّتُ لِلْسَّابِلَيْنَ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَبِينَا مِنَا وَنَحْنُ عُصَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَنِلِحِينَ ٩ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّهُ فِي غَيَّبَتِ الْجُبِّ يَلْثِقُهُ بَعْضُ الْسَّيَّارَهُ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَانِ ١٠ يُوسف: ١٠ - ٧

يعني أن في ذلك عبرا وفوائد لمن يسأل؛ فإنه خبر يستحق السؤال إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخْوَهُ يُوسف: ٨ شقيقه أَيْ وَنَحْنُ عُصَبَةٌ يُوسف: ٨ جماعة. وَقُولُهُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨ أَيْ تقدِيمِهِمَا عَلَيْنَا. وَقُولُهُ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يُوسف: ٩ أَيْ الْقُوَّهُ فِي أَرْضٍ بَعِيدَهُ يَخْلُ لَكُمْ يُوسف: ٩ وَحدَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمْ ٩ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَنِلِحِينَ ٩ أَيْ تَوَبُونَ. وَقُولُهُ فِي

غَيَّبَتِ الْجُبِّ  أي أسفله. ﴿ يَلْقِطُهُ بَعْضُ الْسَّيَّارَةِ ﴾  يوسف: ١٠ أي المارة من المسافرين. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَانِ ﴾  يوسف: ١٠ أي إن كنتم عازمين على ما تقولون.

قال ابن إسحاق: لقد اجتمعوا على أمر عظيم يغفر الله لهم  وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّحْمَينَ  يوسف: ٦٤ ،

وفيها مسائل: منها ما نبه الله تعالى عليه أن هذه القصة فيها عبر، قال بعضهم: فيها أكثر من ألف مسألة، وفيها أن الذي ينتفع بالعلم هو الذي يهتم به ويسأل عنه؛ وأعظم ما فيها تقرير الشهادتين بالأدلة الواضحة.

وفيها: أن الوالد يعدل بين الأولاد لئلا تقع بينهم القطيعة، وأن ذلك ليس مختصاً بالمال.

وفيها: غلط العالم في الأمر الواضح؛ وتغليطه من لا ينبغي تغليطه لقوفهم: {ونحن عصبة} الآية.

وفيها: أن الإنسان لا يغتر بالشيطان إذا زين له المعصية ومنّاه التوبة.

وفيها: شاهد للمثل المعروف (بعض الشر أهون من بعض).

وفيها: شاهد لقوله: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على قدر دينه"^(١)^(٢). وسيأتي بعض ما فيها من المسائل في مواضعه إن شاء الله تعالى.

﴿ قَالُوا يَتَأْبَانَا مَالِكٌ لَا تَأْمَنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ ١١

غَدَّا يَرَّعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ ١٢ يوسف: ١١ - ١٢ ، قال ابن عباس وغيره:

﴿ يَرَّعُ وَيَلْعَبُ ﴾ يوسف: ١٣ : يسعى وينبسط، وفي قراءة نرتع ونلعب، فيه الرخصة في بعض اللعب خصوصا للصغار. وفيه التحفظ على الأولاد. وفيه إرسالهم مع الأمناء الناصحين. وفيه عدم الاغترار بحسن الكلام.

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا إِلَيْهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ ١٣

يوسف: ١٣ - ١٤

قال: إنه ليشق علي مفارقته وقت ذهابكم به لفطر محبتة، ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ يوسف: ١٣ أي: تستغلون عنه برميكم ورعيكم، فأخذوها منه وجعلوها عذراً، ومن الأمثل: (البلاء موكلا بالمنطق).

(١) الترمذى: الزهد (٢٣٩٨)، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٣)، وأحمد (١٧٦/١، ١٧٣)، والدارمى: الرقاق (٢٧٨٣).

(٢) رواه الترمذى وقال: حسن صحيح، كما رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال ((الأنبياء، ثم الأمثل - فالأمثل)). كما رواه النسائي وابن ماجه والدارمى وأحمد وابن منيع وأبو يعلى من حديث عاصم.. راجع: كشف الخفاء ج ١ ص ١٣٠.

وفيه أنه لم يتهمهم بما أرادوا، ولكن خاف من التقصير في حفظه. ﴿ قَالُوا لِئِنْ أَكَلَهُ الْذِئْبُ أَكَلَهُ إِنَّا إِذَا لَعَاجَزُونَ، فِيهِ النَّمْ لَمْ تُرِكِ الْحَزْمُ . وَفِيهِ أَنَّ الْعَجْزَ هَلْكَةً .﴾

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبَرِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتُنَبِّئَهُمْ بِمَا مِنْهُمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٥

هذا فيه تعظيم لما فعلوا أنهم اتفقوا على إلقاءه في أسفل الجب، وقد أخذوا من أبيه بذلك الكلام. قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ ١٥ قيل: كان قد أدرك، وقيل: أوحى إليه كما أوحى إلى عيسى ويحيى^(١). قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٥ أي: لا يشعرون بأنك يوسف، كذا روي عن ابن عباس. وقيل: لا يشعرون بياحائنا ذلك إليه. وفيه جواز الذنب على الصالحين، وفيه رجاء رحمة الله، وفيه أن الله سبحانه وقت البلاء نعمًا عظيمة. وفيه أن الماكير يصير وبال مكره عليه، ولكن لا يشعر، ولو شعر لما فعل.

﴿ وَجَاءُوْ أَبَاهُمْ عِشَاءَ يَكُونُ قَالُوا يَتَأَبَّانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِي وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَلِعْنَا فَأَكَلَهُ الْذِئْبُ وَمَا أَنَّ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقِنَ ﴾ ١٦ وَجَاءُو عَلَى قَمِصِهِ بِدَمِ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَيْلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ١٧ - ١٨

(١) يشير إلى كلام عيسى في المهد وإعطاء يحيى الحكم صبيا (عليهما السلام) سورة مريم: ١٤-٣٠.

لما رجعوا إليه باكين إظهارا للحزن على يوسف اعتذروا باستباقةهم وهو الترامي ﴿ قَالُوا يَتَأْبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَيْقُ ﴾ يوسف: ١٧ ، قوله ﴿ عِنْدَ مَتَعِنَا ﴾ يوسف: ١٧ أي: ثيابنا وأمتعتنا. قوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ ﴾ يوسف: ١٧ أي لست بمصدقنا ولو كنا صادقين عندك، فكيف مع التهمة. قوله ﴿ بِدَمِ كَذِبٍ ﴾ يوسف: ١٨ نسوا أن يخرقوا القميص فعرف كذبهم. قوله ﴿ سَوَّلْتُ ﴾ يوسف: ١٨ أي: زينت أو سهلت، والصبر الجميل الذي لا شكوى معه. قوله: ﴿ تَصْفُونَ ﴾ يوسف: ١٨ أي تذكرون، وفيه من الفوائد عدم الاغترار ببكاء الخصم، وعدم الاغترار بزخرف القول، وما يجعل الله على الباطل من العلامات. وفيه الاستدلال بالقرائن. وفيه ما ينبغي استعماله عند المصائب وهو الصبر الجميل والاستعانة بالله، وأن التكلم بذلك حسن.

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَادْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشِرَى هَذَا غُلْمَانٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٩ يوسف: ١٩ - ٢٠ ٢٠ وَشَرَوْهُ بِشَمَنْ بَخْسٍ دَرَّهُمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الرَّاهِدِينَ

السيارة الرفقة السائرون، والوارد الذي يرد الماء يستسقي للقوم. قوله: ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً ﴾ يوسف: ١٩ أي: أظهروا أنهم أخذوه بضاعة من أهل الماء. قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ بِشَمَنْ بَخْسٍ ﴾ يوسف: ٢٠ أي: باعوه في مصر بثمن قليل، لأنهم لم يعلموا حاله. وفيه من الفوائد أن الله يبتلي أحب الناس إليه بمثل هذا البلاء العظيم عليه وعلى أبيه، ومن ذلك البلاء أنه سلط عليه من يبيعه بيع العبد. وفيه أنه لا ينبغي للعامل أن يستحقر أحدا، فقد يكون زاهدا فيه وهو لا يعلم.

() وَقَالَ الَّذِي أَسْتَرَنَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأِهِ أَكْرِمِي مَثُونَهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا
 أَوْ نَنْجَذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ
 الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

يوسف: ٦١

"قال ابن مسعود: "أفس الناس ثلاثة: العزيز حيث تفرس في يوسف، والمرأة حين قالت: يا أبت استأجره، وأبو بكر في عمر"^(١). قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ ﴾ يوسف: ٦١ أي كما أنجينا من كيد إخوته ومن الجب وجعلناه عند من يكرمه مكنا له. ﴿ وَلَنْعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: ٦١ أي: إنما فعلنا ذلك لحكمة وهي إعطاؤنا إياه العلم والعمل؛ قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ يوسف: ٦١ أي: الذي يجري ما أراد، لا ما أراد العباد كما لم ي عمل كيدهم في يوسف، قوله: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٦١ ، ما أعظمها من فائدة لمن فهمها!

() وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُءَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ بَخْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٢﴾

يوسف: ٦٢

تقول العرب: بلغ أشدده أي: منتهى شبابه قيل: الحلم، وقيل أكثر من ذلك. قوله: ﴿ إَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ العلم: معرفة الأشياء، والحكم: العمل به وإصابة الحق. قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ بَخْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٦٢ يعني: أن هذا ليس مختصا

(١) يعني: عندما استخلفه فكان عند حسن ظنه. أما قول المرأة عن موسى عليه السلام فهو في سورة القصص الآية: ٤٦.

بيوسف، بل الله سبحانه يجازي المحسنين بخير الدنيا والآخرة، ومن ذلك أنه يجازي المحسنين بعطائه العلم والحكمة.

﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ الْأَحْسَانِ مَثَوَّاً إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

٤٣: يوسف

فيه مسائل:

الأولى: قوله: ﴿ إِنَّهُ رَبِّ الْأَحْسَانِ مَثَوَّاً ﴾ يوسف: ٤٣ إن هذا جائز في شريعتهم بخلاف شريعتنا، لأنها لو كانت سمحـة في العمل، فهي حنيفية في التوحيد.

الثانية: مراعاة حق المخلوق.

الثالثة: شكر نعمة المخلوق لقوله: ﴿ أَحْسَنَ مَثَوَّاً ﴾ يوسف: ٤٣ .

الرابعة: القاعدة الكلية ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ يوسف: ٤٣ .

الخامسة: التنبـية على عدم مخالطة الخدم للنساء، خصوصا إذا كان في الخادم داعية.

السادسة: معرفـه كمال يوسف عليه السلام، فإن صبره لا يعرف له نظير.

السابعة: براءته عليه السلام من الحول والقوة لقوله: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَعُوذُ بِاللَّهِ، إِنَّهُ رَبِّ الْأَحْسَانِ مَثَوَّاً ﴾ يوسف: ٤٣ أي: سيدـي، أي: أكرمنـي.

الثامنة: أن الاعتذار بحق المخلوق لا بأس به؛ ولو كان في القضية حق الله، ومعنى {هَيْتَ لَكَ} أي: أقبل.

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَبَّا بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الْشَّوَّءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ ٤٤ يسٰف: ٤٤

فيه مسائل:

الأولى: أن الهم الذي لا يقترن به عمل ولا قول لا يعد ذنبًا، كما في الحديث:
إن الله تجاوز لهذه الأمة بما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل^(١)
^(٢).

الثانية: أن الذي صرفة عن ذلك فضل تفضل الله عليه به تلك الساعة، غير إيمانه الأول؛ وهذه من أعظم ما يعرف الإنسان نفسه.

الثالثة: أن هذا الفضل سببه ما تقدم له من العمل الصالح، فمن ثواب العمل حفظ الله للعبد كما في قوله: "احفظ الله يحفظك"^(٣) ^(٤).

(١) البخاري: الطلاق (٥٢٦٩)، ومسلم: الإيمان (١٢٧)، والترمذني: الطلاق (١١٨٣)، والنسائي: الطلاق (٣٤٣٣)، وأبو داود: الطلاق (٢٢٠٩)، وابن ماجه: الطلاق (٤٠٤٠)، وأحمد (٤٤٥/٢، ٣٩٣/٢).

(٢) رواه البخاري (كتب العتق والطلاق والأيمان) ومسلم (إيمان) والترمذني (طلاق) وأبي داود (طلاق) والنسيائي (طلاق) وابن ماجة (طلاق)، كما في مسنده رواه أحمد في ج ٢ ص ٤٥.

(٣) الترمذني: صفة القيامة والرقائق والورع (٤٥١٦)، وأحمد (٤٩٣/١، ٣٠٣/١، ٣٠٧/١).

(٤) رواه الترمذني (قيامة) وأحمد في مسنده ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٧.

الرابعة: معرفة قدر الإخلاص حيث أثني الله على يوسف أنه من أهله.

الخامسة: السابقة التي سبقت من الله، كما قال أبو عثمان: لأننا بأول هذا الأمر أفرح مني بأخره.

السادسة: أن العباد المضافين إليه غير الذين قال فيهم: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي﴾

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ ٩٣ مريم:

السابعة: صرف الله عنه السوء والفحشاء، فيه رد على ما ذكر بعض المفسرين.

الثامنة: أن الصارف له آية من آيات الله أراه إليها.

النinth: عطف الفحشاء على السوء، قيل: إن السوء الذنب كلها.

﴿وَأَسْتَبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَّا الْبَابِ قَالَتْ﴾

﴿مَا جَرَاءَ مَنْ أَرَادَ يَأْهَلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤٥ يوسف:

تبارا إلى الباب، إن سبق يوسف خرج، وإن سبقته أغلقته لئلا يخرج.

وقوله: ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾ يوسف: ٤٥ أي: من خلف. وأَلْفِيَا يوسف: ٤٥ أي: و جدا

﴿سَيِّدَهَا﴾ يوسف: ٤٥ أي: زوجها لَدَّا الْبَابِ يوسف: ٤٥ أي: عنده،

فيها مسائل:

الأولى: حرصه عليه السلام على بعد عن الذنب، كما حرصت على الفعل.

الثانية: لطف الله تعالى في تيسيره شق القميص من دبر.

الثالثة: كشف الله ستر العاصي فيما يستبعد.

الرابعة: شدة مكر النساء كيف قويت على هذا في هذا الموضع.

الخامسة: التحرز من تظلم الشخص فربما أنه هو الظالم، والدواء التأني وعدم العجلة.

السادسة: تسمية الزوج سيدا في كتاب الله.

السابعة: ما عليه الكفار من استعظام الفاحشة.

الثامنة: الغيرة على الأهل.

﴿ قَالَ هِيَ رَوْدَتِنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِيلِينَ ٢٦ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبْرِ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ٢٧ ﴾
يوسف: ٢٦ - ٢٧

قوله: ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾
يوسف: ٢٦ أي من أقاربها، وإن كان مع زوجها،

فيه مسائل:

الأولى: القيام بالقسط في الشهادة قد يكون من الكفار؛ والعجب أنه في مثل هذه الحادثة.

الثانية: أن الشاهد إذا كان من قرابات الشهد علية فهو أبلغ.

الثالثة: الحكم بالدلائل والقرائن.

الرابعة: ذكر الله تعالى ذلك على سبيل التصويب، فيفيد قبول الحق من أتى به كائناً من كان.

الخامسة: أن مثل هذه القرينة يصح الحكم بها.

السادسة: الطافه تبارك وتعالى في البلوى.

السابعة: أن ذكر الخصم مثل هذا عن صاحبه لا يلزم، بل يحمد.

﴿فَلَمَّا رَأَهَا قَيْمِصَهُ قَدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

٢٨  **يوسف:**

فيه مسائل:

الأولى: كون زوجها قبل الحق، وصار مع يوسف عليهما.

الثانية: قلة الغيرة على أهله^(١).

الثالثة: أن قوله هذه القضية الجزئية خارجة عن قضايا كلية.

^(١) في س "على أهلهها".

الرابعة: عظمة كيد النساء، وذكره تعالى ذلك غير منكر له مع قول النبي ﷺ "إِنَّكُنْ لَا تَنْتَنْ صَوَاحِبَ يُوسُفَ" ^(١).

الخامسة: أنه لم يحکم عليها إلا بعد ما رأى القد.

السادسة: أمره ليوسف بكتمان السر مع ما أنزله الله في ذلك من التغليظ إلا أربعة شهداء.

السابعة: أمره لها بالاستغفار من الذنب مع عدم الإسلام.

الثامنة: حكمه عليها أنها صارت من هؤلاء المذومين عندهم.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أُمَّارَاتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف: ٣٠

قوله: ﴿ فَتَاهَا ﴾ يوسف: ٣٠. أي: عبدها، وقوله: ﴿ شَغَفَهَا ﴾ يوسف: ٣٠. الشغاف: داخل القلب، أي دخل حبه في داخل قلبها،

فيه مسائل:

الأولى: أن هذا قبيح في عرفهن ولو لم يكن مسلمات.

(١) البخاري: الأذان (٦٦٤)، ومسلم: الصلاة (٤١٨)، والترمذني: المناقب (٣٦٧٢)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنّة فيها (١٣٣٢)، وما جاء في الجنائز (١٦١٨)، وأحمد (٥٩٢)، وأبي داود (١٦١٨)، وأبي حمزة (١٥٩)، ومالك: النداء للصلوة (٤١٤)، والداري: الصلاة (١٢٥٧).

(٢) كان ذلك حينما أمر النبي ﷺ أن يصلّي أبو بكر رض بالناس، فراجعته عائشة رض في ذلك. راجع: سيرة ابن هشام ج٤، ص. ٣٣٠.

الثانية: حب المرأة حباً عظيماً من هو دون مرتبتها مما يعينه.

الثالثة: أنها لم تكتم، بل سعت في طلب الفاحشة بالمراؤدة.

الرابعة: أن هذا من مثلها ضلال مبين عندهن.

﴿فَمَا سَمِعْتُ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتَّكِئًا وَأَتَتْ كُلَّ وَجْهَةٍ مِّنْهُنَّ
سِكِّينًا وَقَاتَ أَخْرُجَ عَلَيْهِنَ فَلَمَّا رَأَيْهُمْ أَكْبَرُهُمْ وَقَطَعُنَ أَيْدِيهِنَ وَقُلنَ حَشَّ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا
إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: ٣١

فيه مسائل:

الأولى: بيان كمال عقلها الذي ينقص عنه أكثر عقول الرجال.

الثانية: ما أعطي يوسف عليه السلام من جمال الصورة التي تبهر الناظر.

الثالثة: غيبة عقولهن وعدم إحساسهن بقطع أيديهن، وهذه من أتعجب ما سمع.

الرابعة: معرفتهن بالملائكة.

الخامسة: جلالة الملائكة عندهن، وأنهم أكمل من البشر.

السادسة: معنى "حاش لله" في هذا المقام.

السابعة: وصفهن الملك بالكرامة.

(قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُنْتَنِ فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَأَسْتَعْصَمْ وَلَئِنْ لَمْ

يَفْعَلْ مَا أَمْرَهُ، لِيُسْجِنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ) ٣٢ يوسف: ٣٢

فيه مسائل:

الأولى: إظهار عذرها لما أصابهن ما ذكر.

الثانية: إقرارها أنها ستعود.

الثالثة: كما أخبرتهن بجماله الظاهر بالحسن، أخبرتهن بجماله الباطن بالعفة.

الرابعة: إخبارهن أنها لا صبر لها عنه، فإن لم يفعل سعت في سجنه ومهونته.

الخامسة: معنى ﴿استَعْصَم﴾ : امتنع وأبى.

(قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ

أَصْبِ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ٣٣ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٤ يوسف: ٣٤ - ٣٣

فيه مسائل:

الأولى: فضيلة يوسف عليه السلام كيف اختار السجن على ما ذكر، مع قوه الدواعي وصرف المowanع؛ ولا يعرف لأحد نظير هذا.

الثانية: التصریح بأن النسوة دعونه من غير امرأة العزیز.

الثالثة: معرفته عليه السلام بنفسه وبربه، وأن القوة التي فيه لا تنفع إلا
أن أمده الله بمدد منه.

الرابعة: أن هذا الكلام دعاء ولو كان بهذه الصيغة.

الخامسة: أن الله سبحانه ذكر أنه استجاب دعاءه؛ فدعاؤه عليه السلام
سبب لصرف ذلك عنه.

السادسة: ختمه سبحانه ما ذكر بوصف نفسه بأنه السميع العليم.

السابعة: استفتاحه الدعاء بربه، قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْ لَهُ رَبُّهُ﴾ يوسف: ٣٤.

الثامنة: إثبات المكر أولاً، والكيد بعده لهن.

﴿ثُمَّ بَدَّا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَلَيْتِ لَيْسَ جُنْحَنَّةُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف: ٣٥

الآية.

قيل: سبب ذلك أن الحديث شاع في الناس فأرادوا إظهار أنه المذنب.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف: ٣٥ قيل: إلى أن تسكن القضية.

فيه مسائل:

الأولى: أنهم تماطلوا على ذلك، ليس رأيا لزوجها خاصة.

الثانية: أن تلك الحيلة لم تنفع، بل أظهر الله ما يكرهونه على الرغم منهم.

الثالثة: ابتلاء الله أحب الخلق إليه وهم الأنبياء بالسجن.

الرابعة: أن السبب الذي أظهروا أكبر بلية من السجن عند أهل المروءات.

الخامسة: أن رؤية الآيات والقطع على المسألة لا يستلزم اتباع الحق وترك الباطل.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَى نَفِيَّ أَعْصَرَ حَمَرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَى نَفِيَّ أَحَمِيلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْهُ نَيْشَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٣٦

فيه مسائل، ونذكر قصة قبل ذلك: قيل إن الملك بلغه أن الخباز يريد أن يسمه، وأن صاحب شرابه مالأه على ذلك، فحبسهما جميعاً، وذلك قوله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَيَانٌ ﴾ يوسف: ٣٦.

فقال الساق: ﴿ إِنِّي أَرَى نَفِيَّ أَعْصَرَ حَمَرًا ﴾ أي: أعصر عنباً حمراً، وقال صاحب الطعام: ﴿ إِنِّي أَرَى نَفِيَّ أَحَمِيلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْهُ نَيْشَنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ بتفسيره ﴿ إِنَّا نَرَنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٣٦ تأتي الأفعال الجميلة، وقيل: من يحسن تعبير الرؤيا.

فيه مسائل:

الأولى: عبارة الرؤيا علم صحيح ذكره الله في القرآن، ولأجل ذلك قيل: لا يعبر الرؤيا إلا من هو من أهل العلم بتأويلها لأنها من أقسام الوحي.

الثانية: تعبير أكل الطير من الحبز الذي فوق رأس الرجل بما ذكر.

الثالثة: تعبير عصر الخمر بسلامة الذي رآه ورجوعه إلى مرتبته.

الرابعة: فيه دلالة على قوله ﷺ: "إذا رأى أحدكم ما يكره فلا يذكرها"^(١) وقوله: "الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت"^(٢).

الخامسة: أن التأويل في كلام الله ولغة العرب غير التأويل في عرف المتأخرین، ومعناه ما يؤول الأمر إليه.

السادسة: أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل عن مسائل العلم إلا من رآه يحسن ذلك.

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَتَّأْكِمَا بِتَأْوِيلِهِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنَا رَبِّيَّ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ ٣٧﴾
﴿ وَأَتَبَعَتْ مِلَّةَ إَبَابَاءِيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾

(١) البخاري: التعبير (٧٠١٧، ٦٩٨٨)، ومسلم: الرؤيا (٢٢٦٣)، والترمذی: الرؤيا (٢٢٩١، ٢٢٨٠)، وأبو داود: الأدب (٥٠١٩)، وابن ماجه: تعبير الرؤيا (٣٨٩٤، ٣٩١٧، ٣٩٠٦)، وأحمد (٥٠٧/٢)، ومالک: الجامع (١٧٨١)، والداری: الرؤيا (٢١٦٠، ٢١٤٤، ٢١٤٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٣٧.

(٣) الترمذی: الرؤيا (٢٢٧٨)، وأبو داود: الأدب (٥٠٤٠)، وابن ماجه: تعبير الرؤيا (٣٩١٤)، وأحمد (٤٠/١٣، ٤١٢، ٤١١)، والداری: الرؤيا (٢١٤٨).

(٤) رواه أبو داود والترمذی (وصححه) وابن ماجه عن أبي رزين. وقال ابن دقیق العید: إسناده على شرط مسلم وأخرجه أحمد والداری والترمذی بلفظ (رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا حدث بها وقعت) كشف الخفاء ٣٢٩-١ ومسند أحمد ج ٤ ص ١١.

يَصَدِّحُ بِالسِّجْنِ إِرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ ۝ خَيْرٌ أَمِ الْلَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ

مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْشُمْ وَأَبَاوْكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ
الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَيْمُ وَلَنْكَنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ۝ يُوسُف: ۴۰ - ۳۷

يقول عليه السلام إني عليم بتعبير الرؤيا هذه وغيرها ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ

تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ يُوسُف: ۳۷ قبل إتيانه فكيف بغير ذلك؟

ففيه مسائل:

الأولى: ذكر العالم أنه من أهل العلم عند الحاجة، ولا يكون من تزكية النفس.

الثانية: إضافة هذه النعمة العظيمة إلى معطيها سبحانه وتعالى، لا إلى فهم الإنسان واجتهاده.

الثالثة: ذكر سبب إكرام الله له بهذا الفضل وهو الترك والفعل، فترك الشرك الذي هو مسلك المخالفين، واتبع التوحيد الذي هو سبيل أهل العلم من الأنبياء وأتباعهم.

الرابعة: ذكره أنه من هؤلاء الأكرمين، فانتسب إلى البيت الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض، وهذا جائز على غير سبيل الافتخار، خصوصاً عند الحاجة.

الخامسة: أنه صرَّح لهم بأنهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

السادسة: أن الجد يسمى أبا، كما ذكر ابن عباس، واحتج بالآية على زيد بن ثابت^(١).

السابعة: قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَن نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يوسف: ٢٨ قيل معناه: إن الله عصمنا. وهذه الفائدة من أكبر الفوائد وأنفعها لمن عقلها، والجهل بها أضر الأشياء وأخطرها.

الثامنة: قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ يوسف: ٣٨ عام كل ما سوى الله. وهذه المسألة هي التي غلط فيها أذكياء العالم وعقلاء بني آدم، قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُسْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ الشورى: ١٣.

النinth: ذكر سبب معرفتهم بالمسألة وعلمهم بها وثبتاتهم عليها؛ وهو مجرد فضل الله فقط عليهم.

العاشرة: أن فضله سبحانه ليس مخصوصاً بنا، بل عام للناس كلهم، لكن منهم من قبله، ومنهم من رده، وذلك أنه أعطى الفطر ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب.

الحادية عشرة: إزالة الشبهة عن المسألة التي هي أكبر الشبهة، وذلك أن الله إذا تفضل بهذا كله خصوصاً البيان، فما بال الأكثر لم يفهم ولم يتبع. فما أكثر الجاهلين بهذا وما أكثر الشاكين فيه! فقد ذكر تعالى أن السبب أن جمهور الناس لم يشكروا، فأما من عرف النعم فلم يلتفت إليها، فلا إشكال

(١) في ميراث الجد.

فيه، وأما من لم يعرف فذلك لإعراضه، ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه فلم يشك.

الثانية عشرة: دعوته إياهما عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى التوحيد في تلك الحال، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله، فدعاهما أولاً بالعقل، ثم بالنقل: وهي الثالثة عشرة.

الرابعة عشرة: قوله: ﴿أَرَيَابُ مُتَفَرِّقُوكَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾
يوسف: ٣٩ فهذه حجة عقلية شرحها في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا
فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾الزمن: ٣٩ الآية.

الخامسة عشرة: أن الذي في الجانب الآخر هو الذي جبت القلوب وأقرت الفطر أنه ليس له كفو.

ال السادسة عشرة: أنه هو القهار مع كونه واحداً، وما سواه لا يخصيهم إلا هو فهذه قوله؛ وهذا عجزهم. فكيف يعدل به واحد منهم، أو عشرة أو مائة؟

السابعة عشرة: بيان بطلان ما عبدوا من دونه، بأنها أسماء لا حقيقة لها.

الثامنة عشرة: التنبية على بطلانها بكونها بدعة ابتدعها من قبلكم فتبعدتموهن.

التاسعة عشرة: بيان الواجب على العبد في الأديان السؤال عما أمر الله به، ونهى عنه، وهو السلطان المنزلي من السماء، لا يعبد بالظن وما تهوى الأنفس.

العشرون: القاعدة الكلية التي تفرع عنها تلك الجزئية، وهي أن أحكام الدنيا إلى الله لا إلى آراء الرجال كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَخْنَلْفُتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴿١٠﴾
الشوري: ١٠.

الحادية والعشرون: إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما تهوى الأنفس، فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة، عليه ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء.

الثانية والعشرون: أن هذه المسألة هي الدين القيم وكل ما خالفها أو ليس منها فليس بقيم بل أعوج؛ فعلامة الحق أن العقول السليمة تعرف اعوجاجه بالفطرة؛ ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء بتحقيق هذا والإلزام به، وتبطيل ذلك وتغليظ الوعيد عليه.

الثالثة والعشرون: المسألة الكبيرة العظيمة التي لو تجعلها نصب عينيك ليلاً ونهاراً لم يكن كثيراً، وأيضاً تبين لك كثيراً من المسائل التي أشكلت على الناس، وهي أن الله بين لنا بياناً واضحاً أن الأكثر والجمهور الذين يضيقون الديار ويغلون الأسعار من أهل الكتاب والأميين لا يعلمون هذه المسألة، مع إيضاحها بالعقل والنقل والفطرة، والآيات النفسية والأفقية.

الرابعة والعشرون: أنه ينبغي للعالم إذا سأله العami عما لا يحتاج إليه أو سأله عما غيره أهم منه، أن يفتح له باباً إلى المهم.

(١) هذا ما ورد في المخطوطة ٥١٦-٨٦، وفي س أحکام الدين.

الخامسة والعشرون: أنك لا تحرر عن التعليم من تظنه أبعد الناس عنه، ولا تستبعد فضل الله، فإن الرجلين من خدام الملوك الكفرة، بخلاف من يقول: ليس هذا بأهل للعلم، بل تعليمه إضاعة للعلم.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَصَبِّجِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ

٤١ ﴿تَسْقِيَانٌ﴾  يوسف: ٤١

سبق ما في هذا من المسائل، لكن فيه ما لم يذكر:

منها أن المفتي يجوز له أو يستحب أن يفتي السائل بما لا يحتاج إليه.

ومنها أنه يجب السائل بما يسوؤه إذا كانت الحال تقتضيه.

ومنها تأكيد الفتيا بما يسوء بما ذكر من قضاء الله^(١) على ذلك.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسِنِهُ

﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضُعَ سِنِينَ﴾  يوسف: ٤٢

يعني قال يوسف للساقي الذي ظن نجاته، قيل: الظن هنا هو اليقين، قوله:

﴿أَذْكُرْ فِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾  يوسف: ٤٣ أي الملك. **﴿فَأَنْسِنِهُ الشَّيْطَانُ﴾**  يوسف: ٤٣

يوسف ذكر الله؛ والبعض ما بين الثلاث إلى التسع.

^(١) في ٥١٦ - ٨٦ " من قضاء الله عليك ذلك.

فیہ مسائل:

الأولى: أن الرب كما يطلق على المالك يطلق على المخدوم.

الثانية: أن مثل هذا مما يعاقب به الأنبياء، مع كونه جائزًا لغيرهم.

الثالثة: أن المقرب قد يأخذ بما لا يؤخذ به من دونه.

الرابعة: أن الشيطان قد يتوصّل إلى الأنبياء بمثل هذا.

الخامسة: أن ترك هذا القول والاستغناء بالله من التوكل.

السادسة: أن من المقامات ما يحسن من شخص، ويلام في تركه ويزم من شخص آخر، كما نهى رسول الله ﷺ من أراد الاقتداء به في الوصال وقال: "إني لست كهيئةكم" ^(١) ^(٢).

السابعة: أن هذا من أبين أدلة التوحيد لمن عرف أسباب الشرك بالمقربين، وهو أبلغ من قوله ﷺ: "يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً" ^(٣) وتمامها بمعرفة الشامنة:

(١) البخاري: الصوم (١٩٢٢)، ومسلم: الصيام (١١٠٦)، وأبو داود: الصوم (٢٣٦٠)، وأحمد (٤٢١)، ومالك: الصيام (٦٧٠)، وابن ماجه: الصيام (١٥٣٢).

(٤) الحديث رواه البخاري (في كتاب الصوم) ومسلم (كتاب الصيام) والترمذى (صيام) والدارمى (صيام)، كما رواه أَحْمَد في مسنده

ج٢ ص ٤٣. وفي الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الوصال في الصوم وقال: "لست كهيئةكم". يطعنني ربي ويسقيني.

الثامنة: وهي أن الله عاقبه باللbeit في السجن هذه المدة الطويلة، مع أن لبث الإنسان فيه سنة واحدة من العذاب الأليم، فكيف بشاب ابن نعمة.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٌ
وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَآخَرَ يَأْسَتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُيْنِي إِنْ كُنْتُمْ
لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾٤٣﴾ قَالُوا أَضْعَفْتُ أَحَلَّمِي وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحَلَّمِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ
الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونَ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيَّهَا
الصِّدِيقُ أَفْتَنَا فِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَآخَرَ يَأْسَتٍ لَعَلَّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لِعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ
دَابِّاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلَةٍ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ
شِدَادٍ يَا كُلُّ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ
النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِّرُونَ ﴿٤٩﴾

فيه مسائل:

الأولى: تسمية الله ذلك الرجل بالملك.

الثانية: أن الذي سأله عنه هو البقر والسنابل.

الثالثة: أنه استفتى الملأ وهم الأشراف، ولكن بشرط إن كان عندهم علم.

الرابعة: جوابهم بقولهم: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ يوسف: ٤٤ يدل على أن ما يراه النائم فيه رؤيا حق؛ وفيه أضغاث أحلام باطلة، وقد صح بذلك الحديث عن النبي (ص) النبي: ١٠:

الخامسة: إقرارهم بعدم العلم بالتعبير، ولم يأنفوا مع أنهم الملأ.

السادسة: كلام الساقي وحذقه، كونه قطع أنها رؤيا، وأن عند يوسف تعبيرها.

السابعة: قوله: ﴿وَأَدَّكَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يوسف: ٥ أي: دهر. فيه أن الدهر يسمى أمة.

الثامنة: أنه لم يذهب مع تتحققه ما طلب الملك إلا بعد الاستئذان.

الحادية عشرة: قوله: ﴿يُوسُفُ أَيَّهَا الصِّدِيقُ﴾ يوسف: ٦ يدل على أنه يعرف معنى الصديقية؛ وأنه عرف اتصاف يوسف بذلك.

العاشرة: أنه ذكر ليوسف العلة، وهي علم الناس بما أشكل عليهم.

الحادية عشرة: أنه عبر البقر السمان بالسنين المخصبة، والبقر العجاف بالسنين المجدبة، وأكلها السمان كون غلة السنين المخصبة يأكلها الناس في السنين المجدبة، وكذلك السنابل الخضر والليابسات قيل: إنه رأى سبع

(١) روى البخاري عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: الرؤيا ثلاثة: منها تهاريل من الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراها في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ورواه مسلم عن ابن عمر وعن أبي هريرة، ورواه الدارمي في كتاب الرؤيا، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٩٥.

سنابل خضر قد انعقد حبها، وسبعاً آخر يابسات قد استحصدت، فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غبن عليهم.

الثانية عشرة: أنه أجاب السائل بأكثر مما سأله عنه، خلافاً لمن جعل هذا
من عدم الأدب.

الثالثة عشرة: كرمه وطيب أخلاقه عليه السلام، كما قال بعض السلف: لو
كنت المسؤول ما أجبتهم إلا بكندا وكذا.

الرابعة عشرة: معرفته عليه السلام بأمور الدنيا، وأن الحب إذا كان في سنبلة
لم تأته الآفة ولو لبست سنين.

الخامسة عشرة: أنه أمرهم بتدبير المعيشة لأجل السنين الجدب، ولا
يأكلون إلا قليلاً.

السادسة عشرة: أنه فهم من الرؤيا أن الخصب يأتي بعد سبع سنين.

السابعة عشرة: ادخار الطعام للحاجة، وأنه لا يصير من الاحتقار المذموم،
وكان يدخل لأهله قوت سنة^(١).

(١) صحيح البخاري (كتاب النفقات) النسائي (فيء).

الثامنة عشرة: النصيحة ولو لغير المسلمين، كما قال ﷺ: "في كل كبد رطبة أجر" (١) وأما المسلم فنصحه من الفرائض.

التاسعة عشرة: أن الرؤيا الصحيحة قد تكون من كافر، كما استدل بها البخاري في صحيحه.

العشرون: الفرق بين الحلم والرؤيا، مما قال ﷺ: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان" (٢).

الحادية والعشرون: التعبير عن الماضي بالمضارع، والعجاف ضد السمان، والملاك كبار القوم ورؤساؤهم، و (أَضْغَتُ أَحْلَمِي) يوسف: ٤٤ أخلاط وأباطيل (وَادَّكَرَ) يوسف: ٤٥ تذكر شأن يوسف، (دَأَبَا) يوسف: ٤٧ متواالية، (تُخْصِنُونَ) يوسف: ٤٨ تخزنون، (يَعْصِرُونَ) يوسف: ٤٩ قيل من العنبر عصيرا، ومن الزيتون زيتا، ومن السمسم دهنا، للخصب الذي أتاهم.

(٥٠) (وَقَالَ الْمَلِكُ أَنْتُوْنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بِالنِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي يَكْيِدُهُنَّ عَلِيمٌ

(١) البخاري: المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم: السلام (٤٤٤٤)، وأبو داود: الجهاد (٢٥٥٠)، وأحمد (٢٣٧٥/٢، ٥١٧/٢، ٥٢١/٢)، ومالك: الجامع (١٧٢٩).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعا، وفي رواية (كل ذات كبد رطبة أجر).

(٣) البخاري: بدء الخلق (٣٢٩٦)، ومسلم: الرؤيا (٢٢٦١)، والترمذى: الرؤيا (٢٢٧٧)، وأبو داود: الأدب (٥٠٢١)، وابن ماجه: تعبير الرؤيا (٣٩٠٩)، وأحمد (٣٩٦/٥، ٣٠٥/٥، ٣٠٤/٥، ٣٠٣/٥، ٣٠٠/٥)، والدارمى: الرؤيا (٢١٤٢، ٢١٤١).

يُوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ أَكَنْ
 حَصَحَ حَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنِ الصَّدِيقَينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ
 بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَايِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ
 بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَاجَمَ رَأَيَ إِنَّ رَبَّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ يوسف: ٥٠ - ٥٣

فيه مسائل:

الأولى: أمر الملك بالإتيان به ليأخذ عنه مشافهة، وكذلك يفعل العقلاء والسفهاء في الأمر الذي يهتمون به.

الثانية: أن طلب العلم الذي يزحزح عن النار ويدخل الجنة أحق بالحرص من جميع المهام.

الثالثة: هذا الأمر العظيم الذي لم يسمح بمثله، ولهذا قال ﷺ: "لو لبست في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي".^(١)

الرابعة: قوله: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ يوسف: ٥٠.

الخامسة: قوله: ﴿النِّسْوَة﴾ يوسف: ٥٠ قيل: لم يفرد امرأة العزيز، أدباً وحفظاً لحق الصحبة.

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٦٩٤)، ومسلم: الإيمان (١٥١)، وأبي ماجه: الفتن (٤٠٤٦)، وأحمد (٣٢٦/٢).

(٢) رواه البخاري (في كتاب التعبير وكتاب التفسير)، ومسلم (إيمان) والترمذى (تفسير) كما رواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٢٦.

السادسة: قوله في هذا الموطن: ﴿إِنَّ رَبِّيْ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيْمٌ﴾ ^{يوسف: ٥٠}.

السابعة: قوله ^(١): ﴿حَشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ ^{يوسف: ٥١} فيه رد بعض الأقوال التي قيلت في الهم.

الثامنة: قوله ^(٢): ﴿أَلَنْ حَصَحَ الْحَقُّ أَنَّا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ ^{يوسف: ٥١}.

النinth: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ﴾ ^{يوسف: ٥٢} هذا علة لما جرى، سواء كان رد الرسول أو إقرارها؛ فإن كان الأول فالضمير للعزيز زوج المرأة، وإن كان الثاني فالضمير ليوسف.

العاشرة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية وهي: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ^{يوسف: ٥٣} أي: لا يرشد كيد من خان أمانته قيل: يفتضح في العاقبة.

الحادية عشرة: قوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ ^{يوسف: ٥٤} : ما أجلها من مسألة، وما أصعب فهمها! سواء كان هذا من كلام امرأة العزيز أو من كلام يوسف عليه السلام.

الثانية عشرة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية، وهي أن هذا حال النفس.

(١) في س: "قولهن".

(٢) في س: "قولها".

الثالثة عشرة: الاستثناء من ذلك وهو من رحمة الله، فأجاره من شر نفسه،
كذلك ما أجلها من مسألة لمن فهمها!.

الرابعة عشرة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية، وهي ﴿إِنَّ رَبِّيَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوسف: ٥٣. قوله: ﴿فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ يوسف: ٥٠ قيل معناه:
اسأله أن يكشف عن الخبر حتى يعلم الحقيقة، وفيه المسألة:

الخامسة عشرة: وهي حرص المخلص لله على براءة عرضه عند الناس، وإن
ذلك لا ينافي الإخلاص، بل قد يكون واجباً، ولم يعتد عليه في هذا
كما عتب عليه في قوله: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يوسف: ٤٢. قيل: إن
(ما) في هذا الموضع بمعنى عن قوله: ﴿مَا بَالُ﴾ يوسف: ٥٠ : ما شأن النسوة.
﴿مَا خَطَبُكُنَّ﴾ يوسف: ٥١ : ما أمركن وقصتكن. قوله: ﴿حَصَّصَ الْحَقُّ﴾
يُوسُفٌ يوسف: ٥١ : ظهر وتبين ﴿أَتَنَ﴾ يوسف: ٥١ أي: هذا الوقت.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْصِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا
مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف: ٥٤ ٥٥ - ٥٤ ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾ يوسف: ٥٥

فيه مسائل:

الأولى: ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ يوسف: ٤٤ أي: أجعله خالصاً لنفسي دون غيري

يقال: (الرفيق قبل الطريق)، وكما قال: "لينظر أحدكم من يخالف"^(١).

الثانية: وهي أعجب، قوله: ﴿فَلَمَّا كَلَمَهُ﴾ يوسف: ٥٥ وبيانه: لما دخل بعض العلماء على بعض الملوك، وكان دمياً، فضحك الملك من دمامته، فذكر له هذه الآية واستحسن الملك جوابه، ومعنى هذا أن الملك لم يتمكن من قلبه لما رأى جمال صورته، بل لأجل علمه الذي تبين له لما كلمه.

الثالثة: قوله: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ يوسف: ٤٤ أي: عندنا ﴿مَكِينٌ﴾ يوسف: ٤٤

أي: مكتنك من ملكي تصرف فيه، ﴿أَمِينٌ﴾ يوسف: ٤٤ أي: عرفت صحة أمانتك فأمنتك على ما تحت يدي، وهذا معنى قول أبي العباس: الولاية لها ركنان: القوة، والأمانة في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ بَطْ خَيْرًا مِنِ اسْتَجَرَتْ الْقَوْىٰ الْأَمِينُ﴾ القصص: ٦٦.

الرابعة: قوله: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ يوسف: ٥٥ ، هذا فيه طلب الولاية كما قال عمر بن الخطاب لبعض الصحابة لما عرض عليه ولاية فأبى فقال: "طلبها من هو خير منك يعني يوسف^(٢) عَلَيْهِ السَّلَامُ" ، ولا يخالف هذا

(١) الترمذى: الزهد (٢٣٧٨) ، وأبو داود: الأدب (٤٨٣٣) ، وأحمد (٣٣٤/٢، ٣٠٣/٢) .

(٢) الصحابي هو أبو هريرة رض ، وقد دعاه عمر لولاية فأبى، فقال له عمر: لقد طلب العمل من كان خيراً منك. قال أبو هريرة: إنه يوسف نبى الله ابن نبى الله، وأنا أبو هريرة ابن أميمة. راجع: الإصابة لابن حجر ج٤ ص٥١٠ .

ما ورد من النهي عن طلب الإمارة لأن هذا في غير شدة الحاجة، كما أن خالدا لما أخذ الرأية يوم مؤتة^(١) من غير إمرة مدح على ذلك.

الخامسة: قوله: ﴿إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمٌ﴾  **يوسف:** ^{٥٥} فليس هذا مما نهي عنه

من تزكية النفس، بل يذكر الإنسان ما فيه من الفضائل عند الحاجة إذا لم يقصد التزكية، كما ورد عن جماعة من الصحابة. قوله: ﴿خَرَّأْتُنَّ الْأَرْضَ﴾ 

يوسف: ^{٥٥} أي: أرض مصر. قوله: ﴿إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمٌ﴾ **يوسف:** ^{٥٥} أي: أحفظ ما وليتني عليه،  **يوسف:** ^{٥٦} بأمره وحسابه واستخراجه.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَرَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ثُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾  **يوسف:** ^{٥٦} **٥٦**

يوسف: ^{٥٧}  ٥٧ - ٥٦

فيه مسائل:

الأولى: قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ **يوسف:** ^{٥٦} ، قيل معنى ذلك: كما أنعمنا عليه بنعم الدين أنعمنا عليه بنعم الدنيا.

الثانية: أن ذلك تمكينه في أرض مصر، يحمل وينزل منها ما أراد بعد ذلك الحبس والضيق.

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٣٥.

الثالثة: تسمية الله سبحانه ذلك رحمة في قوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ يوسف: ٥٦ ، وهذه من أشكال المسائل على أكثر الناس: بعضهم يظن أن هذا كله نقص أو مذموم، وأن التجرد من المال مطلقاً هو الصواب، وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضى الله وكلاهما على غير الصواب، وذلك أن من أنعم الله عليه بولالية أو مال فجعلها طريقاً إلى طاعة الله فهو مدوح، وهو أحد الرجلين اللذين ^(١)يغبطهما المؤمن، وإن كان غير هذا فلا.

الرابعة: أن هذه الأمور وإن جلت وصارت أعلى المراتب وأصعبها طريقة، فتحصيلها مردود إلى محض المشيئة لا إلى الأسباب.

الخامسة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية وهي: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ الكهف: ٣٠.

ال السادسة: أن من عدم إضاعته أنه يعدل في الدنيا بعضه لمن أراد الله كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ التحل: ٣٠.

السابعة: الأجر الثاني لمن أحسن خير من ملك يوسف وسليمان بن داود.

الثامنة: قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يونس: ٦٣ ، فالإيمان يدخل فيه الدين كله، وأيضاً يدخل كله في التقوى، وأما إذا فرق

^(١) إشارة إلى حديث لا حسد إلا في اثنين. رواه الشیخان والترمذی وابن ماجة وأحمد عن ابن عمر.

^(٢) فيه إشارة أيضاً إلى قوله تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) سورة الكهف الآية: ٣٠.

بينهما هنا، فالإيمان بالأمور الباطنة والتقوى بالأمور الظاهرة. وإذا قلت: الإيمان فعل الواجبات، والتقوى ترك المحرمات، فقد أصبت.

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةً يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾^{٥٨}
 جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتَنُوْفِي بِأَخَّ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرٌ
 الْمُنْزَلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرَوْدٌ
 عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَعِلُونَ ﴿٦١﴾ يوسف: ٥٨ - ٦١

قيل: لما اطمأن يوسف في ملكه ومضت السنون المخصبة، ودخلت السنون المجدبة، وأصاب الشام من القحط ما أصاب غيرهم، فأرسل يعقوب بنيه إلى مصر وأمسك بنيامين عنده ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ ﴾^{٥٨} يوسف: .

قيل: كان بين دخولهم عليه وإلقائه في الجب أربعون سنة، فلذلك لم يعرفوه؛ فقال: أخبروني ما أمركم؟ فقالوا: نحن قوم من أرض كنعان جئنا نمتار طعاما قال: كم أنتم؟ قالوا عشرة قال: أخبروني خبركم قالوا: إنا إخوة بنو رجل صديق، وإننا كنا اثني عشر، فذهب أخ لنا منا في البرية فهلك فيها، وكان أحب إلى أبيينا منا. فقال: فإلى من يسكن أبوكم بعده؟ قالوا: أخ لنا أصغر منه، فلذلك قوله: ﴿ وَلَمَّا
 جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ﴾^{٥٩} يوسف: يقال: جهزت القوم إذا هيات لهم جهاز السفر. وحمل كل رجل منهم بغيرا وقال: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴾^{٥٩} يوسف:
 المضيفين، قيل: إنه أحسن ضيافتهم، ثم أوعدهم على ترك الإتيان بالأخ فقال:
 ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونِ ﴾^{٦٠} يوسف: . وقوله

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يوسف: ٦٣. والرحل كل ما يعد للرحيل من وعاء المتع، ومركب للبعير، وحلس وغير ذلك، قيل: مراده أنهم يعرفون كرمه فيحملهم على العود، وقيل خاف أن لا يكون عندهم ما يرجعون به.

فيه مسائل:

الأولى: كون القحط عم البلاد لم يكن على مصر خاصة.

الثانية: إنكارهم إياه ومعرفته لهم.

الثالثة: حيلته في التوصل إلى إثبات أخيه.

الرابعة: كونه ما فعل معهم حثهم على الإتيان به.

الخامسة: أن هذا ليس من تركية النفس المذموم. قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِفَتَيْتِنِيهِ أَجْعَلُوكُمْ بِضَعْفِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَنْقَلَبُوكُمْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يوسف: ٦٤ الآية.

السادسة: أن هذا ليس من المحن والأذى المذموم.

السابعة: أن قوله: ﴿ فَلَا كَيْنَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ يوسف: ٦٥ ليس من منع المضر المذموم.

الثامنة: ما صنع الله له من إذلاهم بين يديه، وذلك أنهم وعدوه أنهم يراودون أباهم، وأكدوا ذلك له بالعزم على الفعل.

الحادية عشر: أمره الفتى بجعل بضاعتهم في رحالم، والحكمة في ذلك أنهم إذا
رجعوا إلى أهلهم وفتحوا المخازن ووجدوها ردت إليهم، رجعوا.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَأْبَاكُمْ مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسَلَ مَعَنَّا
أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾٦٣ ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ
عَلَيْهِ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظَا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾٦٤ ﴿يوسف: ٦٣ - ٦٤﴾

فيه مسائل:

الأولى: أنهم وفوا ليوسف بما وعدوه.

الثانية: أنهم ذكروا لأبيهم ما يقتضي الإجابة، وهو منع الكيل.

الثالثة: أن هذا مما يدل على أنهم لا غناه لهم عن التردد إلى الميرة.

الرابعة: أنهم وعدوه حفظه وأكدوه، بأن، واللام.

الخامسة: جوابه عليه السلام لهم فيدل على قوله: "لا يُلدغ المؤمن من جحر
مرتين" ^(١) _(٢).

السادسة: أن من أساء فعله ساء الظن فيه، ولو لم يكن كذلك.

(١) البخاري: الأدب (٦١٣٣) ، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٩٨) ، وأبو داود: الأدب (٤٨٦٢) ، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٢) ، وأحمد

(٢) والداري: الرقاق (٢٧٨١) .

(٣) رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً، وراجع في سبب قوله: سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٦.

السابعة: أنهم لما ذكروا له أنهم يحفظونه وأكدوا، أجابهم بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ حَفَظًا﴾

حَفَظًا ^بيوسف: ٦٤ .

الثامنة: أنه أجابهم أيضاً بكون الله أرحم الراحمين.

الحادية: ذكرك للمنوع سبب منعك إياه.

العاشرة: أنه فعلكم كقوله: ﴿قُلْنَا أَنَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾

آل عمران: ١٦٥ .

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتِهِمْ رُدَدَتِ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَأَبَانَا مَا
بَغَىٰ هَذِهِ بِضَعَتِنَا رُدَدَتِ إِلَيْنَا﴾ ^بيوسف: ٦٥ إلى قوله: ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

يوسف: ٦٦ .

فيه مسائل:

الأولى: استعطاف الممتنع بالحصول التي توجب إجابته.

الثانية: أنهم لم يعلموا أنها ردت إليهم حق وصلوا إلى أهلهم وفتحوا المنابع.

الثالثة: ذكرهم له حاجة الضعفاء والذرية إلى الكيل.

الرابعة: أنهم يزدادون حملاً آخر على ما أتوا به.

الخامسة: ذكرهم الثناء على يوسف بأن الحمل عليه يسير لكرمه مع شدة حاجتنا إليه وغلاء ثمنه.

ال السادسة: أنه عَيْنَهُ السَّلَامُ لما ذكروا له ذلك رجع عن رأيه الأول، ورأى إجابتهم.

السابعة: أنه شرط عليهم هذا الشرط الشقيل.

الثامنة: أنهم أعطوه إياه على ثقله.

التاسعة: أنهم لما أتواه الموثق، وعظهم وأكده عليهم بقوله: ﴿أَللّٰهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾

وِكِيلٌ ﴿يوسف: ٦٦﴾

العاشرة: أن هذا يدل على أنهم في جوع وضراء عظيمة، وهم أكرم أهل الأرض على الله، وابتلاهم بذلك لا هوانهم عليه.

﴿وَقَالَ يَسَّرِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةً﴾ ﴿يوسف: ٦٧﴾

إلى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يوسف: ٦٨﴾

فيه مسائل:

الأولى: خوفه عليهم من العين.

الثانية: أمره لهم بالسبب الذي يمنع، ونهيهم عما قد يكون سبباً لوقوعها.

الثالثة: أنه مع فعل السبب تبرأ من الالتفات إليه.

الرابعة: أنه دلهم على عدم الالتفات إلى التهمة.

الخامسة: أنه دلهم على التوكل على الله.

ال السادسة: أنه أخبرهم أنه توكل عليه وحده لا شريك له، لا على علمه وفطنته، ولا على السبب الذي أمرهم به.

السابعة: أنه أخبرهم أن توكل المتكلمين كلهم على الله، فمن توكل على غيره فليس منهم.

الثامنة: خبره تعالى أنهم قبلوا وصية أبيهم وعملوا بها، فتفرقوا على الأبواب لما أردوا دخول البلد.

النinth: أن ذلك لا يغنى عنهم شيئاً من الله لو يريد بهم شيئاً.

العاشرة: الاستثناء وهو أن ذلك التعليم من الرجل الحكيم المصيب وقبول المتصوح وعمله بالنصيحة التي هي سبب لواراد الله أن العين تصيبهم أصابتهم، ولو تفرقوا على الأبواب، حضا للعباد على الاعتماد عليه لا على الأسباب.

الحادية عشرة: ثناؤه على يعقوب بأنه ﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلِمَنَهُ﴾ يوسف: ٦٨ ، قيل معناه: عامل بما علمه^(١) ، وهو يدل على أن العلم الذي لا يثمر العمل لا يسمى علمًا.

الثانية عشرة: ذكره أن ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٦٨ .

^(١) في س (علم).

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِوْيَسْ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ يوسف: ٦٩

قيل: إنه قال لهم: يصير كل اثنين جمِيعاً، فبقي أخوه وحده، فآواه إليه، فقال

له: ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾ يوسف: ٦٩

قيل: أنه أخبره الخبر، وقيل: المراد أخوة المحبة. قوله: ﴿ مَا بَغَى ﴾ يوسف: ٦٥

قيل: أي شيء نريد وقد ردت بضاعتنا. { وَنَمِيرُ أَهْلَنَا } يوسف: ٥٥ أي: نأتي لهم بالطعام؛ يقال: مار أهله إذا أتاهم بطعام.

قوله: ﴿ إِلَّا أَن يُحَاطِبُكُمْ ﴾ يوسف: ٦٦ أي: يأتيكم أمر يهلككم لكم.

﴿ فَلَمَّا جَهَزَهُمْ بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ يوسف: ٧٠

قوله: ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ يوسف: ٧٥

فيه مسائل:

الأولى: كونه عليه السلام احتال بهذه الحيلة، ولا حجة في هذا لأهل الحيل الربوية، لأن ذلك مما أذن الله فيه ليوسف عليه السلام، وإلا لو يفعل ذلك الآن رجل مع أخيه وإخوته حرم إجماعاً.

الثانية: قوله: ﴿ ثُمَّ أَذَنَ مُؤْذِنٌ ﴾ يوسف: ٧٠ المنادي بصوت رفيع يسمى مؤذناً،

قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ يوسف: ٧٠ قيل: فيه جواز المعارض إن أراد بذلك أنهم سرقوا من أخيه، فإنه لم يقل سرقتكم الصواع.

الثالثة: قوله: ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ يوسف: ٧٢ فيه جواز بذل الأجرة
لمن جاء بالسرقة.

الرابعة: قوله: ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ يوسف: ٧٣ استدل به على صحة
الضمان ولزومه، وهي الرابعة.

الخامسة: قوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عِلْمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف: ٧٣
فيه جواز الحلف على مثل هذا مع أن العلم في القلب، لكن بعض ما في
القلب يعرف بالقرائن، أي ما جئنا بهذا، وما هذا بفعلنا، وما يصلح منا،
ولسنا أهلا له.

السادسة: أن السرقة ونحوها من الفساد في الأرض. قوله: ﴿فَمَا جَرَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ كَانِدِينَ﴾ يوسف: ٧٤ قيل: كان في شرعهم استعباد السارق هو
 لهم كالقطع في شرعنا، فلهذا قالوا ﴿جَرَوْهُ مَنْ وُحِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ﴾ يوسف: ٧٥.

السابعة: بداعته بأوعيتم إبعادا عن تهمته، وذلك من كيد الله له.

الثامنة: قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ يوسف: ٧٦ أي: حكمه على
 السارق غير ذلك، ولكن الله دبر ما جرى نصرة ليوسف، لأنهم ظلموا،
 فكاد له كما كادوا أباهم.

الحادية عشرة: قوله: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءُ اللَّهُ﴾ يوسف: ٧٦ أي: ما جرى على ألسنتهم من ذلك القول الذي حكموا به على أنفسهم، فأخذه بفتياهم، وذلك من مشيئة الله.

العاشرة: كونه سبحانه فاوت بين عباده تفاوتاً عظيماً، حتى الأنبياء، ورفع بعضهم فوق بعضهم درجات.

الحادية عشرة: التنبية على أن ذلك لا يكون إلا بمشيئة الله.

الثانية عشرة: إن رفع الدرجات الذي ينافس فيه هو رفعها بالعلم.

الثالثة عشرة: أنه ذكر أن كل عالم فوقه أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله سبحانه.

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِن قَبْلٍ فَأَسْرَرَهَا يُوسُفُ فِي نَقْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّلْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ ٧٧ يوسف: ٧٧

فيه مسائل:

الأولى: إبطال قياس الشبه.

الثانية: أن تعير غيرك بذنب قد فعلت أكبر منه غير صواب، كما في قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة: ٢١٧ الآية.

الثالثة: كون المظلوم المرمي بشيء خفي يتعزى بعلم الله تعالى.

﴿ قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَيْرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ يوسف: ٧٨

إلى قوله: ﴿ إِنَّا إِذَا لَظَلَمْوْنَا ﴾ يوسف: ٧٩

فيه مسائل:

الأولى: بيان مبالغتهم في حفظ أخيهم.

الثانية: جواب يوسف يدل على أن السرقة تثبت بوجود المسروق عند الرجل.

الثالثة: أن من وجب عليه الحد لو بذل غيره نفسه عنه لم يحل.

الرابعة: أن الرجل يثبت أنه ظالم بفعلة واحدة.

الخامسة: أنهم عرفوا فيه من العدل والإحسان ما فهموا أنه من المحسنين.

السادسة: استشفاعك على غيرك بما فيه من الخصال الحميدة.

السابعة: المعارض، فإنه عليه السلام لم يقل إنه سارق.

الثامنة: إبطال استدلال أهل الحيل المحرمة، فإن هذا يدل على أنه إنما أخذه برضاه أو بوجي خاص.

التاسعة: أن المظلوم يجوز له أن يعامل من ظلمه بما لا يحل أن يعامل به غيره.

العاشرة: أن هذا يدل على أن أهل مصر لم يعرفوا بعقوبة معرفة تامة.

﴿فَلَمَّا أُسْتَيْشُوْ مِنْهُ خَلَصُوا بِخَيْرٍ قَالَ كَيْرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ
أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتِيقًا مِنَ اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٠ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ﴾ يوسف: ٨٣

فيه مسائل:

الأولى: أنهم بالغوا حتى استيأسوا منه.

الثانية: ثقل الأمر عليهم كما فعل كبيرهم.

الثالثة: أنه ذكر أنه على هذه الحال إلى أن يأذن له أبوه، أو يحكم الله له، فإنه سبحانه يحكم لك أو عليك.

الرابعة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية، وهي معرفة أن الله خير الحاكمين.

الخامسة: الشهادة على الرجل بالسرقة إذا وجد المسروق عنده.

السادسة: أن هذه شهادة بعلم، مع كونهم ما علموا إلا القرينة.

السابعة: الاعتذار بعدم علم الغيب.

الثامنة: الرجوع إلى الجيران وأهل الخبرة في الأمور الخفية.

التاسعة: تسميته المدينة قرية.

العاشرة: اتهام المتهمين، كما ذكر النعمان بن بشير.

الحادية عشرة: التعزي بالعزم على الصبر الجميل عند توالي المصائب.

الثانية عشرة: الرجوع إلى الله في تفريج الكرب.

الثالثة عشرة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية، وهي قوله: ﴿إِنَّهُ﴾

﴿هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ 
يوسف: ٨٣.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْأَسَفَنِي عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ 
إلى قوله:  يوسف: ٨٤.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ 
يوسف: ٨٦.

فيه مسائل.

الأولى: التولي عن مثل هؤلاء كما قال:  ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حَيَنِ﴾

الصفات: ١٧٤.

الثانية: قوله  يَكْأَسَفَنِي عَلَىٰ يُوسُفَ  ، أن الكلام إذا لم يكن فيه جزع لم يناف الشكوى.

الثالثة: ذكر الله تعالى كبر مصيبيه أنه ابكيت عيناه من البكاء، وابتلي بسنين كثيرة.

الرابعة: العبرة فيما ذكر كما قال الحسن: لقد ابتلي بهذه المدة الطويلة؛ وإنه لأكرم أهل الأرض على الله.

الخامسة: تسمية البكاء حزنا لأنه نشا عنه.

ال السادسة: وصفه بأنه كظيم أي أنه كاظم لحرارة المصيبة لا يشكو.

السابعة: معايبتهم له على الحزن مع مصيبة طال العهد بها.

الثامنة: جوابه لهم عليه السلام، وهو يدل على أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، بل هي مدحودة كما ذكر عن أいوب.

النinth: إخبار الرجل بنيته الصالحة إذا احتاج أو انتفع السامع، ولا محذور في ذلك.

العاشرة: قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنِّي اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٨٦. كيف صار هذا جوابا لهم.

الحادية عشرة: قيل معناه: أعلم من صفات الله ورحمته ولطفه ما لا تعلمون، وقيل: إن يوسف لم يمت.

الثانية عشرة: أن هذا في مثل هذا المقام ليس من الفخر، قال النبي ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" (١).

﴿يَبْيَنَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ يوسف: ٨٧ الآية.

(١) مسلم: الفضائل (٢٤٧٨)، وأحمد (٥٤٠/٢).

(٢) الحديث رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة، وهو عند أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبي سعيد في حديث بزيادة. ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر. راجع: كشف الخفاء ج ١ ص ٤٠٣.

فيه مسائل:

الأولى: أمره لهم بالتحسّن عن يوسف مع استبعادهم ذلك، والتحسّن البحث والطلب.

الثانية: نهيهم عن اليأس من روح الله.

الثالثة: وهي العظيمة: أنه قد يقع اليأس من روح الله في مثل هذه القضية.

الرابعة: إخباره بقدر هذا الذنب بأنه لا يصدر من مسلم، بل لا يكون إلا من كافر، وروح الله رحمة الله.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْبِيَاهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الصُّرُّ﴾ يوسف: ٨٨ إلى قوله:
﴿وَأَتُؤْفِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣.

فيه مسائل:

الأولى: قولهم ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الصُّرُّ﴾ يوسف: ٨٨ ، أن الإخبار بالحال من غير شكوى لا يذم.

الثانية: ما ابتنى الله به أهل هذا البيت من الجوع المضر، وهم أكرم أهل الأرض على الله.

الثالثة: ذكرهم قدر السلعة التي معهم أنها ناقصة ردية، وليس هذا من ازدراء النعمة المذموم.

الرابعة: سؤالهم عند الحاجة فيدل على أن مثل هذه الحال لا يذم.

الخامسة: سؤالهم الصدقة فيدل على أنها غير محرمة عليهم.

السادسة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية وهي السابعة: ﴿إِنَّ

اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨

الثامنة: قوله: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ﴾ يوسف: ٨٩ الآية، يدل على أن مثل هذا التقرير ليس بمدحوم.

الحادية عشرة: أنه عَلَيْهِ السَّلَام ذكر في التقرير ما يهون عليهم.

العاشرة: استثناتهم أنه يوسف مع رؤيتهم له، وذلك لاستبعادهم ذلك.

الحادية عشرة: قوله: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ يوسف: ٩٠ يدل على أنهم فعلوا مع أخيه ما لا يحسن قوله. ﴿قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يوسف: ٩٠ إسناد النعمة إلى مسدتها في مثل هذا الموطن، وهي الثانية عشرة.

الثالثة عشرة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية، وهي قوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٩٠.

الرابعة عشرة: الجمع بين التقوى والإيمان، ومعرفة الإيمان ومعرفة الفرق بينهما.

الخامسة عشرة: أن من جمع بينهما فهو من المحسنين.

السادسة عشرة: قوله: ﴿تَأْلِهٌ لَقَدْ ءاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ ^{يوسف: ٩١} الآية
أقروا باشتئن: بفعل الله مع يوسف، وفعلهم مع أنفسهم.

السابعة عشرة: انتصار الله له هذا الانتصار العظيم.

الثامنة عشرة: إذلاله إياهم هنا الإذلال العجيب.

النinth عشرة: قوله ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ^{يوسف: ٩٩} أي لا تعير
عليكم، يعني أني عفوت، ومن عفوي أني لا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم.

العشرون: استغفاره، لهم لما غفر لهم حقه سأله لهم المغفرة.

الحادية والعشرون: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية، وهي الثانية
والعشرون.

الثالثة والعشرون: تصديق القلب بأن الله أرحم الراحمين.

الرابعة والعشرون: أن الذي خافوا منه واشتد عليهم حتى فعلوا بأبيهم
وأبيهم ما فعلوا وظنوا أنه عليهم مضره كبيرة، وهو كون يوسف أرفع منهم،
صار أكبر المصالح لهم في دنياهم وفي دينهم يبينه^(١).

الخامسة والعشرون: وهي قوله: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ ^{يوسف: ٩٣} الآية.
ذكر أنه قميص هبط به جبريل على إبراهيم حين ألقى في النار، فلما ولد
إسحاق جعله عليه، فجعله إسحاق على يعقوب، وجعله يعقوب على يوسف،

^(١) في ٥١٦ - ٨٦ "ينبه".

ونسيه إخوته لما ألقوه في الجب فأمرهم أن يذهبوا به فيلقونه على وجه
يعقوب ليترد إليه بصره.

السادسة والعشرون: ما جعله الله من الأسباب الباطنة في بعض مخلوقاته.

السابعة والعشرون: إن التبرك بذلك وإمساكه والتداوي به ليس من الشرك
كما كانوا يفعلون بآثار^(١) رسول الله ﷺ، بل ذلك حسن مطلوب.

الثامنة والعشرون: أنه أمرهم بالإتيان بأهلهم كلهم والانتقال عنده،
فأعطاهم الله هذا الخير والفرج من الشدة بسبب ارتفاعه الذي كرهوه
كراهة شديدة.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَّتِ الْعِرْ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَا يَحْدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفَنِّدُونِ ﴾
﴿ يُوسُفُ : ٩٤ إِلَى قَوْلِهِ : إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
﴿ ٩٨ ﴾

فيه مسائل:

الأولى: كونه أدرك الريح من مكان بعيد.

الثانية: أنه عرف أنه ريح يوسف، قيل إنه عرف ريح القميص، وأنه ليس
إلا مع يوسف.

(١) في س "النبي".

الثالثة: قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَفْنِدُونِ﴾  يوسف: ٩٤ والفنذ ذهاب العقل، ففيه الإخبار بما تعلم أن المخبر يكذب إذا كان في ذلك مصلحة.

الرابعة: قوله: ﴿تَعَالَى إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَالْقَدِيرِ﴾  يوسف: ٩٥ لا ينبغي لمن حدث بغريب أن يغضب إذا كذب أو شتم.

الخامسة: الآية في رد بصره عليه بسبب إلقاء القميص.

السادسة: تقريره لهم ما أنكروا من تفاصيل القاعدة الكلية.

السابعة: طلبهم الاستغفار من المظلوم.

الثامنة: عفو المظلوم، ودعاؤه من طلب ذلك منه.

النinth: الاعتراف منهم بالذنب.

العاشرة: رد المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية.

الحادية عشر: قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبُوهُه﴾  يوسف: ٩٩ إلى قوله: ﴿وَالْحِقْنِي
بِالصَّلِحَيْنَ﴾  يوسف: ١٠١.

فيه مسائل:

الأولى: أنهم لما دخلوا على يوسف آوى إليه أبوه كما آوى إليه أخيه، يدل على أنه لم يفعل ذلك بإخوته.

الثانية: قوله لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾  يوسف: ٩٩ الآية.

الثالثة: تعليقه ذلك بالمشيئه.

الرابعة: رفع أبويه على العرش.

الخامسة: سجودهم كلهم له.

السادسة: قوله لأبيه: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوفَى مِنْ قَبْلِ يُوسُفٍ﴾^{١٠٠}.

السابعة: شكر نعمة الله عليه حيث جعلها حقا.

الثامنة: شكر نعمة الله في إخراجه من السجن.

النinth: شكر نعمة الله في إتيانه بأهله من البدو.

العاشرة: شكر نعمة الله أنه بعد ما نزع الشيطان بينهم، صير الله العاقبة إلى الخير، ولم يضرهم نزع الشيطان.

الحادية عشرة: رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية وهي أن ربه تبارك وتعالى لطيف لما يشاء، فلذلك أجرى ما أجرى.

الثانية عشرة، والثالثة عشرة: رد ذلك إلى القاعدة الكلية أيضاً، وهي: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^{١٠٠} و هي الرابعة عشرة.

الخامسة عشرة: كرمه عليه السلام في قوله: ﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾^{١٠٠} ولم يقل من الجب.

السادسة عشرة: كرمه في قوله: ﴿تَنَزَّغَ﴾^{١٠٠} ولم يقل: بعد ما ظلموني.

السابعة عشرة: أن إخراج الله الآدمي من البدو نعمة تشكر؛ ففيه فضل الحاضرة على الباذية.

الثامنة عشرة: دعاؤه بهذا الدعاء، وهو في غاية نعيم الدنيا.

النinth عشرة: شكره نعمة الملك.

العشرون: شكر نعمة التعبير.

الحادية والعشرون: ثناؤه على ربه بأنه فاطر السموات والأرض.

الثانية والعشرون: إقراره لله بكونه وليه في الدنيا والآخرة.

الثالثة والعشرون: توسله بذلك كله إلى هذه الحاجة، وهي وفاته على الإسلام، وإلهاقه بالصالحين.

قوله: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكْرُونَ ﴾ ١٠٢ يوسف: ١٠٣ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٠٧ يوسف: ١٠٨

فيه مسائل:

الأولى: تنبيه الله على آية الرسالة بأن هذه القضية غيب لا يتوصل إليه الرسول إلا بالوحي، لكونه لا يقرأ أو لا يخط، ولا أخذ عن عالم.

الثانية: تقريره هذه الحجة بقوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ ١٠٦ يوسف: ١٠٥ لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي، أو بحضوره.

الثالثة: أن مكرهم خفي لحضورهم أحد لخفي عليه.

الرابعة: ذكره سبحانه حقيقة الحال أن الأكثراً لا يقبلون الحق ولو تبين لهم بالأدلة.

الخامسة: ذكر حرصه بِغَيْرِ عِلْمٍ على إيمان الناس.

السادسة: أنه لا مانع مع هذا البيان مثل سؤال الأجرا.

السابعة: أنه ذكر لهم مع شدة كراحتهم له، كما كره الإخوة ارتفاع يوسف.

الثامنة: أن الذي أتاهم من الآيات ليست هذه وحدها، بل كم وكم من آية من الآيات السماوية والأرضية يمررون عليها ويعرضون عن الانتفاع بها، وليس هذا قصوراً في البيان فإنه مشاهد، بل القلوب غير قابلة.

التاسعة: المسألة العظيمة، وهي إخباره تبارك وتعالى أن أكثر هذا الخلق لو آمن أفسد إيمانه بالشرك، فهذه فساد القوة العملية، والتي قبلها فساد القوة العلمية.

العاشرة: التنبية على الاحتراز من اجتماع الإيمان مع الشرك المفسد له، خصوصاً لما ذكر أن هذا حال الجمهور.

الحادية عشرة: احتقارهم لهذا العصيان العظيم كيف أمنوا عقوبة الدنيا، وهو يدل على جهالة من أمن ذلك.

الثانية عشرة: كيف أمنوا أن تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون.

(قُلْ هَنْدِهِ سَيِّلِيْ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) بِيُوسُفَ: ١٠٨

قوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بِيُوسُفَ: ١٠٩

فيه مسائل:

الأولى: أمره سبحانه نبيه بإخبار الناس بدينه بحثاً.

الثانية: أن هذا أيضاً سبباً من اتبعه.

الثالثة: أن ذلك هو الدعوة إلى الله وحده لا شريك له.

الرابعة: أن ذلك هو الدعوة إلى الله على بصيرة، خلافاً لمن اتبع الحق ودعا إلى الله على غير بصيرة.

الخامسة: أن دينه الذي أنكره الأكثرون هو تنزيه الله من السوء والإنكار في ذلك.

السادسة: أن الذي حملهم على إنكاره كونه غريباً مخالفًا لما عليه السواد الأعظم، وذلك لا يوجب رده لأن اتباع الحق إذا ظهر هو الحق، وإذا ظهر الباطل لم يزينه فعل الأكثرون مثل الربا والكذب والخيانة.

السابعة: رد شبهتهم في كونه بشراً، وذلك واضح لأنهم إن كانوا من يقر بالرسالة في الجملة كأهل الكتاب والشركين فواضح؛ وإن أنكروها كالمجوس فالنکال الذي أوقع الله بهم خالق الرسل الذي سمعوه وشاهدوه حجة عليهم.

الثامنة: الرد عليهم في قولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ البقرة: ١١٨ أو نحو ذلك، لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحى.

النinth: أنهم كلهم رجال، ففيه الرد على من يزعم أن في الجن رسلاً أو في النساء.

العاشرة: قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْقَرَىٰ﴾ يوسف: ١٠٩ فيه الرد على من انتقص أهل القرى، أو فضل البدو أو ساهم بهم^(١).

الحادية عشرة: استجهال الله إياهم حيث لم يسيرا في الأرض فيعتبروا بمن قبلهم، فدل على أن فهم ذلك مقدور لهم.

الثانية عشرة: إخباره أن ما يعطي الله من أطاع الرسل خير مما أعطى يوسف وسليمان وأيوب وغيرهم من حسن عاقبة الطاعة.

الثالثة عشرة: أن سنة الله في الرسل ومن اتبعهم وسنته فيمن خالفهم في الدنيا قبل الآخرة من أظهر البينات للكفار الجهال، فمن لم يفهمها يقال له: كيف زال عقلك؟

﴿حَتَّىٰ إِذَا أُسْتَيَّسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ يوسف: ١١٠ إلى آخر السورة.

(١) الأظهر أنها "ساواهم" لأنه سبق أن قرر فضل الحاضرة.

فيه مسائل:

الأولى: تأخير النصر على الرسل حتى استبطئوا ولا يعجل الله لعجلة أحد.

الثانية: إذا عرف أن هذه سنة فكيف يستعجل من يزعم أنه سميع لهم، كما قال ﷺ "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل" ^(١).

الثالثة: أن ما يقع في القلب من خواطر الشيطان لا يضر، بل هو صريح الإيمان إذا كان مع الكراهة.

الرابعة: أن العادة أن الشدة إذا تمت وتضاعفت جداً، فهو من علامات حضور الفرج.

الخامسة: أنه سبحانه ينجي من يشاء، ولو كان مع المهلكين في المكان.

السادسة: أنه إذا جاء أمر الله لم يقدر على رفعه أحد من السماء، ولا من أهل الأرض.

السابعة: أنه سبحانه لا يظلم أحداً، وأن ذلك بسبب إجرامهم.

الثامنة: الثناء على قصص الرسل، وأن فيه عبرة.

التاسعة: أن ما يفهم هذه العبرة مع وضوحاها إلا أولو الألباب.

(١) البخاري: الدعوات (٦٤٠)، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٥)، والترمذني: الدعوات (٣٣٨٧)، وأبو داود: الصلاة (١٤٨٤)، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٥٣)، وأحمد (٤٨٧/٣٩٦/٢)، ومالك: التداء للصلوة (٤٩٥).

(٢) سنن الترمذني (كتاب الدعوات).

العاشرة: تعربيضه سبحانه بالأحاديث المفتراة، وإقبال الأكثر عليها، واشتراء الكتب المصنفة بغالى الأثمان، وتكبر من اشتغل بها، وظنه أنه أفضل من لم يشغله، وزعمه أنها من العلوم الجليلة، ومع هذا معرض عن قصص الأنبياء مستحقر له، زاعم أنه علم العوام الجمال.

الحادية عشرة: أن من أكبر آياته تصدقه لما بين يديه من العلوم التي جاءت بها الرسل، التي هي العلم النافع في الحقيقة.

الثانية عشرة: أن هذا فيه تفصيل كل شيء يحتاج إليه: ففيه العلم النافع، وفيه الإحاطة بالعلوم الكثيرة، ومع هذا يفصلها أى يبينها.

الثالثة عشرة: أنه هدى يعتصم به من الضلالة.

الرابعة عشرة: أنه رحمة يعتصم به من الهملة فلا يضل من اتبعه ولا يشقى.

الخامسة عشرة: أن هذا ليس لكل أحد، بل لقوم مخصوصين.

السادسة عشرة: أن سبب ذلك الإيمان، ففيه شاهد لقوله: "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم"^(١) والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ج ١٠ ص ١٤-١٥، راجع الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكتاني ص ٢٨٦. وذكر ناصر الدين الألباني أنه موضوع، وقد أخرجه أبو نعيم من طريق أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون، عن حمد الطويل، عن أنس مرفوعا، ثم قال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ. راجع في تفصيل ذلك: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ص ٩٣؛ (طبع المكتب الإسلامي).

سُورَةُ النَّحْل

وقال أيضاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿أَنَّ أَمْرُ اللَّهِ﴾ التحل: ^١ أي: الذي يفصل بين المؤمنين والمرتدين، فسر بالنصر في الدنيا وبالقيمة،

ففيها:

الأولى: إثباته سبحانه بصيغة الماضي للتحقيق والبشرة والنذارة.

الثانية: النهي عن الاستعجال به.

الثالثة: تسبيحه نفسه، وتعاليه عن شركهم، ففيه التنبيه على عظمة قبحه لكونه مسبة له.

الثانية: فيها:

الأولى: تنزيله الملائكة.

الثانية: تسمية المنزل روحًا لكونه يحيي القلوب.

الثالثة: أن ذلك الروح من أمره.

الرابعة: أن التخصيص بمن ينزل عليه بمشيئة، لا بالاقتراح.

الخامسة: أن المخصوص بذلك من جملة عباده.

السادسة: ذكر الحكمة في هذا، وهو إنذار الخلق عن الشرك.

السابعة: أنه إذا ثبت ذلك فخصوصه بالتقوى لكونه المتفرد بالضر والنفع.

الثالثة: فيها:

الأولى: الاستدلال بخلق السموات والأرض.

الثانية: أنه بالحق.

الثالثة: ذكر تعاليه عن شركهم، ذكره عند بدء الخلق وعند الوعد بالفصل.

الرابعة: فيها:

الأولى: الاستدلال بخلق الإنسان؛ ذكر أولاً الخلق العام ثم الخاص.

الثانية: كونه من نطفة.

الثالثة: صيرورته إلى هذا الحال، بعد تلك الحال وهو تفضيله بالعقل والبيان.

الرابعة: على تفسير مجاهد ذكر هذا الكفر بعد ما أعطاه من النعمة، وبين له من القدرة.

الخامسة ، والآياتان بعدها. فيها:

الأولى: الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها.

الثانية: أن ذلك لنا.

الثالثة: التنبية على ما فيها من المصالح، منها الدفع والأكل والجمال، وحمل الأثقال، إلى ما ذكره، وغير ذلك من المنافع.

الرابعة: التنبية على رأفته ورحمته بنا.

الثامنة:

الأولى: ذكر الخيل والبغال والحمير في الاستدلال.

الثانية: ذكر نعمته أن الحكمة في ذلك لرکوبنا.

الثالثة: زينة لنا.

الرابعة: التنبية على خلق ما لا نعلم.

الحادية عشر: فيها:

الأولى: أن السبيل منها قاصد.

الثانية: أنه يوصل إلى الله.

الثالثة: أن منها جائز، فيدل على الطلب والنظر.

الرابعة: ذكر القدرة بعد ما ذكر الشرع.

العاشرة: فيها: ﴿لَكُم﴾ النحل: ٥

الأولى: الاستدلال بإنزال المطر.

الثانية: على أن غيره لا يقدر عليه.

الثالثة: التنبية على النعمة بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ التحل: ٥.

الرابعة: ما يحصل به من الشراب والمرعى.

الخامسة: إنبات الزرع والأشجار الخاصة.

السادسة: من كل الشمرات.

السابعة: أن ذلك الإنبات لنا.

الثامنة: ذكره أن في هذا الآيات.

التاسعة: كونها مخصوصة بالمتفكرين.

الحادية عشرة:

الأولى: الاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات.

الثانية: أن تسخيرها لنا.

الثالثة: قوله: ﴿مُسَحَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ التحل: ١٢.

الرابعة: ذكر الآيات في ذلك.

الخامسة: أنها مخصوصة بالذين يعقلون.

الثانية عشرة:

الأولى: الاستدلال بخلق ما في الأرض لنا على اختلافه وكثرته.

الثانية: ذكر النعمة في كونه لنا.

الثالثة: ذكر الآيات في ذلك.

الرابعة: تخصيص المتفكرين بفهمها.

الثالثة عشرة:

الأولى: تسخير البحر.

الثانية: أنه الذي فعله، لا غيره.

الثالثة: التنبية على ما فيه من مصالحنا، من أكل اللحم الطري، واستخراج الخلية ولبسها؛ وجريان الفلك فيه، والابتعاء من فضله.

الرابعة: أن الحكمة في ذلك ليستخرج منكم الشكر في هذه الأمور التي فيها الآيات والنعم.

الرابعة عشرة:

الأولى: الاستدلال بخلق الجبال.

الثانية: ذكر الحكمة^(١).

الثالثة: ذكر الأنوار.

الرابعة: ذكر السبل.

الخامسة: ذكر الحكمة وهي الاهتداء.

السادسة: ذكر الحكمة الثانية، وهي العلامات، فالجبال علامات النهار؛ ثم ذكر حكمة ثالثة وهي الاهتداء بالنجم في الليل.

الخمسة عشرة:

الأولى: ذكر الدليل القاطع البديهي الفطري الضروري.

الثانية: دعاؤهم إلى التذكر.

الثالثة: أتى باستفهام الإنكار، ولكن لتأمل التذكر ما هو لقوله: ﴿وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣ غافر.

الرابعة: دعاؤهم إلى الطاعة بذكر نعمه على الإجمال، وأنها لا تختص.

الخامسة: ختمه الآية بالاسمين.

السادسة عشرة:

^(١) في سـ "الحكمة" فقط.

الأولى: ذكر سعة علمه وإحاطته بالسر والجهر.

الثانية: أن الذين يدعون غيره ليس لهم قدرة ولا لهم علم، فلا يخلقون شيئاً ولا يدرى متى يبعثون.

الثالثة: أنهم أموات غير أحياء.

السابعة عشرة:

الأولى: ذكر توحيد الإلهية.

الثانية: أنه مع تكاثر هذه الأدلة ووضوحاً أنها أنكرته قلوب هؤلاء.

الثالثة: أن سببه عدم الإيمان بالأخرة لا خفاء الأدلة.

الرابعة: أن الشرك وعدم الإيمان بالأخرة متلازمان.

الخامسة: أنهم مع هذا الجهل العظيم الذي لا أحسن منه، متكبرون.

السادسة: جعوا بين الإنكار والاستكبار.

السابعة: ذكر علمه سرهم وعلانيتهم، وهو صريح في الوعيد.

الثامنة: كونه لا يحب المستكبرين.

الثامنة عشرة:

الأولى: ذكر وصفهم أعظم نعمة جاءتهم من الله.

الثانية: إقرارهم بالربوبية.

الثالثة: ذكر عاقبة ذلك.

الرابعة: ذكر حملهم أوزار من أضلوا.

الخامسة: أنهم جهال، ولو ظن الأتباع غيره.

السادسة: تهويل ذكر الجزاء.

التاسعة عشرة ، وأربع آيات بعدها:

الأولى: ذكر ما فعل بمن قبلهم لما مكروا.

الثانية: أنه أتاه من القواعد.

الثالثة: أنهم خرّ عليهم الذي بنوا.

الرابعة: أن الخرور من فوقهم.

الخامسة: إتيان العذاب من طريق لم يعلموا بها.

السادسة: الخزي يوم القيمة.

السابعة: هذا العتاب الشديد.

الثامنة: ما فيه من قبح الشرك.

التاسعة: ما فيه من فتنة المشرك بالشرك.

العاشرة: مشاقتهم الله وأولياءه.

الحادية عشرة: ذكره أن ذلك لأجل الشركاء.

الثانية عشرة: ما فيه من تعزية المؤمن وتبشيره.

الثالثة عشرة: شرف العلم في الآخرة.

الرابعة عشرة: جمعه بين الخزي والسوء.

الخامسة عشرة: كونه على من كفر.

السادسة عشرة: ذكره موتهم على هذه الحال.

السابعة عشرة: كونهم ما ظلموا إلا أنفسهم.

الثامنة عشرة: كون ملك الموت له أعون يتوفّون.

النinth عشرة: كونهم ألقوا السلم حين لا ينفعهم.

العشرون: تفسير ذلك بقولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ النحل: ٢٨.

الحادية والعشرون: جوابهم.

الثانية والعشرون: عقابهم.

الثالثة والعشرون: هؤلاء أهل الأبواب.

الرابعة والعشرون: عظمة الكبْر عند الله.

الرابعة والعشرون، وأيتان بعدها:

الأولى: قول المتقين في المنزل.

الثانية: الوعد بحسنة الدنيا.

الثالثة: أن حسنة الآخرة خير.

الرابعة: أنها دار المتقين.

الخامسة: وصفها بهذه الصفات العظيمة.

السادسة: أن الجزاء بهذا مما يوصف الله به في حق المتقين.

السابعة: وصفهم بحالهم عند الوفاة وما يقال لهم.

السابعة والعشرون، وأية بعدها:

الأولى: الموعظة عن التسويف.

الثانية: الفرق بين إتيان الملائكة وأمر الله.

الثالثة: أن هذا كفعل من قبلهم.

الرابعة: تنزيهه سبحانه عن الظلم.

الخامسة: إثبات ظلمهم لأنفسهم.

السادسة: أن علمهم هو الذي أصابهم.

السابعة: كون الذي استهزؤوا به حاق بهم.

الثامنة والعشرون:

الأولى: أن الاحتجاج بالقدر من كلام الكفار.

الثانية: اعترافهم أنهم يعبدون من دونه، مع قولهم: "هؤلاء شفعاؤنا عند الله"^(١):

الثالثة: اعترافهم أنهم يحرّمون من دونه، مع زعمهم أنهم يتقربون به إليه.

الرابعة: ذكره سبحانه أن هذا كفعل المتقدمين.

الخامسة: ذكره الواجب على الرسل.

النinth والعاشرون:

الأولى: عموم الرسالة لكل أمة.

الثانية: أن كل أمة لها رسول يخصها.

الثالثة: أنبعثة الكل لأجل هاتين الكلمتين.

الرابعة: أنه لا بد من الإثبات مع النفي^(٢).

الخامسة: ذكر حسن الأولى بالإضافة إليه.

ال السادسة: ذكر قبح الشرك وحسن النهي عنه.

السابعة: أنهم افترقوا.

^(١) في س "عند الله".

^(٢) في ٨٦/٥١٦ "مع الإثبات من".

الثامنة: أن من أعطي خيرا فالله أعطاه.

النinth: أن الضلالة حق على الضالين.

العاشرة: ذكر الأمر بالسير في الأرض لأجل النظر في عاقبهم.

الحادية عشرة: ذكر أن حرص الرسول لا يجدي على من أضل الله.

الثانية عشرة: ما لهم من ناصرين.

الحادية والثلاثون^(١):

الأولى: كونهم يقسمون بالله.

الثانية: أن القسم بالله عندهم أجل من القسم بالآلهة.

الثالثة: اجتهادهم في اليمين على ما لا يعلمون.

الرابعة: كون هذا على نفي ما قامت الأدلة الواضحة على ثبوته.

الخامسة: تأليّهم على الله أن لا يفعل.

السادسة: رده عليهم بقوله: ﴿لَكُمْ النَّحْلُ﴾^{٤٨}.

السابعة: أنه لا يخلف الميعاد.

^(١) في سـ "الثلاثون". وعلى وجه العموم فهناك اختلاف في عدد الآيات في المخطوطتين، لكننا نذكر النص القرآني الذي فيه المعاني المفسرة.

الثامنة: أنه جعل ذلك حقا عليه.

التاسعة: إخباره أن السواد الأعظم لا يعلمون.

العاشرة: ذكره الحكمة في ذلك وهي تبيينه لهم ما اختلفوا فيه، ومعرفة الكافرين أنهم أهل الكذب لا خصومهم.

الحادية عشرة: ذكره عظيم قدرته، وأنها على غير القياس، وهم نفوا لـما نظروا إلى عظمة الأمر، ولم يعرفوا عظمة الله.

السادسة والثلاثون:

الأولى: ذكر الهجرة.

الثانية: ذكر نية أهلها.

الثالثة: ذكر الظلم الذي أصابهم وصبروا.

الرابعة: الوعيد بحسنة الدنيا.

الخامسة: أن أجر الآخرة أعظم.

السادسة: أن هذا الخير العظيم لا يعلمه الأكثر، ولو علموه لاستبقوا إليه.

السابعة: وصفهم بالصبر.

الثامنة: وصفهم بالتوكل.

السبعين والثلاثون:

الأولى: ذكر الحجة الدامغة لإنكارهم لإرسال البشر مع تسليمهم بنبوة المتقدمين.

الثانية: أن الإرسال بالوحي.

الثالثة: أن هذا مسلم عند كل من عرف العلم النازل من الله.

الرابعة: تنبيه الجاهل أنه لا يُعَذَّر لأنَّه يمكنه السؤال.

الخامسة: أن كل الرسل رجال، لا جنٍّ فيهم ولا أنثى.

السادسة: أن كل رسول لا يرسل إلا ببيانات.

السابعة: لا يرسل إلا ومعه كتاب.

الثامنة: ذكر الحكمة في إِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَنَّهَا لِبِيَانِ الْمَنْزَلِ وَلِتَفَكِّرُهُمْ.

التاسعة: تسميته الذكر.

الثامنة والثلاثون:

الأولى: ذكر مكر السيئات.

الثانية: أنهم مستحقون لتعجيل العقوبة.

الثالثة: كيف أَمِنُوا ذَلِكَ.

الرابعة: ذكر أنواع العذاب الأربع.

الخامسة: أنهم لا يعجزون بعد ذكر الثالث.

السادسة: ذكر الرأفة والرحمة بعد الرابع.

النinthة والثلاثون: والآياتان بعدها. فيها:

الأولى: ذكر الآية التي في المخلوقات.

الثانية: تقرير عدم رؤيتهم ذلك مع وضوحيه.

الثالثة: تفِيؤُ الظلال يميناً وشمالاً.

الرابعة: سجودهم لله.

الخامسة: حال الدخول.

السادسة: ذكر جميع دواب السماء والأرض.

السابعة: سجود جميع الملائكة.

الثامنة: عدم استكبارهم مع شرفهم.

التاسعة: مع ذلك خوفهم منه.

العاشرة: ذكر الفوقيه.

الحادية عشرة: ذكر كونهم مع ذلك الخوف كاملـي الانقياد فيما أُمرـوا.

الثانية والأربعون:

الأولى: النهي عن اتخاذ إلهين.

الثانية: بيان أن الإله واحد.

الثالثة: بيان أن من لوازم ذلك إفراده بالرهبة.

الرابعة: الاستدلال على ذلك بملك السموات والأرض.

الخامسة: الاستدلال بأن دينه واصب.

السادسة: الإنكار عليهم في تقوى غيره مع هذه الأدلة.

الثالثة والأربعون: فيها:

الأولى: التذكير بأن كل ما بنا من نعمة فهو المتفرد بها.

الثانية: اللجاج إليه وحده إذا نزل الضرب بالجور.

الثالثة: فعلهم القبيح بعد كشفه، وبعد الإخلاص.

الرابعة: ذكر عاقبة فعلهم أنه الكفر بالنعم.

الخامسة: ذكر العاقبة الثانية وهي التمتع.

السادسة: الوعيد.

السابعة والأربعون:

الأولى: جعلهم حقاً من الذي أعطاهم الله لغيره.

الثانية: أنهم لا يعلمون.

الثالثة: الوعيد.

الرابعة: أنه بالقسم.

الثامنة والأربعون:

الأولى: جعلهم الله الأوكس.

الثانية: جعلهم لأنفسهم الأعلى.

الثالثة: إذا بشروا بما جعلوا الله جرى منهم ما ذكر.

الرابعة: أنه لشنته يتوارى.

الخامسة: أنه يتردد: هل يمسكه على هون أم يدسه؟

ال السادسة: التسجيل على سوء هذا الحكم.

الخمسون:

الأولى: ذكر مثل السوء لمن لا يؤمن بالأخرة.

الثانية: إثبات المثل الأعلى لله سبحانه.

الثالثة: ذكر عزته.

الرابعة: ذكر حكمته.

الحادية والخمسون:

الأولى: ذكر حلمه.

الثانية: ذكر استحقاقهم.

الثالثة: إهلاك من لا ذنب له بسبب كبر الجريمة.

الرابعة: ذكر أنه مع ذلك لا يهم.

الخامسة: أن التأخير إلى أجل مسمى.

السادسة: أنه إذا جاء لا يستأخرون ساعة.

السابعة: أنهم لا يستقدمون قبله.

الثانية والخمسون:

الأولى: ذكر فعلهم العجيب.

الثانية: ذكر اغترارهم مع ذلك.

الثالثة: ذكر الصواب فيما يستحقون.

الرابعة: أنهم مفرطون.

الثالثة والخمسون:

الأولى: القسم.

الثانية: ذكر أنه أرشدتهم إلى ما ينفعهم.

الثالثة: ذكر السبب الذي صدّهم.

الرابعة: ذكر الشمرة اليوم.

الخامسة: الوعيد بغيره.

الرابعة والخمسون:

الأولى: ذكر الحكم في إنزال الكتاب عليه.

الثانية: الحصر في ذلك.

الثالثة: أنها ثلاثة أنواع: الأول عام، الثاني والثالث خاص.

الرابعة: ذكر سبب الخصوص.

الخامسة والخمسون:

الأولى: ذكر الآية الشهيرة.

الثانية: أن فيها آية.

الثالثة: لقوم مخصوصين.

الرابعة: أنهم أهل السمع.

السادسة والخمسون:

الأولى: ذكر الآية في الأنعام باللبن.

الثانية: تفصيل الأنعام.

السابعة والخمسون:

الأولى: ذكر ثمرات النواعين.

الثانية: اتخاذ النوعين منها.

الثالثة: ذكر الآية التي في ذلك.

الرابعة: أنها لأهل العقل خاصة.

الثامنة والخمسون:

الأولى: ذكر أن الإلهام من أقسام الوحي.

الثانية: إهامها اتخاذ تلك البيوت من تلك الأمكنة.

الثالثة: إهامها مأكولاها.

الرابعة: سلوك سبل ربها.

الخامسة: كونها ذلا.

السادسة: خروج تلك الشراب من بطونها.

السابعة: اختلاف ألوانه.

الثامنة: ما فيه من الشفاء.

التاسعة: الآية التي فيه.

العاشرة: كونها للمتفكرين.

النinthة والخمسون:

الأولى: الآية في خلقهم.

الثانية: توفيهم.

الثالثة: رد من شاء إلى أرذل العمر.

الرابعة: لكيلا يعلم من بعد علم شيئا.

الخامسة: علمه.

السادسة: قدرته.

الستون:

الأولى: تفضيلهم في الرزق.

الثانية: أن المفضلين لا يرضون لأنفسهم بهذا، خصوصا مع التساوي.

الثالثة: استفهام الإنكار.

الحادية والستون:

الأولى: جعل الأزواج من الأنفس.

الثانية: جعل منها بنين.

الثالثة: حفدة.

الرابعة: الرزق من الطيبات.

الخامسة: استفهام الإنكار في هذا الأمر الباهر.

الثانية والستون:

الأولى: عبادة من لا يملك نفعا.

الثانية: أنهم لا يستطيعون.

الثالثة: النهي عن ضرب المثل له.

الرابعة: التنبية على علمه وجهلهم.

الثالثة والستون، والتي بعدها

فيهما: المثلان العظيمان القاطعان.

الخامسة والستون:

الأولى: ذكر تفرده بعلم الغيب.

الثانية: ذكر أمره الآخرة.

الثالثة: ذكر قدرته على كل شيء، فلا تستبعد شيئاً.

السادسة والستون:

الأولى: ذكر إخراجنا من البطون هكذا.

الثانية: وهب الآلات.

الثالثة: ذكر مراده في ذلك.

السابعة والستون:

الأولى: ذكر آيات الطير.

الثانية: كيف لم يفهموها!.

الثالثة: إن فيها آيات.

الرابعة: لقوم مخصوصين.

الثامنة والستون:

الأولى: ذكر السكن من البيوت.

الثانية: جعل البيوت من جلود الأنعام.

الثالثة: استخفافها ظعننا وإقامة.

الرابعة: من الأصوات والأوبار والأشعار أثاثا.

الخامسة: المتع إلى حين.

النinthة والستون:

الأولى: ذكر الظلال مما خلق.

الثانية: الأكنان من الجبال.

الثالثة: سراويل الحر.

الرابعة: سراويل البأس.

الخامسة: إتمام النعمة.

السادسة: الحكمة في ذلك.

السبعون، والتي بعدها:

الأولى: ذكر الوعيد.

الثانية: التعزية.

الثالثة: التعليم أن ذلك ليس عليه.

الرابعة: ذكر ما عليه.

الخامسة: نعمته بالبيان.

السادسة: العجب العجاب، وهو جمعهم بين الضدين.

السابعة: أن أكثرهم عدم القوة العملية.

الحادية والسبعون، وآياتان بعدها:

الأولى: ذكر بعثة الشهداء.

الثانية: أنه من كل أمة شهيداً.

الثالثة: تخلف أسباب النجاة في الدنيا، وهو الإذن والاستعتاب.

الرابعة: تخلف التخفيف والإنتظار.

الرابعة والسبعون:

الأولى: قول المشركين لشركائهم.

الثانية: معرفة أنهم يدعون من دونه.

الثالثة: تكذيب العبودين لهم.

الرابعة: إلقاء السّلم إلى الله حينئذ.

الخامسة: زوال الافتراء.

الخامسة والسبعون:

الأولى: من جمع الكفر والصدّ جُمع له ما ذكر.

الثانية: ذكر الحكمة.

السادسة والسبعون:

الأولى: ذكر بعث الشهيد في كل أمة من أنفسهم.

الثانية: بعثته ﷺ على أمته.

الثالثة: تنزيل الكتاب عليه.

الرابعة: بيانه لكل شيء.

الخامسة: كونه هدى.

السادسة: كونه رحمة.

السابعة: كونه بشرى لقوم مخصوصين.

الثامنة: الشفاء على الإسلام.

السابعة والسبعون:

الأولى: الأمر بالعدل.

الثانية: الأمر بالإحسان.

الثالثة: الأمر بإيتاء ذي القربى.

الرابعة: النهي عن الفحشاء.

الخامسة: النهي عن المنكر.

السادسة: النهي عن البغي.

السابعة: ذكر أن الأمر والنهي موعظة.

الثامنة: ذكر الحكمة في ذلك.

التاسعة: أن التذكير مستلزم العمل.

الثامنة والسبعون:

الأولى: الأمر بالوفاء بالعهد.

الثانية: نسبته إلى الله.

الثالثة: النهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها.

الرابعة: التنبيه على قبح ذلك بجعلهم الله كفيلا عليهم.

الخامسة: الوعظ بعلمه بأعمالهم.

الناسعة والسبعون، وأربع بعدها:

الأولى: نهيهم عن مشابهة الخرقاء.

الثانية: تبيين ذلك باتخاذ الأيمان دخلاً بينهم.

الثالثة: أنه لأجل كون أمة أربى من أمة.

الرابعة: ذكر أن ذلك اختبار منه سبحانه.

الخامسة: وعظهم بالبيان للاختلاف ذلك اليوم.

السادسة: أنه لو شاء لجعلهم أمة واحدة.

السابعة: بيان المشيئة.

الثامنة: الرد على القدرة.

التاسعة: الرد على الجبرية.

العاشرة: توعده بسؤالهم.

الحادية عشرة: نهيه عن اتخاذها دخلاً.

الثانية عشرة: ذكر العقوبة.

الثالثة عشرة: أنها نوعان.

الرابعة عشرة: أن ذلك بما صدوا عن سبيله.

الخامسة عشرة: ذكر العذاب المهين.

ال السادسة عشرة: نهיהם عن الاشتراك بالعهد ثمناً قليلاً.

السابعة عشرة: ذكر أن ما عنده على الوفا خير.

الثامنة عشرة: ذكر أن من آثر هذا فلجهله.

التاسعة عشرة: ذكره بعض الخيرية وهو نفاد هذا وبقاء هذا.

العشرون: وعد الصابرين.

الحادية والعشرون: أن ذلك بأحسن أعمالهم.

الرابعة والشمانون:

الأولى: إلزام العمل بالإيمان، وبالعكس.

الثانية: ذكر الجزاء بالحياة الطيبة، وما بعدها أكبر، هو جزاؤهم بأحسن أعمالهم.

الثالثة: أنه عام لمن فعل ذكرا كان أو أنثى.

الرابعة: التنبية على طيب الحياة.

الخامسة والشمانون، والتي بعدها:

الأولى: الأمر بالاستعاذه من الشيطان عند القراءة.

الثانية: أن القراءة غير المقروء.

الثالثة: التنبية على التوحيد.

الرابعة: الإخبار أنه لا سلطان له على هؤلاء.

الخامسة: عطف التوكيل على الإيمان، مع أنه منه.

ال السادسة: أن نفي سلطانه عنهم لا ينافي فعلهم الأسباب، مثل الاستعاذه.

السابعة: إثبات سلطانه على هؤلاء.

الثامنة: عطف توليهم على شركهم.

الثامنة والشانون:

الأولى: ذكر النسخ.

الثانية: ذكر الفتنة به.

الثالثة: جوابهم.

الرابعة: سببه عدم العلم.

الخامسة: أن روح القدس جبرائيل.

ال السادسة: أنه من ربك.

السابعة: أنه لا ينافي كون الله نزله.

الثامنة: أنه الحق.

التاسعة: ذكر الحكمة، وهي ثبيت هؤلاء.

العاشرة: ذكر الحكمة الأخرى، أنه هدى لهؤلاء.

المحادية عشرة: ذكر الحكمة الأخرى، أنه بشرى لهم.

الثانية عشرة: مدح الإسلام.

النinth والشمانون:

الأولى: ذكر إفکهم.

الثانية: ذكر علمه به.

الثالثة: بيان فساد إفکهم بأوضح حجة.

الرابعة: الرد على الأشعرية.

الخامسة: الرد على من زعم أنه لا يمكن معرفته.

التسعون:

الأولى: ذكر عقوبة من لم يؤمن^(١) بآيات الله.

الثانية: أن ذلك منعهم الخير الذي هو الهدایة، وإيصال الشر وهو العذاب.

الثالثة: أن الهدایة نعمة منه.

الحادية والتسعون:

الأولى: تعظيم أمر الكذب بكونه ينافي الإيمان.

الثانية: أن الإيمان بآيات الله يستلزم العمل، ومنه ترك الكذب.

الثالثة: حصر الكذب فيمن لم يؤمن بآيات الله.

^(١) في سـ "من يؤمن" وهو خطأ من الناشر.

الثانية والتسعون، وأربع بعدها:

الأولى: ذكر تعظيم الكفر بعد الإيمان.

الثانية: استثناء المكره المطمئن.

الثالثة: أن الرخصة لمن جمع بينهما، خلاف المكره فقط.

الرابعة: أن الردة المذكورة كلام أو فعل من غير اعتقاد.

الخامسة: أنها تكون مع شدة المعرفة بالدين.

السادسة: أنها تكون مع شدة المعرفة بالباطل.

السابعة: أنها تكون مع محبة الدين.

الثامنة: أنها تكون مع بغض الباطل.

التاسعة: أنها تكون مع شدة الخوف.

العاشرة: تكون أيضاً مع شدة حاجته لما بذلَ له أو لما يرجوه.

الحادية عشرة: كون من فعل ذلك كَفَرَ ولو هو أفضل الأولياء.

الثانية عشرة: يُكفر بذلك ولو كان في بلد المشركين تحت أيديهم.

الثالثة عشرة: من فعل ذلك فقد شرح بالكفر صدراً ولو كره ذلك، لأنه لم يستثن إلا من ذكر.

الرابعة عشرة: فيه أنه يُتصوّر أنه مؤمن ولم يطمئن.

الخامسة عشرة: ذكر العقوبة وهي نوعان.

السادسة عشرة: ذكر سبب تلك العقوبة، وهي استحباب الدنيا على الآخرة، لا مجرد الاعتقاد أو الشك.

السابعة عشرة: ذكر السبب الآخر، وهو من الصفات.

الثامنة عشرة: ذكر أن سبب^(١) فعلهم للطبع المذكور.

النinth عشرة: ذكر حصر الغفلة فيهم.

العشرون: حصر الخسران في الآخرة فيهم.

الحادية والعشرون: ذكر قبول توبة هؤلاء.

الثانية والعشرون: ذكر صفة توبتهم، وهي الهجرة والجهاد والصبر.

الثالثة والعشرون: ذكر أن المغفرة لما صدر منهم من الأعمال المذكورة.

السابعة والتسعون:

الأولى: تعظيم ذلك اليوم.

الثانية: ذكر الأمر الهائل في كل نفس.

الثالثة: كشف الشبهة بقوله ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ النحل: ١١١.

^(١) في م "السبب" و "الطبع".

الرابعة: تُوفِّيَ كل نفس عملها.

الخامسة: نفي الظلم ولو عن الأشرار.

الشامنة والتسعون، والتي بعدها:

الأولى: ذكر ما أعطى القرية.

الثانية: الفرق بين الأمان والطمأنينة.

الثالثة: إتیان الرزق لها رغداً.

الرابعة: من كل مكان.

الخامسة: أن النعمة بما خَرَقَ العادة أظهر.

السادسة: أن ترك الشكر له عقوبة عاجلة.

السابعة: أن العقوبة تأتي من حيث لا يحتسب.

الشامنة: ذكر الجمع بين هاتين^(١) العقوبتين.

النinth: أن ذلك لباس.

العاشرة: كونه بصنعهم.

الحادية عشرة: كون النعمة أتتهم ولم يطلبوها.

^(١) في سـ "هؤلاء".

الثانية عشرة: كونه منهم.

الثالثة عشرة: تكذيبه مع هذا.

الرابعة عشرة: كون العذاب أخذهم بهذا السبب.

الخامسة عشرة: كونهم في تلك الحالة الظالمين.

المائة:

الأولى: ذكر قاعدة الشريعة، وهي أن الأصل الحلّ.

الثانية: أمره بالشكر.

الثالثة: تنبيهه على ترك الغلوّ.

الرابعة: أن كل حلال فهو طيب.

الخامسة: الشكر للنعمـة من الفرائض، لكونه من شروط العبادة الخاصة.

الحادية بعد المائة:

الأولى: ذكر تحريم الأربع.

الثانية: ذكر "إنما" التي تفید الحصر.

الثالثة: الرخصة للمضطر.

الرابعة: شروط ذلك.

الخامسة: ختم الحكم بالصفتين.

الثانية بعد المائة:

الأولى: نهيه عن التحليل والتحرير بلا علم.

الثانية: أن ذلك وصف الألسنة بالكذب.

الثالثة: لام كي في قوله: ﴿لَنْفَرُوا﴾ النحل: ١١٦.

الرابعة: وعيid الفاعل.

الخامسة: إزالة الشبهة بقوله ﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ﴾ النحل: ١١٧.

الثالثة بعد المائة:

الأولى: ذكر تحريره على اليهود ما ذكر.

الثانية: أنه بسبب ظلمهم.

الثالثة: تسمية ما حُرّم عليهم طيبات.

الرابعة: تنزييهه نفسه عن الظلم.

الخامسة: إثبات الظلم على من ظلم.

الرابعة بعد المائة:

الأولى: ذكر توبته على العاصين.

الثانية: قوله ﴿بِجَهَنَّمَةِ﴾ النحل: ١١٩.

الثالثة: ذكره الإصلاح مع التوبة.

الرابعة: ذكر الربوبية له في أول الكلمة وآخرها.

الخامسة: ختم الحكم بالصفتين.

الخامسة بعد المائة:

الأولى: ذكر تعظيمه لإبراهيم بما لا يعلم له نظير.

الثانية: كونه أمة.

الثالثة: قنوطه لله.

الرابعة: كونه حنيفا.

الخامسة: تنزيهه عن هذه الطائفة.

السادسة: كونه شاكرا.

السابعة: كونه اجتباه.

الثامنة: هداه إلى صراط مستقيم.

التاسعة: أعطاه في الدنيا حسنة.

العاشرة: كونه في الآخرة مع هذه الطائفة.

الحادية عشرة: كون سيد المرسلين مأمورا باتباع ملته.

الحادية عشرة بعد المائة:

الأولى: ذكر فرض السبت عليهم.

الثانية: ذكر الحصر "بإنما".

الثالثة: ذكر اختلافهم فيه.

الرابعة: ذكر الوعيد.

الخامسة: ذكر فصل جميع الاختلاف ذلك اليوم.

العاشرة بعد المائة:

الأولى: كونه مأموراً بالدعوة إلى سبيل ربه لا غير.

الثانية: كونه بالحكمة.

الثالثة: كونه بالموعظة الحسنة.

الرابعة: المجادلة بالي هي أحسن.

الخامسة: تعزية المؤمن بعلمه سبحانه بالمهدي والضال.

الحادية عشرة بعد المائة:

الأولى: ذكر العدل حتى في حق الكفار.

وتكلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى آخِر هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضًا فَقَالَ:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً﴾ الحل: ١٢٠ لشلا يستوحش سالك الطريق من قلة

السالكين، ﴿قَاتَنَا لِلَّهِ﴾ الحل: ١٢٠ لا للملوك ولا للتجار المترفين،

﴿ حَنِيفًا ﴾ الحل: ١٢٠ لا يميل يمينا ولا شمala كفعل العلماء المفتونين، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحل: ١٢٠ خلافا لمن كثُر سوادهم وزعم أنه من المسلمين، ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمَةٍ ﴾ الحل: ١٢١ ليس كمن نسي النعم ونسبها إلى نفسه فصار من المتكبرين. ﴿ أَجْتَبَهُ ﴾ الحل: ١٢١ ليعلم أنه المتفرد بالفضل والتمكين، ﴿ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الحل: ١٢١ لتعرف الاستقامة من الاعوجاج عن الحق المبين وَإِنَّمَا تَنْهَىٰ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً الحل: ١٢٢ لنعلم أن الدنيا مع الآخرة في اتباع الدين، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ الحل: ١٢٣ ١٢٣ ترغيبا في زمرة الصالحين. ثم ختم هذا الثناء العظيم بالأمر الكبير والعصمة والقاعدة الكلية فقال: ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الحل: ١٢٣ تبيينا للناجين من الالكيين، وفرقانا بين المحقين والمبطلين، وبيانا للموحدين من المشركين.

الثانية: ذكر أن الصبر أفضل، ولو على الكفار.

الثانية عشرة بعد المائة، والتي بعدها:

الأولى: الأمر بالصبر.

الثانية: لا يكون إلا بالله.

الثالثة: نهيه عن الحزن عليهم.

الرابعة: نهيه عن الضيق من مكرهم.

الخامسة: تنبئه على^(١) أن الله مع الذين جمعوا بين الوصفين.

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبياً محمد وآلته وصحبه أجمعين.

^(١) في س "تنبئه أن".